

موجز التاريخ الأمريكي



اهداءات ٢٠٠٠
١/ شيرين سعيد شليبي
مكتبة الاسكندرية

صورة الغلاف - رسم بالزيت لـ ابراهيم لنكولن ،
بريشة دو جلاس فولك ، من مجموعة اندرو
ميلون في المتحف القومي للفن .

موجز التاريخ الأمريكي

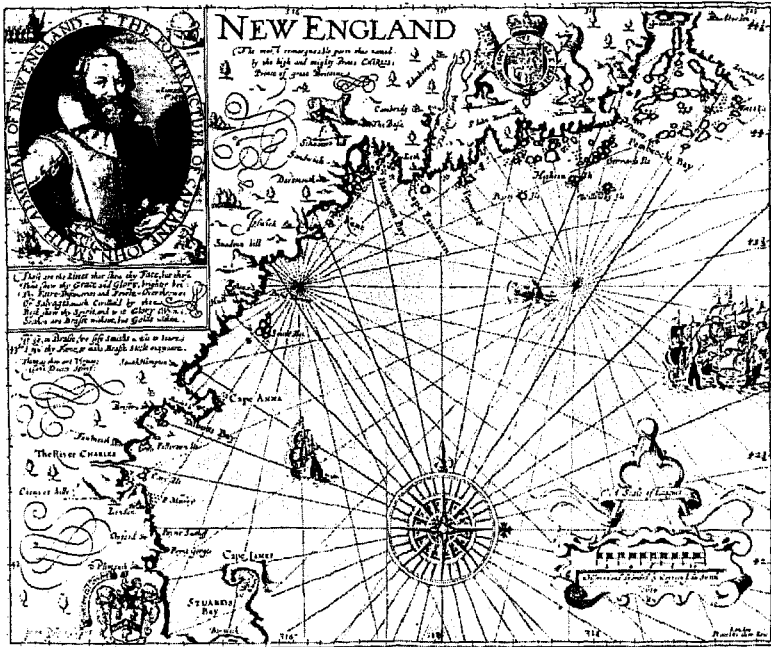
ترد على وكالة الاعلام الامريكية للولايات المتحدة رسائل كثيرة يستفسر فيها أصحابها عن مسائل تتصل بوقائع التاريخ الامريكي . ويحاول هذا الكتيب ان يفسر بعض تلك المسائل في ايجاز ويسر ، كما يحاول ان يتتبع بعض الاتجاهات الفكرية الرئيسية وعوامل التقدم التي صاحبت نمو الأمة الامريكية وراقيها . وعلى هذا الأساس لا يمكننا ان نعتبره ، بحال من الأحوال ، تاريخاً مفصلاً كاملاً للولايات المتحدة ، اذ ان كل حقبة من حقب هذا التاريخ كانت موضوع دراسة وبحث مستفيضة لا يمكن استيعابها في صفحات معدودات . وعلى الصفحات ١٨٠ - ١٨٢ يجد القارئ قائمة تحتوي على منتخبات قليلة من المراجع الكثيرة التي يستطيع ان يرجع اليها اذا هو رغب في متابعة الاطلاع والتوسع في دراسة تاريخ أمريكا . ونحن نأمل أن يكون هذا الكتيب مقدمة مفيدة للموضوع فيضيف بذلك ثروة جديدة الى أسباب المعرفة المشتركة والتفاهم المتبادل بين قرائه وشعب الولايات المتحدة .

محتويات الكتاب

الصفحة

١	عهد الاستعمار
٢٠	حرب الاستقلال
٣٩	أليف الحكومة الوطنية
٥٨	توسع نحو الغرب والفروق الإقليمية
٧٢	صراع بين الشمال والجنوب
٨٩	عهد التوسع والاصلاح
١١٧	صراع في الخارح والتطور الاجتماعي في الداخل
١٤٤	ريكا في العصر الحديث

ينطوي هذا الكتيب على نص منقح ومجدد حتى تاريخه ، كان قد أعد في الأصل بالتشاور مع الدكتور وود جراي ، استاذ التاريخ الأمريكي في جامعة جورج واشنطن ، في العاصمة واشنطن ، والدكتور ريتشارد هومستدتر استاذ التاريخ في جامعة كولومبيا في نيويورك .



للكاتبين جون سميث مكانة باقية في التاريخ الأمريكي ، كقائد أنقذ بحزمه وشجاعته المستعمرة الانجليزية في فرجينيا من الدمار ، في سنة ١٦٠٨ . ولكن جهوده كمكتشف وكجغرافي أقل شهرة . والخريطة المنشورة فوق ، والتي ترى صورته في زاويتها اليسرى العليا ، جرى وضعها في لندن من المذكرات والمشاهدات التي حققها سنة ١٦١٤ في رحلة علمية الى الاقليم الذي سماه «نيوانجلند» . واليوم تعني التسمية الولايات الشمالية الشرقية الست في الاتحاد . وقد كانت جماعة «الحجاج» التي أبحرت على ظهر السفينة «مايفلاور» في سنة ١٦٢٠ ، تحمل معها نسخة من هذه الخريطة عند نزولها الى البر في بليموث أما ما سماه سميث في خريطته «كيب جيمس» فيعرف الآن باسم «كيب كاد» .

عهد الاستعمار

« لم تتفق السماء والأرض على اعداد بقعة يسكنها الانسان تفضل هذا المكان » .

جون سميث

مؤسس مستعمرة فرجينا ، ١٦٠٧

شملت

أوائل الستينات من القرن السابع عشر بداية هجرة كبيرة من اوروبا الى أمريكا الشمالية . وهذه الحركة التي امتدت الى اكثر من ثلاثة قرون ، نمت من مجيء عدة مئات من المستعمرين الانجليز ، الى سيل دافق من القادمين الجدد ، بلغ عددهم الملايين ، وشيدوا ، بدوافع قوية مختلفة ، حضارة جديدة على ارض كانت ذات يوم قارة موحشة .

والدفعة الأولى من المهاجرين الانجليز الذين وصلوا الى ما يعرف الآن بالولايات المتحدة ، عبرت المحيط الاطلنطي بعد وقت طويل من قيام المستعمرات الاسبانية في المكسيك ، وفي جزر الهند الغربية ، وأمريكا الجنوبية . ومثل جميع الرحالة الأوائل الى العالم الجديد ، جاء هؤلاء في سفن صغيرة مكتظة ، وعاشوا خلال رحلتهم التي كانت تراوح بين ستة أسابيع واثني عشر أسبوعاً ، على القليل من الزاد . وكثيرون منهم قضى عليهم المرض ، وغالباً ما كانت العواصف تضرب سفنهم وتعطبها ، وبعضها فقد في البحر .

وقد بعث ظهور الساحل الأمريكي في نفس المسافر المرهق المتلهف ، الكثير من الغبطة والارتياح ، وكتب أحد المؤرخين يقول : « كان الهواء على بعد ١٢ فرسخاً عبقاً كأنه منبعث من حديقة غناء » . وكان أول ما وقع عليه نظر المستعمرين في الأرض الجديدة ، منظر الغابات الكثيفة . وصحيح ان هذه الغابات كان يسكنها الهنود الحمر ، وكان الكثيرون منهم معادين ، وكان خطر الاعتداء الهندي يضيف الكثير الى متاعب الحياة اليومية ، غير ان الغابات البكر الواسعة المترامية على مدى ٢١٠٠ كيلومتر تقريباً على طول الساحل الشرقي من الشمال إلى الجنوب ، كانت تعتبر مصدراً غنياً يوفر الغذاء الكثير والوقود ، ويؤمن المواد الخام لبناء المساكن ، وصنع الاثاث ، والسفن ، والسلع المربحة للتصدير . وكانت اول مستوطنة انجليزية دائمة في أمريكا ، مركزاً تجارياً انشئ في عام ١٦٠٧ في جيمستاون ، في مستعمرة فرجينا القديمة .

وسرعان ما عدلت هذه المنطقة على تطوير اقتصاد مزدهر من محصولها من التبغ الذي وجد سوقاً جاهزة في إنجلترا ، وبحلول عام ١٦٢٠ ، عندما تجندت النساء في إنجلترا للمجيء الى فرجينيا للزواج وانشاء أسر وبيوت ، كانت الزراعة قد انتشرت على طول نهر جيمس ، وكان عدد السكان قد ارتفع الى الف مستوطن .

استيطان الأرض

على الرغم من ان القارة الجديدة قد اغدقت عليها الطبيعة خيراتها بسخاء وبشكل ملحوظ ، فقد كانت التجارة مع اوروبا مسألة حيوية لاستيراد المواد التي لم يكن بوسع المستوطنين انتاجها بعد . وهنا ادى الساحل للمهاجرين خدمة طبية بكثرة ما فيه من مرفأى وخلجان . ولم تكن هناك سوى منطقتين اثنتين نخلتا من المرفأى الصالحة لرسو السفن المحطية ، وهما كارولينا الشمالية ، وجنوبي نيو جيرسي .

وقد ساعدت الانهار العظيمة - كينبك ، المهدسون ، ديلاور ، سكويهانا ، وبوتوماك والعديد غيرها - على توفير وسائل الاتصال الوثيقة بين السهل الساحلي والموانئ ، وبين هذه الموانئ واوروبا . على انه لم يكن بين جميع هذه الانهار الا نهر واحد يؤدي الى قلب القارة ، هو نهر سانت لورنس ، بكندا ، وكان في أيدي الفرنسيين . وقد ترتب على افتقار البلاد الى الطرق المائية ، بالاضافة الى العوائق الهائلة التي فرضتها سلسلة جبال الابلاش ، ان اقتصرت الحركة على منطقة السهول الساحلية . ولم يبتعد عن الشاطئ غير التجار وصيادي حيوانات الفراء ، ولذلك ظلّ المستعمرون طوال قرن من الزمن يشيدون مستوطناتهم الجديدة متلاصقة متقاربة على طول الشاطئ .

وكانت هذه المستعمرات مجتمعات تتمتع باكتفاء ذاتي وبمنافذها الخاصة الى البحر . واصبحت كل مستعمرة تتميز بطابعها الخاص وبشخصيتها القوية ، واستقلالها ، ولكن بالرغم من هذه الفردانية ، فقد تجاوزت مشاكل التجارة والصناعة ، والملاحة ، والعملة ، حدود هذه المستعمرات وقضت بضرورة وجود نظم مشتركة ادت بها - بعد استقلالها عن إنجلترا - الى الاتحاد .

وكان مجيء المستعمرين في القرن السابع عشر نتيجة تخطيط وتنظيم دقيقين ، ونفقات ضخمة ومجازفات كبيرة . فقد كان على المستوطنين أن يقطعوا مسافة خمسة آلاف كيلومتر تقريباً عبر البحر . وكانوا بحاجة إلى أدوات ، وملابس ، وبذور ، وآلات ، ومواد للبناء ، ودواجن ، واسلحة ، وذخيرة . وخلافاً لما كانت تسير عليه سياسة الاستعمار في دول اخرى وفي احقاب اخرى مختلفة ، كانت الحكومة الانجليزية لا تشجع على الهجرة من بلادها ، بل كانت تعهدها جماعات خاصة من الافراد الذين كان دافعهم الرئيسي هو الربح .

وثمة مستعمرتان اثنتان ، وهما فرجينيا وماساتشوستس ، استتهما شركات مرخصة

استخدمت اموالها التي ساهم بها الأفراد ، في تجهيز المستعمرين ونقلهم والافاق عليهم . أما فيما يتعلق بمستعمرة نيوهافس (التي أصبحت فيما بعد جزءاً من مستعمرة كونيتكت) فقد قام اصحاب اليسار من المهاجرين انفسهم بتمويل عمليات وتجهيز اسرهم وخدمهم . وهناك مستعمرات اخرى - نيوهامشير ، مين ، ماريلاند ، كارولينا الشمالية ، كارولينا الجنوبية ، نيوجرسي ، وبنسلفانيا - كانت في الاصل ملكاً لافراد من الأعيان الانجليز الذين انفقوا من مالهم الخاص - باعتبارهم من كبار الملاكين - ما يلزم لاستقرار المستأجرين والخدم في الأراضي التي منحهم اياها الملك .

فشارل الأول ، متلاً ، منح سيسيل كالفرت (لورد بلتيمور) وورثته حوالي ٢,٨٠٠,٠٠٠ فدان ، وهي التي أصبحت فيما بعد ولاية ماريلاند . ومنح شارل الثاني الأراضي التي أصبحت فيما بعد كارولينا الشمالية ، وكارولينا الجنوبية وبنسلفانيا . وكان أصحاب الأراضي والشركات المرخصة ، من الناحية الفنية ، بمثابة المستأجرين من الملك ، وان كانوا يدفعون مبالغ رمزية فقط عن اراضيهم . فقد كان اللورد بلتيمور متلاً ، يعطي الملك سهمين هنديين كل سنة ، وكان ولسم بن يعطيه جلد كلبين من كلاب الماء عن كل عام .

والولايات الثلاث عشرة التي أصبحت في النهاية الولايات المتحدة ، كانت نيوهامشير ، مساتشوستس ، رود آيلاند ، كونيتكت ، نيويورك ، نيوجرسي ، كارولينا الشمالية ، كارولينا الجنوبية ، وجورجيا . وكانت كل ولاية تعكس أصلها ومنشأها ، والعديد منها كانت مجرد فروع من مستعمرات أخرى . ففرد آيلاند وكونيتكت أسسهما جماعات من مساتشوستس - وهي المستعمرة (الام) التي تفرعت منها مستعمرات نيوانجلند باسرها . واسس مستعمرة جورجيا جيمس ادوارد اوجلثورب ونفر قليل من فاعلي الخير الذين كان هدفهم اطلاق سراح المساجين المدنين من السجون الانجليزية وارسالهم الى أمريكا لتأسيس مستعمرة تقف حاجزاً أمام الاسبان الذين كانوا في الجنوب . وقد اسس الهولنديون مستعمرة نيويزرلاند عام ١٦٢١ ، ثم خضعت للحكم الانجليزي في سنة ١٦٦٤ واطلق عليها اسم نيويورك .

وكان الضيق الاقتصادي اقوى العوامل التي دفعت بمعظم المهاجرين الاوروبيين الى ترك بلادهم بحثاً عن فرص اقتصادية اعظم - وهو دافع كثير ما كان يغذيه الحنين الى الحرية الدينية ، او العزم على التخلص من الاضطهاد السياسي . وخلال الفترة الواقعة بين عامي ١٦٢٠ و ١٦٣٥ اجتاحت الصعوبات الاقتصادية إنجلترا ، فتعطل عن العمل عدد كبير من الناس ، واصبح حتى الصناع المهرة لا يستطيعون تحصيل ما يقيم اودهم الا بشق الانفس . وما زاد الحمة سوءاً ، رداءة المحاصيل ، زد على ذلك ان صناعة الصوف التي كانت آخذة في النمو في إنجلترا ، تطلبت مقادير متزايدة من الصوف لضمان استمرار العمل في المصانع ، وحمل هذا مربى الأغنام الى الجور على الأراضي الزراعية وتحويلها الى مراعي .

السعي الى الحرية الدينية والسياسية

وفي الوقت الذي اشتدت فيه الحماسة الدينية في القرنين السادس عشر والسابع عشر، دعت جماعة من الرجال والنساء تعرف بالبيوريتان، إلى اصلاح المذهب الديني الرسمي في انجلترا اصلاً داخلياً. وكان منهاج هؤلاء الأساسي يرمي الى استكمال المذهب البروتستانتي في الكنيسة الوطنية وتبسيط طقوس الصلاة والعبادة. وقد هددت افكارهم الاصلاحية بالناس على انفسهم، وتقويض دعائم السلطة الملكية، بالقضاء على وحدة كنيسة الدولة.

وفي عهد جيمس الاول رحلت جماعة صغيرة من الانفصاليين - ومعظمهم من الريفيين البسطاء الذين عرفوا بانهم لا يمكن اصلاح الكنيسة الرسمية وفق رغبتهم - إلى مدينة ليدن، بهولندا، حيث سمحت لهم السلطات باقامة شعائهم بالشكل الذي يرغبون. وفي وقت لاحق قرر فريق من مهاجري ليدن الذين أصبحوا يعرفون بـ «الحجاج»، الرحيل إلى الدنيا الجديدة حيث أسسوا، في عام ١٦٢٠ مستعمرة بليموث. وعقب تولى شارل الأول العرش، في عام ١٦٢٥، تعرض زعماء البيوريتان لما اعتبروه اضطهاداً متزايداً. وانضم الى الحجاج في أمريكا نفر من رعاة الكنيسة الذين كان قد حظر عليهم مزاوله الوعظ وقتل، يرافقهم اتباعهم. وبخلاف ما كانت عليه حال المهاجرين الاولين، فقد ضم هذا الفريق الثاني الذي اسس مستعمرة خليج مساتشوستس في عام ١٦٣٠، كثيرين من ذوي الثراء والنفوذ. ومع نهاية العقد التالي، استطاع البيوريتان أن يطبعوا سناً من المستعمرات الانجليزية بطابعهم.

غير ان هؤلاء البيوريتان لم يكونوا المستعمرين الوحيديين الذين هاجروا بسبب هذا الدافع الديني الى أمريكا. فقد حمل عدم الرضا عن حالة الكويكرز في إنجلترا، ولهم بن واتباعه على تأسيس مستعمرة بنسلفانيا. كما كان اهتمام سيسيل كالفرت بالكاثوليك الانجليز أحد العوامل التي دفعته الى انشاء مستعمرة ماريلاند. وفي بنسلفانيا وكارولينا الشمالية سعى كثيرون من المستعمرين - المتحدرين من أصل الماني وارلندي - وراء قسط اكبر من الحرية الدينية والفرص الاقتصادية.

والى جانب هذه العوامل الدينية كانت هناك ايضاً اعتبارات سياسية دفعت كثيرين الى الرحيل الى أمريكا. فقد شجع الحكم الفردي الجائر، في عهد شارل الثاني، في الثلاثينات من القرن السابع عشر، الهجرة الى الدنيا الجديدة، كما حمل قيام الثورة وانتصار خصوم شارل بزعماء اوليفر كرومويل، في السنوات العشر التالية، كثيرين من الفرسان (حزب الملك) على الهجرة الى فرجينيا. وفي المانيا ساعدت سياسة الاضطهاد التي اتبعها كثير من صغار الأمراء وخاصة في المسائل الدينية، وما حل بالبلاد من دمار وخراب من جراء الحروب الطويلة، على ازدياد الهجرة الى أمريكا في اواخر القرن السابع عشر وفي القرن الثامن عشر.

وفي حالات عديدة حيث كان الناس غير متحسين لبدء حياة جديدة في امريكا ، لجأ المروجون للهجرة الى وسائل بارعة لاقتناعهم بالهجرة . فولم بن مثلاً ، روج الدعاية عن الفرص التي تنتظر القادمين الجدد الى مستعمرة بنسلفانيا . واستخدم ربابنة السفن ، بعد ان كسبوا اموالاً طائلة من بيع عقود استخدام المهاجرين الفقراء ، جميع الوسائل لتشجيع الهجرة . فمن وعود خلافة ، الى خطف ما تستطيع سفنهم حمله من مهاجرين . وشجع القضاة القائمون على شؤون السجون على تهيئة الفرصة للمذنبين للهجرة إلى أمريكا بدلاً من قضاء مدة العقوبة في السجن .

قلائل كانوا قادرين على تأمين نفقات الهجرة

ولما كان اكثر المستعمرين لا يملكون نفقات السفر لأنفسهم ولعائلاتهم ، ولا ما يكفي لبدء حياتهم في الأرض الجديدة ، فقد تولت شركات الاستعمار - كشركة فرجينيا وشركة خليج مساشوستس - دفع تكاليف نقلهم ، مقابل العمل لحساب هذه الشركات كعمال متعاقدين . غير انه سرعان ما تبين المستعمرون الذين سافروا على هذا الأساس ، انه كان من الافضل لهم ان يبقوا في انجلترا ما داموا سيظلون خداماً مستأجرين .

ولم تلبث الأيام ان برهنت على ان هذا النظام كان حجر عثرة في سبيل الاستعمار الناجح ، وكان لا بد من استخدام وسيلة جديدة لتشجيع المستوطنين على الرحيل الى امريكا . فبدأت الشركات واصحاب الأملاك والعائلات المستقلة تفاوض الذين يتطلعون بشوق إلى الحياة في تلك البلاد . وأسفرت هذه المفاوضات عن التعاقد معهم على العمل . وتعهد كل مهاجر بان يعمل لحساب صاحب العقد مدة معينة - تراوح عادة بين اربع سنوات وسبع سنوات نظير نفقات سفره بحرأً والانفاق عليه . حتى اذا اصبح المهاجر حرأً بعدها ، حصل على ما كان يستحقه من حقوق كانت تشمل في بعض الأحيان على قطعة صغيرة من الأرض .

وقد دلت التقارير على ان نصف المهاجرين الذين أقاموا في المستعمرات الواقعة جنوب نيوانجلند ، جاؤوا الى أمريكا وفق هذا النظام - أي أجراً بموجب عقود . وعلى الرغم من أن معظم هؤلاء وفوا بالتزاماتهم كاملة ، فقد فر البعض من مستخدميهم ، غير ان كثيرين منهم استطاعوا ان يحصلوا بسهولة على اراض في المستعمرة التي استوطنوها في اول الأمر ، او في مستعمرات قريبة منها .

على ان الاسر التي بدأت حياتها من جديد في ظل هذا النظام الجائر ، لم يمسه أي عار اجتماعي . وكان لكل مستعمرة نصيبها من الزعماء ذوي الجاه الذين كانوا في الأصل خدماً مستأجرين .

ومعظم المستوطنين الذين جاؤوا إلى أمريكا في القرن السابع عشر كانوا من الانجليز ، غير أنه كانت هناك أيضاً جماعات قليلة من الهولنديين ، والسويديين ، والالمان ،

استقروا في المنطقة الوسطى . واستوطن في كارولينا الجنوبية وغيرها عدد قليل من الهجونات الفرنسيين وجماعات أخرى من الاسبان والطلبان . بيد ان هذه الجماعات كلها - عدا الانجليز - لم تكن تتجاوز ١٠ بالمئة من مجموع عدد السكان .

خليط من ثقافات متعددة

وبعد عام ١٦٨٠ لم تعد إنجلترا المصدر الرئيسي للمهاجرين ، لأن جموعاً عظيمة وفدت من ألمانيا ، وإيرلندا ، واسكتلندا ، وسويسرا ، وفرنسا لاسباب مختلفة ، وهرب من أوروبا آلاف من الألمان فراراً من الحرب . وغادر كثير من الأيرلنديين شمال إيرلندا هرباً من الفقر الذي سببه اضطهاد حكوماتهم ، وتخلصاً من عسف كبار ملاك الأراضي الذين يعيشون بعيداً عن أراضيهم . كذلك جاء أقوام من اسكتلندا وسويسرا هرباً من شبح الفقر . وقد بلغ عدد السكان في عام ١٦٩٠ نحو ربع مليون نسمة ، ثم أخذ يتضاعف مرة كل خمس وعشرين سنة حتى زاد على مليونين ونصف مليون نسمة في عام ١٧٧٥ .

وكثيراً ما كان المستعمرون - من غير الانجليز - يكتفون انفسهم وفق ثقافة المستوطنين الأصليين . ولكن ليس معنى ذلك ان كل المستوطنين قد أصبحوا انجليزاً يقيمون خارج بلادهم . فبالرغم من انهم استخدموا اللغة الانجليزية وطبقوا القانون واتبعوا الكثير من العادات الانجليزية ، فقد كفوا ذلك كله وفق الأحوال في أمريكا ، ونتج عن ذلك في النهاية ثقافة فريدة في نوعها هي مزيج من الصفات الانجليزية والأوروبية ، ألقت بين عناصرها ظروف البيئة في الدنيا الجديدة .

ومع انه كان في استطاعة الرجل ان ينتقل واسرته من ماستشوستس الى فرجينيا ، أو من كارولينا الجنوبية الى بنسلفانيا ، دون حاجة الى اعادة تنظيم شؤونه من جديد ، فقد كان هناك من الفوارق ما يميز كل مستعمرة عن غيرها من هذه المستعمرات وكل طائفة عن أخرى غيرها .

وقد قسمت تلك المستعمرات إلى أقسام محددة وفقاً للواقع الجغرافي . ففي الجنوب الذي تميز بمناخه الحار وتربته الخصبة ، نشأ مجتمع زراعي ناجح وكانت العوامل الطبيعية هي التي حددت هذه الفوارق . فنيوانجلند ، التي تأثرت بفعل الجليد منطقة غطت أرضها الصخور ، كانت تربتها على وجه العموم مجدية قاحلة باستثناء بقاع قليلة في أودية الانهار . وقد جعلت فصول الصيف القصيرة وفصول الشتاء الطويلة من تلك المنطقة الصغيرة المنبسطة ، بقعة قليلة الأهمية نسبياً ، من الناحية الزراعية ، ولكن اهل نيوانجلند لم يلبثوا أن وجدوا أعمالاً أخرى تدر عليهم رخاء أوفر ويجنون منها فوائد أعم ، فقد استخدموا القوى المائية وبناو مطاحن للقمح والذرة وقطعوا الأخشاب وصدروها . ثم ان الطبيعة جعلت من التضاريس الساحلية مرافئ ممتازة كان لها أثر في تقدم التجارة .

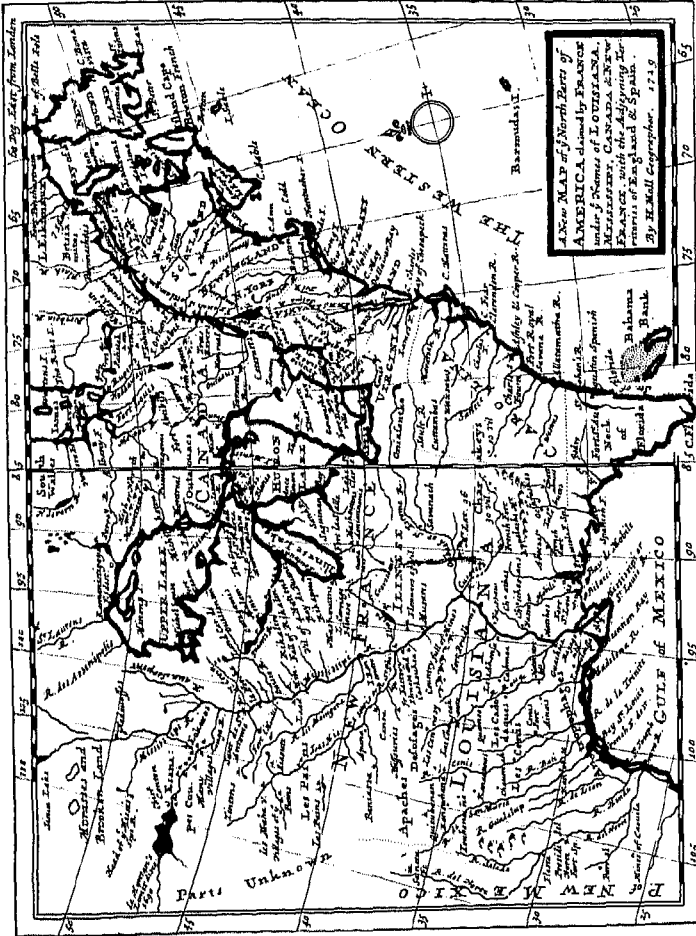
كما ان توافر الأخشاب بكميات هائلة شجع بناء السفن . وفي مساتشوستس كان البحر مصدر ثروة عظيمة ، وأصبح صيد سمك القد أساس الرخاء . ولم يلبث أهالي نيوإنجلند ان اختاروا حياة المدن ، واستقروا في المدن والقرى الواقعة حول المرافئ ، وسدت الغابات والأراضي الصالحة لرعي الغنم حاجة سكان المدن الذين اشتغل الكثيرون منهم بالزراعة واقتنوا مزارع صغيرة فضلاً عن اشتغالهم بالتجارة . وقد يسر تقارب السكان اشياء مدرسة القرية ، وكنيستها ، وندوتها الشعبية ، كما يسر حركة المواصلات المستمرة ، وشأ عن ذلك ان اكتسب أهالي نيوإنجلند من الصفات - كالاتقلال والاعتماد على النفس - ما جعلهم يتميزون عن غيرهم من أهالي الولايات الاخرى بعد الذي تجشموه من الصعاب بزرعهم مساحات من الأراضي الصخرية ذات الطبيعة الواحدة .

هذه الصفات والمزايا في الواقع جذور متأصلة ترجع الى المائة والاثنين من الحجاج الضعفاء الذين اعياهم دوار البحر والذين حطت رحالهم اولاً في شبه جزيرة « كيب كود » ووجهتهم الاطلنطي ، من جنوب شرقي مساتشوستس ولكن شاءت الاقدار حين جاؤا تحت اشراف الشركة اللندنية « فرجينيا » لاستيطان فرجينيا ، أن ترسو سفينتهم المشهورة « ماي فلاور » بعيداً الى الشمال . وبعد بضعة أسابيع أمضوها في الاستكشاف استقر رأيهم على ألا يواصلوا رحلتهم إلى فرجينيا وقرروا الإقامة حيث كانوا ، ووقع اختيارهم على مرفأ بليموث ليكون الموضع الذي يشيدون فيه مستعمرتهم ورغم قسوة الشتاء الأول فقد قدر لهذه المستعمرة البقاء .

النظام الكنسي يحكم نيوإنجلند

وبينما كانت بليموث تجاهد في سبيل البقاء ، تأسست مستعمرات أخرى قريبة منها . وقد قامت احدى هذه المستعمرات ، وهي التي شغلت منطقة خليج ماساتشوستس بعد سنة ١٦٣٠ ، بدور هام في تقدم نيوإنجلند كلها . وقد أسسها خمسة وعشرون رجلاً حصلوا على مرسوم ملكي بذلك بتوجيه من الحاكم جون وينتروب . فجاءه بعض هؤلاء الرجال مع جماعة من المستوطنين الى امريكا ، حاملين ذلك المرسوم معهم ، عاكدين العزم على النجاح وعلى الاستمرار في العمل المضني طلباً للعيش . وفي خلال السنين العشر الاولى وصل خمسة وستون من الوعاظ المتضلعين في اللاهوت ، فقامت في ماساتشوستس حكومة دينية كنتيجة منطقية لقوة ايمان زعمائها وتمسكهم بعقيدتهم . لقد كانت الكنيسة والدولة منفصلتين ، من الناحية النظرية ، ولكنهما كانتا في حقيقة الأمر شيئاً واحداً . فكانت جميع النظم خاضعة للدين وسرعان ما ظهر نظام حكومي تمتع فيه رجال الدين بالنفوذ والسلطان . وقد سنحت الفرصة في الندوات الشعبية لمناقشة المسائل العامة ، وحصل المستوطنون بذلك على بعض الخبرة في

المصدر : مكتبة الكونجرس . واشنطن العاصمة



هذه الخريطة القديمة لـ « الدنيا الجديدة » ظهرت في سنة ١٧٢٩ ضمن أطلس من انتساج هرمان مول . وقد ظل هناك نزاع على الجلود بين « المستعمرات » حتى بعد الثورة الأمريكية واتحاد « الولايات » .

الحكم الذاتي . ومع ان المدن قد تدرجت في الأخذ بأهداب النظام الكنسي ، فقد ساهم الاهالي جميعاً في القيام بما يتطلبه الوطن من الترامات ، كما ساهموا في الاجتماعات الثورية ، متأثرين في ذلك بما كانت تتطلبه حياة الحدود من ضرورات . ومع هذا فقد ظل رجال الدين سنوات عديدة وهم يحاولون الاستمرار في السير حسب النظام الكنسي يساعدهم في ذلك المحافظون من الشعب . بيد انهم لم يسبحوا في تقييد عقل كل مواطن . ومن امثال هؤلاء رودجر وليامز وكان قسيساً تقياً ، ورجلاً فذاً متعمقاً في القانون ، شك في حق الاستيلاء على أراضي الهنود وفي حكمة الابقاء على وحدة الكيسة والدولة . وقد حكمت عليه المحكمة العامة بالنفي لانه اذاع رأيه الجديد الحطير ضد سلطة الحكام . ولكنه وجد ملجأ له بين الهنود المسلمين في رودأيلند ، ولم يلبث ان أسس هناك مستعمرة تقوم على حق الناس في الايمان بما يرضون لأنفسهم من دين ، وعلى انفصال الكنيسة والدولة الى الأبد .

ولكن غير المتدينين الذين راحوا يتلمسون حرية الفكر ، لم يكونوا وحدهم الذين تركوا ماساتشوستس ، بل ان البيوريتان المتمسكين بالدين قد رحلوا هم أيضاً عن هذه المستعمرة للبحث عن اراض وفرص أفضل ، وقد استرعت الانباء التي ذاعت عن خصب وادي نهركونيتكت مثلاً ، اهتمام الزراع الذين قاسوا الأحوال ابتغاء تحسين اراضيهم المجدية ، وكانوا على استعداد لان يجازفوا بالتعرض لخطر الهنود مقابل الحصول على الأراضي المستوية والتربة الخصبة القوية . ولما اقامت هذه الجماعات حكومتها عممت حق التصويت وألغت ضرورة الانتماء الى الكنيسة ، كمؤهل للتصويت . وقد تسلل في الوقت نفسه ، آخرون من مستوطني ماساتشوستس الى المنطقة الواقعة شمالاً ، وسرعان ما استقر في نيوهامشير رجال ونساء كانوا ينشدون الأرض والحرية . وبينما كانت مستعمرة خليج ماساتشوستس تمد نفوذها بطريقة غير مباشرة إلى الخارج ، كانت المنطقة تنمو شيئاً في الداخل وتوسع تجارتها التي أخذت في الازدهار منذ منتصف القرن وبعده ، وأصبحت بوسطن من أهم موانئ أمريكا . وجلبت من الغابات الشمالية الشرقية أشجار البلوط لصنع هياكل السفن ، وأشجار الصنوبر الطويلة لصنع ساريات السفن وأشرعتها ، والغار لطلاء الالواح وملء ما بينها . أما ربابنة السفن في خليج ماساتشوستس الذين بنوا سفنهم بأنفسهم وأبحروا بها الى جميع موانئ العالم محملة بالبضائع ، فقد كانوا أساس حركة تجارية بحرية متزايدة الأهمية . ولما قارب عصر الاستعمار نهايته ، كان ثلث عدد السفن التي يرفرف عليها العلم البريطاني قد صنعت في أمريكا . وقد ساعد على زيادة الصادرات تصدير الفائض عن حاجة البلاد من المواد الغذائية والمؤن البحرية والمصنوعات الخشبية . وسرعان ما اكتشف تحار الشحس في نيوانجلند ان مشروب الروم والرقيق كانا من السلع التي تدر عليهم الربح الوفير .

أما القسم الثاني فهو المستعمرات الوسطى . وكان المجتمع في هذه المستعمرات أكثر اختلافاً وتنوعاً في سكانه ، وأكثر تسامحاً من مستعمرات نيوانجلند ، أما بنسلفانيا

وديلوير الملحقة بها ، فكانتا تدينان بما أحرزتا من نجاح في أول الأمر ، إلى «وليم بن» أحد أعضاء طائفة الكويكرز . وكان رجلاً عملياً إذ كان يهدف إلى ان يجتذب إلى الاقليم مستوطنين يدينون بمختلف العقائد وينتمون إلى جنسيات عديدة . وقد عقد وليم بن العزم على ان تكون هذه المستعمرة قدوة في العدل والاستقامة في معاملة الهنود ، فأخذ يعقد معهم اتفاقات راعاها بدقة ، وبذلك حافظ على السلام في هذه الارض الموحشة . وقد سارت امور هذه المستعمرة في سهولة ونمت بسرعة . وبعد انقضاء سنة على وصول وليم بن ، وفد على بنسلفانيا ثلاثة آلاف من المواطنين الجدد . وكان قلب هذه المستعمرة مدينة فيلادلفيا ، التي سرعان ما اشتهرت بشوارعها المتسعة التي تظللها الأشجار ، وبيوتها المتينة المبينة بالآجر والحجارة ، وارضفتها البحرية نشيطة الحركة ، حتى اذا ما بلغ عهد الاستعمار نهايته ، كان يعيش هنالك ثلاثون ألفاً من الناس يمثلون كثيراً من اللغات ، والعقائد ، والمهن . أما طائفة « الكويكرز » فقد جعلت هذه المدينة من المراكز المزدهرة في أمريكا وذلك بفضل مواهبهم التي كفلت لهم النجاح فيما أقدموا عليه من أعمال ومشروعات .

ومع ان الكويكرز كانوا أكثر سكان فيلادلفيا فقد كانت الطوائف الأخرى ممثلة خير تمثيل في جهات أخرى من بنسلفانيا ، فقد أصبح الالمان أكثر مزارعي الاقليم مهارة ، وكان من أهم العوامل التي ساعدت على تقدم هذه المستعمرات ، حذق الالمان للصناعات المنزلية ، كالنسيج ، وصنع الأحذية ، والأثاث وغير ذلك من الحرف والصناعات . وكانت بنسلفانيا كذلك المنفذ الرئيسي لهجرة عدد كبير من الاسكتلنديين والاييرلنديين إلى الدنيا الجديدة . وهؤلاء كانوا من رجال الحدود الأشداء ، ومن ثم استحوذوا على الأرض اينما ارادوا ودافعوا عن حقوقهم بالقوة . ولما كانوا يؤمنون بالحكم النيابي وبالدين ، وبالعلم ، فقد أصبحوا طلائع المدنية حيثما توغلوا في تلك الفياقي والقفار .

وبقدر ما تميزت بنسلفانيا بتنوع الأجناس والشعوب ، كانت نيويورك مثالاً للصورة التي طبعت أمريكا فيما بعد كامة تضم اناساً ينطقون بلغات عديدة . ففي سنة ١٦٤٦ كان المرء يسمع اثنتي عشرة لغة يتكلم بها الناس على طول نهر هدسن حيث تألف السكان من هولنديين ، وفلمنك ، والونيين ، وفرنسين ، ودانيمركيين ، ونرويجيين ، وسويديين ، وانجليز ، واسكتلنديين ، ولمان ، وبولنديين ، وبوهيميين ، وبرتغاليين ، وايطاليين . وكان هؤلاء هم الرواد الذين سبقوا الملايين من مواطنيهم الذين نزحوا إلى هذه البلاد في القرون التالية .

مخلفات النفوذ الهولندي

وقد امتلك الهولنديون مستعمرة نيونذرلاند ، التي اصبحت تعرف فيما بعد بنيويورك ، مدة أربعين عاماً ولكنهم لم يكونوا قوماً تعودوا الهجرة ، ولم يهيئ لهم

الاستعمار ميزات سياسية اودينية حرموا منها في هولندا . هذا فضلاً عن ان شركة الهند الغربية الهولندية التي أخذت على عاتقها تأسيس مستعمرة الدنيا الجديدة ، رأت من الصعب ان تجند الموظفين الأكفاء الصالحين لادارة هذه المستعمرة كما ينبغي فلما تجدد اهتمام البريطانيين بالاستعمار ، انترعوا المستعمرة الهولندية عن طريق الفتح في سنة ١٦٦٤ . غير ان الهولنديين ظلوا بعد ذلك بزمن طويل ينعمون بنفوذ اجتماعي واقتصادي عظيم ، وأصبحت سقوف بيوتهم المائلة المدرجة جزءاً ثابتاً من مناظر طبيعة هذه البلاد . وأفاض تجار المستعمرة على المدينة جواً تجارياً ممتازاً . وكذلك اوجد الهولنديون في نيويورك نمطاً حياتياً يختلف كثيراً عن نمط بوسطن القاسي الذي تتميز به حياة البيوريتان هناك . فقد تميزت العطلات في نيويورك باقامة الولايم وما تتضمنه من مرح وطرب وسرور . وانتشر في ارجاء البلاد كثير من العادات الهولندية ، كزيارة الجيران ومشاركتهم في تناول قدح من التراب في عيد رأس السنة ، وزيارة القديس نيقولا في يوم عيد الميلاد . وبعد ان خرجت هذه المستعمرة من نطاق النفوذ الهولندي ، عمل مديرها الانجليزي ، ريتشارد نيكولز ، على اعادة تنظيم اصول التشريع في نيويورك . وقد قام بعمله تدريجياً ، وفي حكمة ولباقة اكسبته صداقة الهولنديين والانجليز واحترامهم . ولقد انصف نظام الحكم في المدن بمزايا الاستقلال الذاتي الذي تمتعت به مدن نيوانجلند . وما هي الا سنوات قليلة حتى تم اندماج ما تبقى من القانون والعادات الهولندية بالانظمة والأساليب الانجليزية .

وفي سنة ١٦٩٦ كان يعيش في مقاطعة نيويورك حوالي ثلاثين الف نسمة ، وازدهرت الضياع العظيمة في حوض نهرى الهدسن والموهوك وغيرها من أحواض الأنهار الغنية . وساعد مستأجرو الأراضي وصغار الملاك على تقدم الزراعة في هذا الاقليم . وفي معظم أيام السنة كانت المراعي والغابات تفي بحاجة الماشية ، والأغنام ، والخيول ، والخنازير من الغذاء ، ونما التبغ والكتان بسهولة ، وكثرت الفواكه ولاسيما التفاح . وبقدرة تقدم المنتجات الزراعية ، ساعدت تجارة الفراء على نمو المستعمرة . ذلك لأن نهر هدسن الذي يتصل بألباني - على بعد ٢٣٢ كيلومتراً الى الشمال من نيويورك - كان طريقاً مائياً سهلاً لشحن الفراء وحاصلات الشمال الزراعية الى ميناء نيويورك .

الزراعة تسيطر على الجنوب

وتختلف فرجينيا ، وماريلاند ، وكارولينا الشمالية ، وكارولينا الجنوبية ، وجورجيا اختلافاً كبيراً عن نيوانجلند والمستعمرات الوسطى نظراً لطابعها الزراعي الذي تتميز به هذه المستعمرات . وكانت جيمس تاون في فرجينيا أولى المستعمرات التي قدر لها البقاء في الدنيا الجديدة . وفي أواخر ديسمبر سنة ١٦٠٦ رحلت جماعة تتألف من مائة رجل مختلفي المشارب والأمزجة ، بكفالة شركة استعمارية بلندن سعياً وراء المغامرات .

وكانت لهم أحلامهم في الاثراء السريع من الذهب ، ولم يكن هدفهم الاستقرار في هذه البراري ، وكان ابرز رجالاتهم جون سميث الذي استطاع بفضل قوة ارادته - رغم المشاحنات والمجاعة وتهديد الهنود الدائم - ان يحفظ لهذه المستعمرة الصغيرة تماسكها في السنوات الاولى من ادارته . وكانت الشركة في الأيام الاولى تتطلع الى الربح العاجل ، فطلبت من المستعمرين ان يركزوا جهودهم في انتاج الأخشاب وغيرها من المنتجات لبيعها في أسواق لندن ، وذلك بدل السماح لهم بزراعة الحاصلات الضرورية لحياتهم . ولكن بعد سنوات قليلة مليئة بالكوارث ، خففت الشركة من مطالبها ، ووزعت الأرض على المستعمرين . ثم حدث في سنة ١٦١٢ انقلاب اقتصادي في فرجينيا ، ذلك هو اكتشاف طريقة لتحضير تبغ فرجينيا يجعله سائغاً لأذواق الأوروبيين . وقد وصلت الشحنة الأولى من ذلك التبغ الى لندن سنة ١٦١٤ ، وفي خلال عشرين سنوات أصبح هذا النبات مصدر دخلها الرئيسي

وأدت زراعة التبغ الى انهلاك التربة بعد عدة مواسم . فاضطر الزراع الى الحصول على المزيد من الأرض ليضمّنوا لأنفسهم مساحات إضافية جديدة يمكن زراعتها بالتبغ . ولما كانت الضرورة تقضي بأن تقوم المزارع بالقرب من مراكز المواصلات السهلة ، فقد انتشر الزراع بسرعة على طول الطرق المائية العديدة شمالاً وجنوباً . ولم تكن في هذا الاقليم مدن تذكر ، وحتى العاصمة جيمس تاون ، لم يكن فيها سوى عدد قليل من البيوت . ورغم ان معظم المهاجرين قد جاؤوا الى فرجينيا لتحسين مركزهم الاقتصادي ، فقد أدت العوامل الدينية بالإضافة الى العوامل الاقتصادية ، الى نمو مستعمرة ماريلاند المجاورة . تلك التي حاولت اسرة كالفرت ان تجعل منها ملجأً للكاتوليك في الدينس الجديدة . غير ان اسرة كالفرت اهتمت الى جانب غرضها هذا ، بتأسيس الضياع التي تدر عليها الربح . ولكي يحققوا هذه الغاية ، ويتجنبوا المتاعب التي قد تثيرها الحكومة البريطانية ، شجع آل كالفرت البروتستانت كما شجعوا الكاثوليك على الاستقرار بين ظهرانيهم .

أما فيما يتعلق بالنظام الاجتماعي والدولاب الحكومي ، فقد حاول آل كالفرت أن يجعلوا من ماريلاند بلاداً أرستقراطية بالمعنى التقليدي ، كما كانوا يحلمون بحكمها بكل ما يتمتع به الملوك من امتيازات وحقوق . غير ان روح الاستقلال كانت قوية في هذا المجتمع الحدودي ، وعلى هذا لم يستطع المسؤولون في ماريلاند ، كما في غيرها من المستعمرات ، أن يخادعوا المستوطنين الذين كانوا يتمسكون بشدة بالضمانات التي كفلها لهم القانون الإنجليزي العام ليتمتعوا بحرياتهم الشخصية ، وبحقوقهم الطبيعية كراعيا ، فساهموا في الحكم عن طريق الجمعيات التياية .

وقد أقامت ماريلاند اقتصاداً شبيهاً باقتصاد فرجينيا ، فانصرفت هاتان المستعمرتان الى الزراعة وسادت فيهما طبقة من كبار أصحاب الأراضي . وكان لكل من هاتين المستعمرتين قطر مجاور يتسرب اليه باستمرار صغار اصحاب الأراضي . كما عانت

كلتاها متاعب بسبب النظام الزراعي القائم على الدورة الواحدة . وقبل منتصف القرن الثامن عشر اترت تجارة الرقيق في ثقافة هاتين المستعمرتين حين اضطلع اغنياء المزارعين بمسؤولياتهم الاجتماعية بطريقة حديثة ، فمن أعمال القضاء ، الى قيادة قوات الميليشيا ، والاشتراك في الجمعيات التشريعية . ولكن صغار المزارعين اشتركوا أيضاً في الجمعيات الشعبية ، وشقوا طريقهم إلى المناصب السياسية ، وكان ما يتصفون به من روح الاستقلال نديراً لأصحاب السلطان من المزارعين ألا يفتأوا على حقوق الأحرار .

وفي أواخر القرن السابع عشر ومستهل القرن الثامن عشر امتاز النظام الاجتماعي في ماريلاند وفرجينيا بصفات وخصائص احتفظ بها حتى قيام الحرب الأهلية . وقد استأثر الذين استعانوا بالارقاء في الزراعة ، بمعظم النفوذ السياسي ، كما استأثروا بأجود الأراضي فشيّدوا البيوت الضخمة ، واتخذوا مظاهر الحياة الارستقراطية وحافظوا على اتصالهم بمعالم الثقافة فيما وراء البحار . وجاء بعد هؤلاء في المستوى الاقتصادي والاجتماعي المزارعون الذين تحققت آمالهم في الثروة في الارض الخصبة بالبلاد الداخلية . وكان صغار المزارعين أقل ثراء من الآخرين ، وقد جاهدوا في سبيل البقاء في وجه منافسة المزارعين الذين يستخدمون الرقيق ولم تقم في فرجينيا او في ماريلاند طبقة من التجار ، ذلك لأن المزارعين انفسهم كانوا يتاجرون مع لندن مباشرة .

وقد أصبحت كارولينا الشمالية وكارولينا الجنوبية بمينائها الرئيسي (تشارلستون) المركز التجاري للجنوب . ولم يلبث المهاجرون هنا ان جمعوا بين الزراعة والتجارة ، واصبحت التجارة مصدراً رئيسياً للازدهار . كذلك كانت الغابات مصدراً للرزق ، فالغاز والراتنج المستخرج من أشجار الصنوبر ، كانا من أحسن السلع العالمية التي كانت السفن تشحنها . ولم تقتصر كارولينا الشمالية وكارولينا الجنوبية على غلة واحدة كما كانت الحال في فرجينيا بل انهما انتجتا الأرز والنيلة ومستلزمات الملاحة . وما ان حلت سنة ١٧٥٠ حتى أصبحت المستعمرتان تضمّان نيفاً ومئة الف نسمة .

أما في الجنوب فقد أصبح نمو الاقاليم الداخلية نمواً ملحوظاً له اهميته وشأنه في جميع المستعمرات . وهرع الى هذا الاقليم كل من كان يسعى لنيل قسط من الحرية او فرماً كان يتمتع به في المستعمرات الساحلية الأصلية ، كما ان الذين اخفقوا في امتلاك الأراضي الخصبة على الساحل ، واولئك الذين استنفدوا خصوبة ما استولوا عليه من أراض ، قد وجدوا في تلال الغرب ملجأ مثمراً . وسرعان ما ظهرت في داخل البلاد ضياع مزدهرة . ولم يكن فقراء المزارعين هم الذين اجتذبهم هذه الأراضي ، اذ استقر في البلاد الجبلية بيتر جيفرسون - والد توماس جيفرسون رئيس الولايات المتحدة الثالث - واشترى اربعمائة فدان من الأرض لقاء قدح من مشروب البنش .

وعلى الرغم من أن عدداً من كبار أصحاب الأراضي قد انتشروا بين هؤلاء الذين ثقوا طريقهم في سفوح التلال ، فان معظم أولئك الذين هجروا المستعمرات الشرقية الأصلية كانوا رواداً بسطاء مشبعين بروح الاستقلال . ولما كانوا يعيشون على حدود مناطق الهنود ،

كانت اكواخهم هي حصونهم ، واعتمدوا في حماية انفسهم على ابصارهم الحادة وبنادقهم الجيدة الصنع . فأصبحوا بالضرورة قوماً شديدي البأس يعتمدون على انفسهم . وقد طهروا أجزاء من البراري واحرقوا الشجيرات البرية ، وزرعوا الذرة والقمح بين الجلنوع ، وارتنى الرجال قمصان الصيد والاطماق المصنوعة من جلد الغزال ، ولبست النساء مناطق بسيطة من صنع ايديهن . وكان غذاؤهم يتكون من لحم الغزال ولحم الديكة الرومية البرية والسلك . وكانت وسائل التسلية لديهم مرحلة عاصفة ، فمن حملات شواء إلى حفلات للسمر بمناسبة الزواح ، والرقص ، والشراب ، ومباريات الصيد والرماية .

بداية النشاط المدرسي والثقافي

لقد كان الفرق واضحاً بين أقاليم ساحل المحيط الاطلنطي الآهلة بالسكان والمناطق الداخلية . ولقد جعل الذين جاؤا من الجهات الغربية اصواتهم مسموعة في المناقشات السياسية ، معارضين قصور العادات والتقاليد . واهم من ذلك كله ، عامل فعّال حال دون نجاح السلطات في الجماعات القديمة في عرقلة التغيير والتقدم ، ذلك هو سهولة حصول المستوطنين من سكان المستعمرات القديمة على مواطن جديدة على الحدود . وهكذا ارغمت الشخصيات الكبيرة في المستعمرات الأصلية المرة بعد المرة ، على انتهاج خطط سياسية حرة ، وعلى التساهل في الطلبات الخاصة بمنح الأراضي ، وفي الشؤون الدينية . فلم يكن ثمة مجال للتراخي في مجتمع قوي نتج عن بلاد أخذت في الاتساع ، وكان الانتقال الى سفوح الجبال عظيم الأهمية لمستقبل أمريكا .

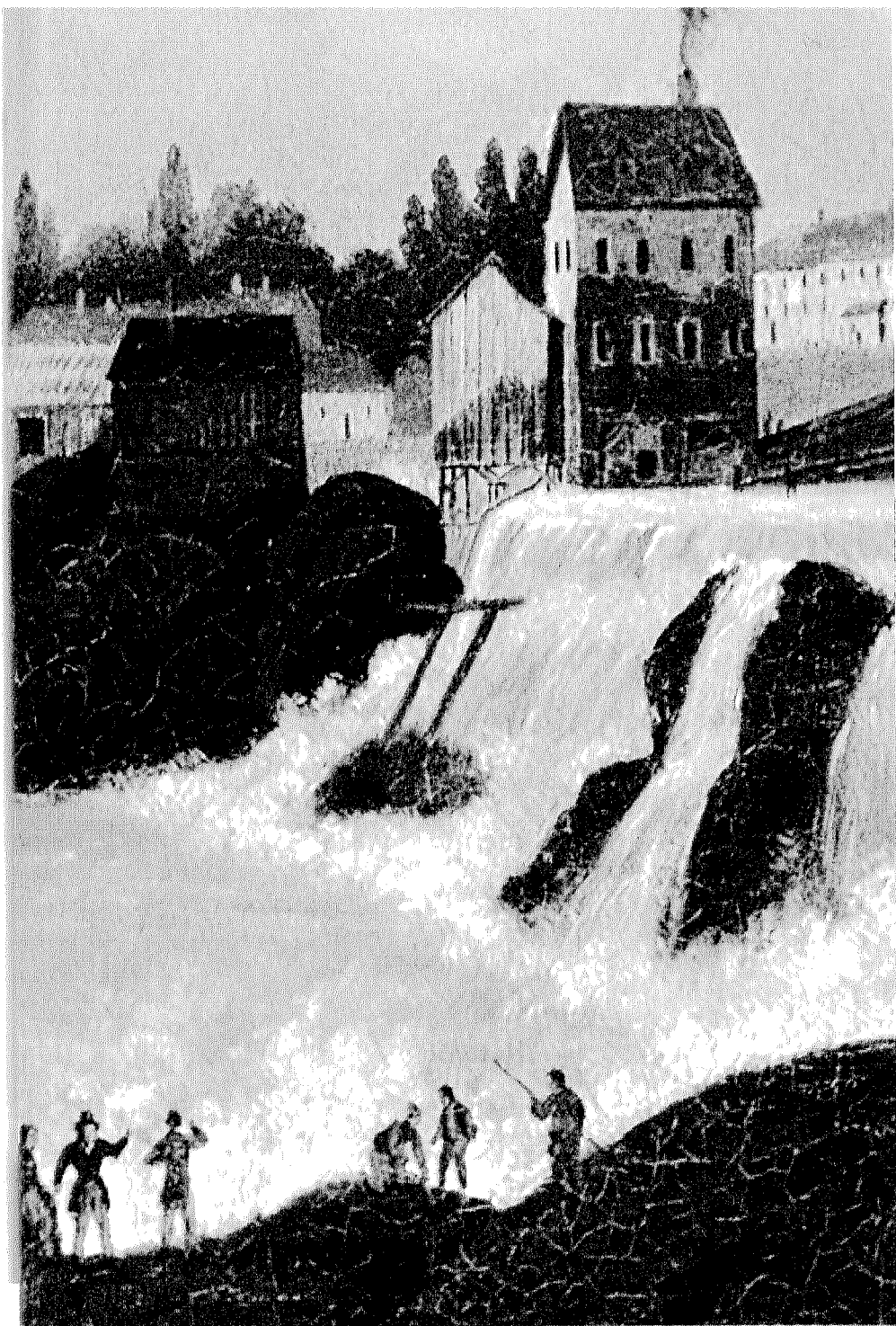
ولم تكن المؤسسات التربوية والثقافية الأمريكية التي قامت في عصر الاستعمار، أقل أهمية في مستقبل البلاد - فقد تأسست كلية هارفارد في مساتشوستس عام ١٦٣٦ . وحوالي نهاية هذا القرن أسست كلية وليام وماري في فرجينيا ، وبعد سنوات قليلة نص قانون كونيتكت على تأسيس الكلية التي أصبحت فيما بعد جامعة ييل . غير أن قيام نظام المدارس العامة كان من أبرز مظاهر تاريخ التعليم في أمريكا . وفي سنة ١٦٤٧ نص القانون في مستعمرة خليج مساتشوستس على ادخال نظام التعليم الابتدائي الاجباري . وهذا القانون نفسه سرعان ما اتبعته مستعمرات نيوانجلند ، عدا مستعمرة رود ايلاند .

أما في الجنوب فقد بلغ من اتساع الضياع والمستعمرات الزراعة ونفرقتها وعزلتها ان أصبح من المستحيل تأسيس مدارس يلتحق بها أبناء الطوائف المختلفة ، شبيهة بالمدارس التي تأسست في غيرها من المستعمرات المتقاربة ، والتي تتصل بعضها ببعض اتصالاً وثيقاً . وكان المزارعون يتصلون احياناً بجيرانهم الاقربين ويستخدمون المعلمين الخصوصيين لتعليم اولادهم ، وارسل بعض الاولاد الى انجلترا لتلقي العلم في مدارسها . أما في المستعمرات الوسطى ، فكانت الحال مختلفة . فقد أدى انشغال نيويورك

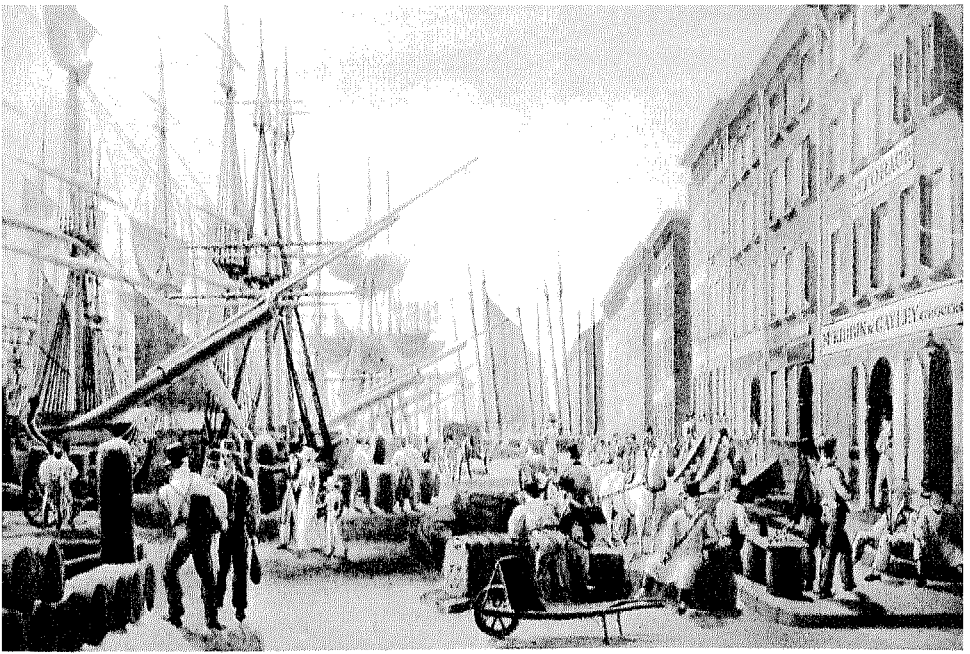


بلايوت في ١٦٢١ : هنود الحمر يشاركون المسلمين في احتفالهم لالة أيام للشكر على أول حصاد .

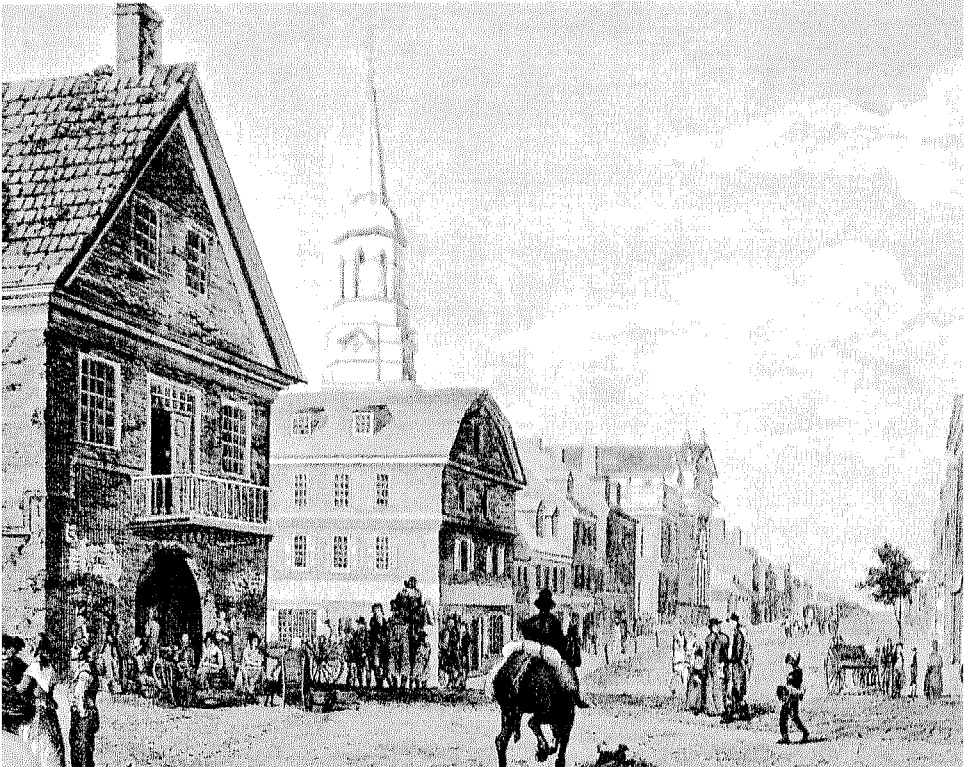
كانت متطلبات الحياة في الدنيا الجديدة لا تدع للناس غير وقت قليل للاحتفالات غير أن فئتي السنوات الأولى - وسنوات كثيرة بعدها - قد أبدعوا تاريخاً من الانطباعات لمشاهد البهجة ، والكد ، والتصميم على توطيد أركان الدولة الفتية .



شغلت بلاكتون ، في رود آيلاند ، أول مكبات عرفتها الولايات المتحدة لتمشيط القطن وغزله .



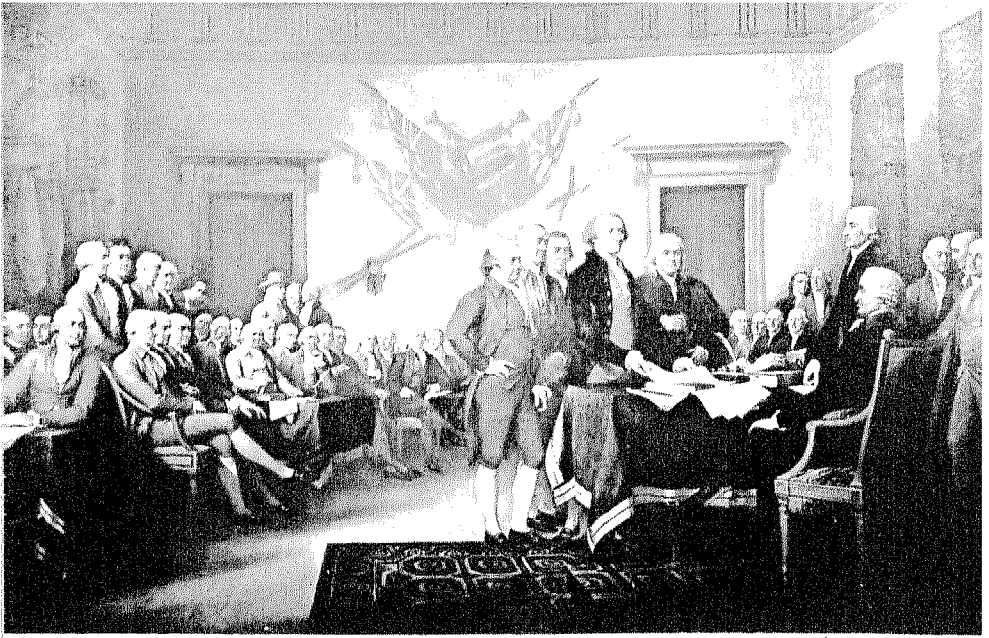
انتهت الثورة وغدت نيويورك بسرعة مركزاً تجارياً ، يزخر نهرها الشرقي بالسفن التي تقصد الموانئ الأجنبية . تحت : مدينة فيلادلفيا المزدهرة التي كانت مقراً لكونغرس المستعمرات ، ظلت طوال عشر سنوات عاصمة الولايات المتحدة الأمريكية وقد أنشأت أول مدرسة للطب وأول صحيفة يومية عرفتها البلاد .



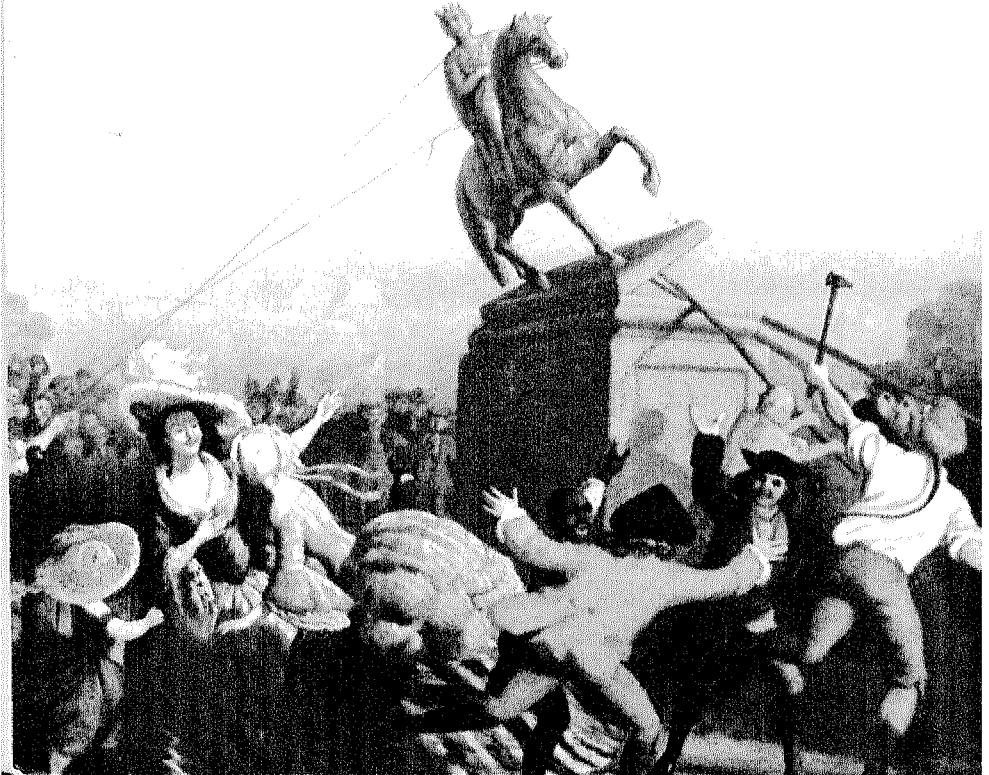


الفتان بول ريفير يخلد الشراة الأول للاتفافسة التي شهدتها يوم أنجلند - في بوسطن والتوتر على أشده ، رد البريطانين على كرات التلج ببنيران البنادق . تلك كانت مذبحة بوسطن الشهيرة . أما رسم جون ترمبول لـ كورنواليس (في الصورة تحت) فيعكس عجرفة القائد ومذلتته عند الاستسلام .





«أرواحنا، وأقدارنا، وشرفنا المقدس...». هكذا رسم الفنان جون ترمبول حفلة توقيع إعلان الاستقلال التاريخية. ويرى في الصورة (تحت) : النيبيريكيون. وقد قرأوا التيسام بالوفرة. يتلون نعال الملك جورج من على قاعدته لصهره وصنعه رماسا للينادق. وذلك احتفالا منهم بالحرية المقبلة.

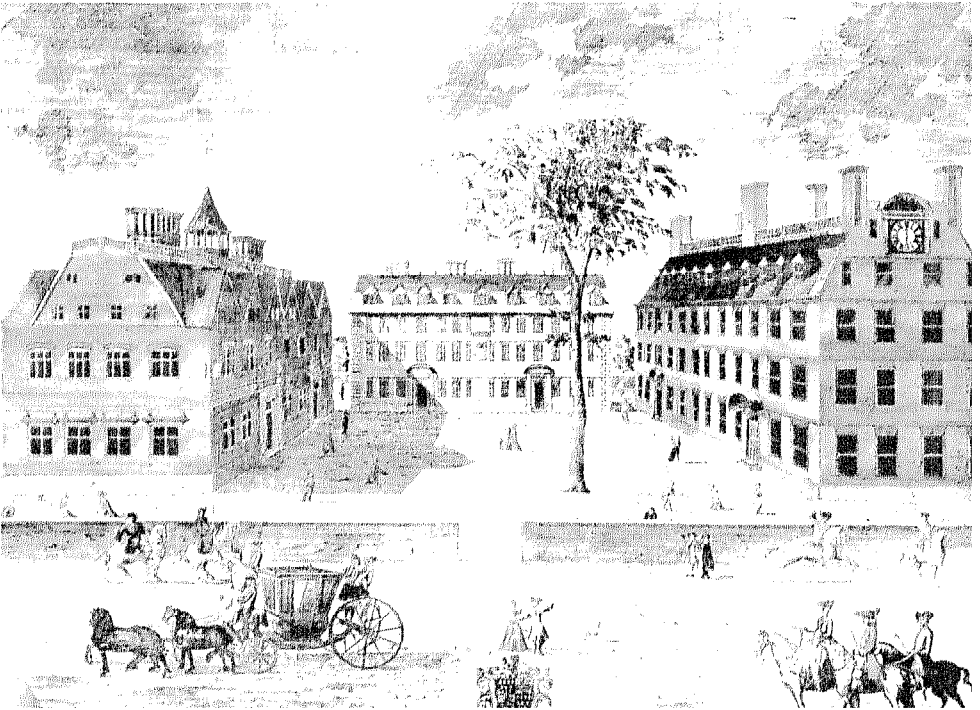




رسم بريشة الفنان ويست ل. بنجامين فرانكلين تمثله وهو يجري تجاربه الكهربائية ، وتتجلى فيه مسحة سحرية .



كان الليورتيانيون يهتمون اهتماماً حيوياً بالتعليم ، وقد انتظروا فقط ١٦ عاماً قبل انشاء كلية هارفارد ، التي تراها تحت
كما كانت في سنة ١٧٢٦ . و فوق ، لوحة بنجامين ويست التي تصور وليام بين وهو يطوي معاهدة ١٦٨٣ .
ووفقاً لبنود هذه المعاهدة ازدهر المنود والمستوطنون في ظل السلام والاحترام المتبادل .





في مواسم الحصاد يتعاون الجيران معا . وأحيانا يسرعون في العمل لئلا يباغتهم الصقيع . وكان من وسائل التسلية القليلة التي عرفتها أمريكا في أيامها الأولى . الرقص الذي يتراوح بين الرقص التقليدي الأوربي والرقصات الرباعية الجماعية الحية تقام على أرض الحفائير ومخازن الحبوب وكانت تعقب عادة مشاق الحصاد .



المفرط بالتقدم المادي ، إلى حد انصرفت معه عن الاهتمام بالشؤون الثقافية ، إلى تحلف ملحوظ من ناحية التعليم . وكانت المدارس فقيرة ، ولم تبدل الحكومة سوى جهود متقطعة لتوفر للمنطقة ما كانت تحتاج اليه من تسهيلات عامة . ولم يتم تأسيس كلية نيوجرسي في برنستون ، وكلية الملك (جامعة كولومبيا الآن) في مدينة نيويورك ، وكلية الملكة (راتحر الان) في نيويورك ونسويك ، نيوجرسي ، إلا في منتصف القرن الثامن عشر .

وكانت بنسلفانيا من أكثر المستعمرات إقداماً في مجال التعليم ، فقد قامت المدرسة الأولى التي بدأت في سنة ١٦٨٣ بتعليم القراءة والكتابة ومسلك الدفاتر ، وبعد ذلك أعدت كل جماعة من جماعات الكويكرز عدتها لتزويد أطفالها بمرحلة التعليم الأولى ، وقامت مدرسة الأصدقاء العامة - التي لا تزال في فيلادلفيا حتى الآن وتعرف باسم معهد ولیم بن - بتنظيم الدراسات العليا في اللغات الأوروبية القديمة والتاريخ والأدب . وكان التعليم في هذه المدرسة مجانياً للقراء ولكن كان يتحتم على الآباء من أهل اليسار أن يدفعوا الرسوم نظير تعليم أبنائهم .

وفي فيلادلفيا قامت مدارس خاصة كثيرة لا صلة لها بالمؤسسات الدينية ، بتعليم اللغات والرياضيات والعلوم الطبيعية ، كما كانت هنالك مدارس ليلية للراشدين . ولم يتجاهل أهالي هذه المستعمرات تعليم البنات ، إذ قام المعلمون الخصوصيون بتعليم سنوات ذوي اليسار من أهالي فيلادلفيا اللغة الفرنسية والموسيقى ، والرقص ، والتصوير ، والغناء ، وقواعد اللغة ، وأحياناً مسلك الدفاتر أيضاً .

وقد ظهر أثر تقدم بنسلفانيا الفكري والثقافي ، إلى حد كبير ، في الشخصية القوية التي امتاز بها إثنان من رجالات ذلك العصر ، وهما جيمس لوحان وبنيامين فرانكلين . وكان لوجان سكرتير هذه المستعمرة ، وكان الشاب بنيامين فرانكلين يجد في مكتبته البديعة أحدث المؤلفات العلمية . وفي سنة ١٧٤٥ ، شيد لوجان مبنى لمجموعته وقفه مع كتبه على المدينة . على ان فرانكلين نفسه قد ساعد كثيراً على إثارة النشاط الفكري في فيلادلفيا ، فقد أنشأ نادياً عرف باسم « جونتو » ، كان النواة لجمعية فيلادلفيا الفلسفية . وكان من أثر جهوده في خدمة العلم انشاء أكاديمية عامة تحولت فيما بعد إلى ما يُعرف بجامعة بنسلفانيا . وكان كذلك الدافع الرئيسي لتأسيس « مكتبة المساهمة » التي سمّاها « ام جميع مكتبات المساهمة في أمريكا الشمالية » .

وفي الجنوب كانت كتب التاريخ وآداب اللغتين اليونانية واللاتينية ، والعلوم ، والقانون تتداول بشكل واسع بين مزرعة وأخرى . وتأسست في مدينة تشارلستون (في كارولينا الشمالية) التي كانت قد أصبحت مركزاً للموسيقى والتصوير والمسرح ، مكتبة اقليمية قبل عام ١٧٠٠ .

وفي نيوانجلند جاء المهاجرون الاولون بمكتباتهم الصغيرة ، ولم ينقطعوا عن استيراد الكتب من لندن . وفي مستهل العقد التاسع من القرن السابع عشر ، راجت تجارة نائبي

الكتب في بوسطن ، من بيع كتب آداب اللغات القديمة والتاريخ ، والشؤون السياسية ، والفلسفة ، والوعظ ، واللاهوت ، والأدب . والرغبة في ارتشاف العلم لم تقف عند حدود الجماعات المستقرة وحدها ، فقد حرص الاسكتلنديون والاييرلنديون الأشداء الذين كانوا يعيشون في أكواخ بسيطة على الحدود ، على طلب العلم ، وبذلوا جهوداً كبيرة لاجتذاب العلماء من القس إلى مستعمراتهم .

وقد اقتصر الإنتاج الأدبي في المستعمرات إلى حد كبير على نيوانجلند . ويلاحظ هنا أن الاهتمام قد وجه بصفة خاصة إلى الموضوعات الدينية . وكانت المواعظ هي المادة الرائجة فيما تصدره المطابع . وقد ألف القس (كوتن مادر) بمفرده نحو أربعمئة كتاب ، وكان أحسن مؤلفاته كتاب « انتصار المسيح في أمريكا » الذي لم يكن بد من طبعه في لندن بسبب ضخامته . ويستعرض هذا الكتاب تاريخ نيوانجلند كما رآه ذلك المؤلف المتحيز المتحدلق . وكان أكثر المؤلفات شهرة واستحساناً لدى الجمهور القصيدة الطويلة التي نظمها الاب (مايكل ويجلزورت) بعنوان « يوم القيامة » والتي ختمها بوصف يوم الحساب في عبارة نارية تثير الفزع في النفوس .

الصحافة تؤكد على حرياتها

وقد أسست كمبردج (بماساتشوستس) داراً للطباعة في وقت مبكر . وفي سنة ١٧٠٤ صدرت أولى صحف بوسطن الناجحة ، ولم يلبث أن دخلت الميدان صحف كثيرة لا في نيوانجلند وحدها بل في المناطق الأخرى كذلك . ففي نيويورك مثلاً وقع حدث من أهم الأحداث في تطور الصحافة الأمريكية ، وكان ذلك في قضية بيترزنجير ، الذي أصدر صحيفة « نيويورك ويكلي جورنال » سنة ١٧٧٣ ، وجعلها لسان حال المعارضة . فقد حدث بعد سنتين من إصدار هذه الجريدة أن ضاق حاكم المستعمرة ذرعاً بتهمكم زينجر اللاذع فألقى به في غياهب السجن بتهمة القذف . واستمر زينجر يحزر صحيفته وهو في السجن إبان محاكمته التي استغرقت تسعة أشهر والتي أثار اهتماماً بالغاً في أرجاء المستعمرات كلها . وقد تولى الدفاع عنه أندرو هملتون الحمامي الشهير . وكانت حجته أن الحملات التي شنّها موكله في صحيفته كلها حقائق ومن ثم لا تدخل في نطاق جرائم القذف . وقد حكمت المحكمة ببراءة زينجر وأطلقت سراحه . وكان هذا الحكم أساساً من أسس تقرير مبدأ حرية الصحافة .

ولقد كان نقص الإشراف من جانب الحكومة الإنجليزية أكبر الطواهر البارزة في جميع أطوار التقدم الاستعماري . وكانت المستعمرات في مبدأ تكوينها تتمتع بحرية واسعة في اتباع الطريق الذي توحى إليها ميولها أو مقتضيات ظروفها . كذلك لم تشترك الحكومة الإنجليزية اشتراكاً مباشراً في تأسيس مستعمرة من المستعمرات العديدة باستثناء مستعمرة جورجيا ، ولكنها أخذت تشترك تدريجياً في توجيه هذه المستعمرات من الناحية

السياسية . ومهما يكن من أمر ، فإن تخلي الملك عن سلطانه المباشر على مستعمرات الدنيا الجديدة إلى الملاك والشركات المساهمة لم يعن أن المستعمرين في أمريكا قد تحرروا كلياً أو جزئياً من الإشراف الخارجي . فقد نص ترخيص مستعمرتي فرجينيا وخليج ماساتشوستس مثلاً ، على منح الشركات صاحبة الشأن السلطة التامة للحكم ، وعلى أن تتخذ هذه الشركات انجلترا مقراً لها . وبذلك لا يكون لأهالي أمريكا صوت في حكومتهم ، فكأنما احتفظ الملك لنفسه بالحكم المطلق .

تعطيم الحكم الخارجي

على أن الحكم الخارجي المطلق قد تحطم بطريقة ما ، وكانت الخطوة الأولى في هذا السبيل ذلك القرار الذي اتخذته شركة لندن (فرجينيا) بالسماح لمستعمري فرجينيا بأن يكون لهم حق التمثيل في الحكومة . وقد نصت التعليمات التي وجهتها الشركة في سنة ١٦١٨ الى الحاكم المعين بأن ينتخب الأحرار من أهالي المزارع ممثلين عنهم يشتركون مع الحاكم والمجلس المعين في سن القوانين لصالح المستعمرة .

وكان لهذا الحدث أثر أبعد مدى من أي حدث وقع في عهد الاستعمار ، إذ أصبح من المسلم به عموماً منذ ذلك الوقت أن للمستعمرين الحق في الاشتراك في إدارة حكومتهم . وكان الملك إذاً منح ترخيصاً لامتلاك الأراضي بعد ذلك يشترط أن يكون للأحرار في المستعمرة صوت في التشريعات الخاصة بهم . وعلى ذلك فإن العهود والترخيص التي منحت الى سيسيل كالفرت في ماريلاند ووليم بن في بنسلفانيا ، وملاك الأراضي في كارولينا الشمالية وكارولينا الجنوبية ، وفي نيوجرسي ، قد نصت بصراحة على أن يكون التشريع بموافقة الرجال الأحرار . ولم يغفل شرط الحكم الذاتي الأني حالة مستعمرتين انتيتي ، وهما نيويورك التي منحت إلى دوق يورك الذي صار فيما بعد جيمس الثاني ، وجورجيا التي منحت إلى جماعة من الأبناء . على أن هذين الاستثناءين لم يقدر لهما البقاء ، لأن المستعمرين لم يكفوا عن المطالبة بالتمثيل في المجلس التشريعي ، فلم تلبث السلطات أن وجدت أن من الخير لها أن تدعن لهذه المطالب .

ولقد كان حق المستعمرين في هذه الهيئة التشريعية الحكومية محدود الأهمية في بادئ الأمر ، ولكنه أصبح في النهاية وسيلة يمتلكون بها ناصية السلطة كلها وقد وصلوا إلى هذا الهدف عن طريق الجمعيات الانتخابية التي قبضت على رمام الشؤون المالية في البداية ، ثم استغلت هذه السلطة الى أقصى حد مستطاع . وأصبح من المبادئ المقررة في المستعمرات ، واحدة إثر الأخرى ، أنه لا يمكن فرض ضرائب أو إنفاق حصيلتها - حتى ولو كان ذلك لدفع مرتبات الحاكم أو غيره من الموظفين المعيّنين - إلا إذا وافق على ذلك الممثلون المنتخبون . فإن رفض الحاكم أو غيره من موظفي المستعمرة أن يسايروا رغبات هذه الجمعية الشعبية ، رفضت الجمعية اعتماد الأموال اللازمة لهذه الوظيفة أو تلك .

وهناك أمثلة على أن بعض الحكام المستبدين برأيهم لم تخصص لهم مرتبات ، أو تقرّر منحهم مرتباً قدره بنس واحد . وإزاء هذا التهديد لم يلبث الحكام والموظفون أن رضخوا للمستعمرين .

العناد البريطاني يذعن

وقد تمتعت نيوزانجلند مدة سنوات عديدة بحكومة ذات استقلال ذاتي فاق في كماله أي استقلال تمتعت به أية حكومة من حكومات المستعمرات الأخرى ، ولو أن الحاج قد استقروا في فرجينيا لأصبحوا تحت سلطة شركة لندن (فرجينيا) غير أنهم كانوا في مستعمرتهم نيويورك ، بعيدين عن أي سلطان حكومي ومن ثم قرروا أن يضعوا لأنفسهم نظاماً سياسياً . وعلى ظهر السفينة « مفلور » ارتضوا لأنفسهم نظاماً سياسياً وأسلوباً للحكم أطلقوا عليه ميثاق « مفلور » تعهدوا فيه على أن « نتحد جميعاً فنصبح جماعة مدنية ذات كيان سياسي ، ابتغاء تحسين أحوالنا وصيانة أنفسنا ... وبمقتضى ذلك نصوغ القوانين التي تضمن العدالة والمساواة ، ونضع التشريعات والقرارات والساتير التي نعتقد بصلاحياتها وملاءمتها لمصلحة المستعمرة . . . » . ومع أنه لم يكن ثمة أساس شرعي يستند إليه الحاج في إقامة حكومة ذاتية ، فإن هذا العمل لم يترأ أي جدل أو خلاف . واستطاع مستعمرو بليموث في ظل هذا الميثاق ، أن يتولوا شؤونهم سنوات عديدة دون أي تدخل خارجي

وقد نشأت حالة مماثلة في مساتشوستس حين انتقلت إلى أمريكا شركة خليج مساتشوستس - بعد أن منحت الحق في حكم هذه المستعمرة - وهي تحمل معها الترخيص الذي منح لها . وبذلك ظلت السلطة المطلقة في أيدي أشخاص يقيمون في نفس المستعمرة . وقد حاول أعضاء الشركة الأصليون وهم عدد قليل من الرجال أن يحكموا المستعمرة حكماً استبدادياً في بادئ الأمر ، بيد أن غيرهم من المستعمرين لم يلبثوا أن طالبوا بأن يكون لهم صوت في الشؤون العامة ، وهددوا بأن رفض ما يطلبون قد يؤدي إلى أن يهاجروا جميعاً إلى منطقة أخرى .

وقد أدعأ أعضاء الشركة لهذا التهديد وتحول الإشراف على الحكومة إلى النواب المنتخبين . كذلك وفقت ولايات نيويورك - وهي نيوجانز وروود أيلاند وكونيكت - إلى التمتع بالحكم الذاتي . وقد وفقت إلى ذلك لأنها كانت بعيدة عن أي سلطة حكومية ، فأقامت نظمها السياسية مرسمة في ذلك الخطوات التي اتبعها الحاج في مستعمرات بليموث . على أن السلطات البريطانية لم تقف مكتوفة الأيدي إزاء ما تمتعت به المستعمرات من نصيب وافر من الحكم الذاتي ، فأقامت دعوى ضد الشركة التي تحمل ترخيص مساتشوستس فألغى هذا الترخيص في سنة ١٦٨٤ ، وبذلك أصبحت جميع مستعمرات نيوزانجلند تحت إشراف الملك ووضعت السلطة التامة في يد حاكم معين من قبله . وقد اعترض

المستعمرون بشدة على هذا التطور الأخير ، فطردوا الحاكم الذي عينه الملك وذلك عقب الثورة التي قامت في إنجلترا سنة ١٦٨٨ والتي انتهت بعزل جيمس الثاني . وكذلك استطاعت مستعمرات رود أيلاند وكونيكتكت اللتان كانتا في ذلك الوقت تضمان مستعمرة نيوهافن ، إعادة توطيد مركزهما المستقل على أساس ثلث الدعائم ، غير أن مسانشوستس ما لبثت أن خضعت من جديد لسلطة الملك وإن كان أهلها قد منحوا في هذه المرة نصيباً في إدارة حكومتهم . وقد أخذ هذا النصيب يتزايد يوماً بعد يوم أسوة بالنظام الذي سارت عليه المستعمرات الأخرى حتى صار سيادة فعلية بعد أن كان مقتصرأً في بادئ الأمر على الشؤون المالية وحدها . وكانت التعليمات لا تزال تصدر باستمرار إلى الحكام لإكراه الناس على أن يسيروا وفق السياسة التي تعمل على إقرار المصالح الإنجليزية . وكان مجلس الملك الخاص في الوقت نفسه يمارس حق إعادة النظر في التشريع الاستعماري . على أن المستعمرين قد برعوا في التحايل على هذه العراقيل كلما وجدوا فيها مساساً بمصالحهم الأساسية .

ومنذ سنة ١٦٥١ أخذت الحكومة الإنجليزية تسن من حين إلى حين قوانين تنظم بعض مظاهر الحياة التجارية والاقتصادية العامة في المستعمرات . وقد عاد بعض هذه القوانين بالنفع على أمريكا وإن كان أغلبها وضع لمصلحة إنجلترا على حساب أمريكا . ولكن المستعمرين كانوا عموماً يتحاملون القوانين التي كانت تضر كثيراً بمصالحهم . فكان الإنجليز يحاولون بعض الأحيان أن ينفذوا تلك القوانين بطريقة أنسب ، ولكن تلك المحاولات كانت غالباً قصيرة الأمد ، وسرعان ما كانت السلطات تعود إلى انتهاج سياسة « التغافل وعدم المبالاة » .

ولقد أدى ذلك القسط الكبير من الاستقلال السياسي الذي تمتعت به المستعمرات إلى إضعاف الصلة بينها وبين بريطانيا ، وأصبحت تتميز تدريجياً بطابع أمريكي يفوق صيغتها الإنجليزية ، وقد ازدادت هذه النزعة قوة بامتزاج الجماعات الوطنية والثقافات المختلفة . وفي عام ١٧٨٢ وصف المزارع الفرنسي القدير « ج . هكتور سانت جيون جريفيكور » كيف حدث هذا الامتزاج ، والأسلوب الذي انتهجه في وضع أركان الامة الجديدة ، حين تساءل في كتابه « رسائل من مزارع أمريكي » قائلاً : « من هو الأمريكي إذن ، هذا الرجل الجديد ؟ هو إما أوروبي وإما من سلالة أوروبية . ومن هنا جاء هذا المزيج العجيب الذي لا تجده في بلد آخر ... إذ يمكنني أن أسمي أسرة كان الجد فيها إنجليزياً وزوجته هولندية وتزوج انه من فرنسية ، ولأبنائه الأربعة الآن أربع زوجات ينتمين إلى أربع أمم مختلفة . إنه أمريكي طرح عصبته وعاداته القديمة ، وهو يتلقن الآن عادات جديدة من أسلوب الحياة الجديدة التي يحياها ، ومن الحكومة التي يطيعها ، ومن المكانة الجديدة التي يتبوأها ... » .

حرب الاستقلال

« اننا لنؤمن بالحقائق البديهية التي تقرر
ان الناس جميعاً خلقوا سواسية وان
الله وهبهم حقوقاً معينة ثابتة منها حق
الحياة والحرية والسعي لتحقيق
السعادة ... » .

اعلان الاستقلال ، ٤ يوليو ، ١٧٧٦

لقد

اعلن جون آدمز، الرئيس الثاني للولايات المتحدة ، أن تاريخ الثورة
الأمريكية يرجع الى سنة ١٦٢٠ . وقال : أن « الثورة قد اختمرت قبل بداية الحرب ،
إذ كانت في عقول الناس وفي قلوبهم . » ثم أضاف الى ذلك أنه ينبغي « أن نرجع مائتي
سنة الى الوراء في تاريخ أمريكا لنذكر المبادئ والإحساسات التي دفعت الأمريكيين الى
الثورة منذ أنشئت المزرعة الأولى » .

ولقد بدأ الخلاف الصريح بين إنجلترا وأمريكا من الناحية العملية في سنة ١٧٦٣ .
ففي ذلك الوقت كان قد انقضى أكثر من قرن ونصف قرن على تأسيس المستعمرة الأولى
في جيمس تاون بفرجينيا . وقد نمت المستعمرات نمواً محسوساً من الناحيتين الاقتصادية
والثقافية ، كما تمتعت جميعاً بسنوات طويلة من الحكم الذاتي ، وزاد مجموع عدد
سكانها عن ١,٥٠٠,٠٠٠ نسمة - أي ستة أضعاف ما كان عليه في سنة ١٧٠٠ .
على أن نمو المستعمرات واتساع رقعتها كان أعمق أثراً مما تدل عليه الزيادة في تعداد
السكان . فقد شاهد القرن الثامن عشر دوافع جديدة للتوسع الاستعماري نتيجة تدفق
المهاجرين الأوروبيين . ولما كانت أجود الأراضي الساحلية قد استعمرت من قبل ،
فقد كان على الوافدين الحدد أن يندفعوا الى ما وراء دلتا الأنهار . وقد اكتشف التجار
المنطقة الحلقية ، تم أخذوا بعد عودتهم يروون القصص عن الأودية الغنية ، وشجعوا
المزارعين على الرحيل الى البراري مع أسرهم سعيًا للحصول على أراضٍ أجود وأرخص .
وبالرغم من انه كانت متاعهم كثيرة ، فقد استمر المستعمرون يعدون الى تلك البقاع

حتى امتلأت الأدوية الداخلية بطلائع من العصامين . وفي العقد الثالث من القرن الثامن عشر بدأ سكان الحدود وأسرهم يمدون على وادي شانندوه .

ولم تكن بريطانيا العظمى حتى سنة ١٧٦٣ قد وضعت سياسة امبراطورية ناشئة لمستعمراتها . وكان المبدأ السائد هو وجهة النظر التجارية التي تحتم على المستعمرات إمداد البلد الأم بالمواد الخام وأن لا تنافسها في الصناعة . غير أن هذا المبدأ كان يقتصر إلى قوة التنفيذ ، ذلك لأن المستعمرات لم تمكراً أبداً في أنها أجراء من هيئة متحدة يتم بعضها بعضاً ، بل اعتبرت أنفسها - شبيهة في ذلك بإنجلترا نفسها - جمهوريات أو دويلات ليس بينها وبين السلطات في لندن سوى رابطة مفككة . ومهما يكن من أمر ، فإن المشاعر قد أثيرت في إنجلترا بين حين وحين نتيجة لهذا الاتجاه من جانب المستعمرات . وحاول البرلمان ، كما حاول الملك أن يخضع النشاط الاقتصادي في المستعمرات لإدارة إنجلترا ويجعله وفق مصلحتها . بيد أن أكثرية سكان المستعمرات عارضوا هذه التبعية . وكان التفكير في المسافة المائتة الهائلة بين الدنيا الجديدة وإنجلترا ، عاملاً مهدئاً لمخاوف المستعمرات إذا ما حاولت إنجلترا الانتقام منها نتيجة لعصيانها .

ويضاف إلى هذا البعد أحوال الحياة في البراري الأمريكية ، فقد جاء المستعمرون من بلاد محدودة المساحة ، ومن مدن عامرة وحقول منبسطة مستوية ، إلى قارة لا نهاية لاتساعها ، فقدر عليهم - تحت تأثير الظروف الطبيعية - أن يتحولوا من أسلوب يؤكد أهمية الجماعة إلى نظام يؤكد أهمية الفرد .

الاعتماد على النفس في منطقة الحدود

وباعتبارهم ورثة تقاليد الجهاد الطويل الذي بذله المواطن الإنجليزي من أجل الحرية السياسية ، فقد بادر المستعمرون إلى تدوين مبادئ الحرية في ميثاق مرجينيا الأول الذي خول المستعمرين الإنجليزي حق ممارسة الحريات جميعها ، وحق التصويت والإعفاء من أداء الواجبات « كما لو كانوا قد ولدوا وأقاموا في إنجلترا » . وكان معنى هذا أنهم تمتعوا بمزايا البراءة العظمى (الماينكا رتا) والقانون العام .

وقد استطاع أهل المستعمرات في الأيام الأولى أن يتمسكوا بما ورتوه من حقوق تمسكاً شديداً ، ذلك لأن الملك قد افترض أن أهل المستعمرات لا يخضعون للرقابة البرلمانية . وكان ملوك إنجلترا طوال الأعوام التالية في شغل عن فرض إرادتهم بسبب النضال الذي نشب في إنجلترا ذاتها ، ذلك النضال الذي بلغ ذروته في ثورة البيوريتان . وقبل أن يوجه البرلمان انتباهه إلى إدماج المستعمرات في إطار سياسة إمبراطورية ، كانت هذه المستعمرات قد استقامت عودها واشتد أزرها وازدهرت بطرقها الخاصة .

ومنذ السنة الأولى ، أدار المستعمرون شؤونهم - بمجرد أن وطئت أقدامهم أرض الدنيا الجديدة - وفق القانون والدستور الإنجليزيين . فأسسوا الجمعيات التشريعية ،

وأقروا نظام الحكومة النيابية ، واعترفوا بما جاء في القانون العام من ضمانات الحرية الفردية . على أن التشريع وسن القوانين أخذ يصطبغ تدريجياً بالصبغة الأمريكية ، ولم يعد القوم يعيرون السوابق والنظم الإنجليزية إلا شيئاً يسيراً من اهتمامهم . بيد انه لم يتم تحرير أهل المستعمرات من الإشراف البريطاني دون صراع أو عناء . وتاريخ المستعمرات حافل بالمنازعات التي نشبت بين المجالس التي ينتخبها الشعب ، وبين الحكام الذين كانوا يعينون من قبل الملك .

على أن المستعمرين كثيراً ما استطاعوا أن يجردوا الحكام الملكيين من كل حول وقوة إذ كانت القاعدة المتبعة أن هؤلاء الحكام « لا يحصلون على معاشهم إلا عن طريق المجلس » . وكان الحكام يزودون أحياناً بتعليمات خاصة بتولية أصحاب النفوذ من المستعمرين المناصب المربحة ومنحهم الأراضي كي يضموا تأييدهم للمشروعات الملكية . ولكن غالباً ما استأنف أولئك الموظفون حماسهم في الدفاع عن القضية الإقليمية كما كانوا يفعلون من قبل بعد أن اطمأنوا الى هذا الدخل .

وقد أدى التصادم المتكرر بين حاكم الإقليم وبين المجلس ، إلى إيقاظ إحساس المستعمرات بما هنالك من تباعد بين المصالح الأمريكية والإنجليزية . ومع مر السنين ، استولت المجالس على صلاحيات الحكام وهيئاتهم الاستشارية التي كانت تتألف من جماعة من أهل المستعمرات عرفوا بتأييدهم للسلطة الملكية . وانتقل مركز إدارة المستعمرات بالتدريج من لندن الى عواصم المقاطعات الأمريكية . وفي مستهل العقد الثامن من القرن الثامن عشر بذلت محاولة لتعديل العلاقات بين المستعمرات وإنجلترا تعديلاً جوهرياً وكان من العوامل الأساسية التي دخلت في هذه الحركة طرد الفرنسيين نهائياً من أمريكا الشمالية .

التصادم البريطاني - الفرنسي

فبينما كان البريطانيون يملأون منطقة ساحل الأطلنطي بقطاعات شاسعة ومزارع منسقة ومدن كثيرة مزدهرة ، كان الفرنسيون يؤسسون نظاماً استعمارياً من نوع آخر في وادي سانت لورنس في شرق كندا ، حيث أرسلوا عدداً قليلاً من المستعمرين . ولكنهم أكثروا من المستكشفين والمبشرين وتجار الفراء . فاستولوا على نهر الميسيسيبي وأقاموا تدريجياً إمبراطورية على شكل هلال عظيم من الحصون والمراكز التجارية تمتد من كويك في الشمال الشرقي إلى نيو أورليانز في الجنوب . وهكذا عملوا على حصر البريطانيين في الجزء الشرقي الضيق الممتد شرقي جبال الأيلاش .

وقاوم الإنجليز طويلاً ما اعتبروه « تعدياً من الفرنسيين » . وقد وقعت اشتباكات دامية بين المستعمرين الفرنسيين والإنجليز منذ سنة ١٦١٣ ، بل لقد نشبت حروب منظمة كانت شبيهة بالنزاع الأكبر بين إنجلترا وفرنسا . وهكذا كانت حروب الملك وللم التي وقعت بين سنة ١٦٨٩ وسنة ١٦٩٧ صورة أمريكية عن « حرب البلاتينيت » الأوروبية .

ومن سنة ١٧٠٢ إلى سنة ١٧١٣ كانت « حرب الملكة آن » تعادل « حرب الخلافة الأسبانية » . ومن سنة ١٧٤٤ إلى سنة ١٧٤٨ كانت حرب « الملك جورج » تشابه « حرب الخلافة النمسية » . وبالرغم من إن إنجلترا قد حصلت على عدة امتيازات من تلك الحروب ، إلا أن الصراع لم يكن على وجه العموم ذا نتائج حاسمة ، فظلت فرنسا تتمتع بمركز قوي جداً في القارة الأمريكية .

على أن الصراع قد دخل مرحلته النهائية حول العقد السادس من القرن الثامن عشر، إذ أحكم الفرنسيون قبضتهم على وادي المسيسيبي بعد صلح « إكس لاشابل » سنة ١٧٤٨ . وفي الوقت نفسه نشط انتقال المستعمرين الإنجليز عبر جبال الياجيني . وبذلك بدأ السباق للاستيلاء الفعلي على الاقليم نفسه . وقد أدى ذلك إلى وقوع صدام مسلح سنة ١٧٥٤ بين جنود المليشيا في فرجينيا بقيادة جورج واشنطن ، الذي كان في الثانية والعشرين من عمره ، وبين فرقة من الجيش النظامي الفرنسي ، وكان الهدف من « الحرب الفرنسية الهندية » التي تلت تلك الحادثة والتي نشبت بين الإنجليز وحلفائهم الهنود من ناحية وبين الفرنسيين وحلفائهم الهنود من ناحية أخرى - هو الفصل النهائي في مصير السيادة على أمريكا الشمالية لمصلحة الفرنسيين أو الإنجليز .

ولم يحدث قط أن اشتدت الحاجة في المستعمرات البريطانية إلى العمل والاتحاد كما حدث في ذلك الوقت . إذ كان مركز فرنسا لا يهدد الامبراطورية البريطانية فحسب بل كان يهدد أهالي المستعمرات الأمريكية أنفسهم أيضاً . فكان الفرنسيون باستيلائهم على وادي المسيسيبي يستطيعون صدّ توسع المستعمرين الأمريكيين عرباً . ولم تكن قوة الحكومة الفرنسية في كندا ولوزيانا قد عظمت فحسب ، بل عظم شأنها في نظر الهنود أيضاً . فاستألفهم إليها بما في ذلك هنود الإيروكواز حلفاء بريطانيا التقليديين . وهكذا أدرك كل مستعمر بريطاني له إلمام بالأمر الهندية أنه في حالة نشوب حرب جديدة لا بد من اتخاذ تدابير قاسية لتفادي الكارثة .

تمهيد طريق الوحدة .

عند ذلك أمرت وزارة التجارة البريطانية - التي كانت تصلها التقارير عن تدهور العلاقات مع الهنود - حاكم نيويورك ووكلاءها في المستعمرات الأخرى ، أن يدعوا مجلساً من زعماء الإيروكواز لعقد معاهدة مشتركة . ومن أجل ذلك الغرض اجتمع في يونيو سنة ١٧٥٤ ممثلو نيويورك ، وبنسلفانيا ، وماريلاند ومستعمرات نيويورك وبنسلفانيا . فذكر الهنود مظالمهم وأوصى مندوبون باتخاذ التدابير اللازمة . ولكن المؤتمر جاوز غرضه الأصلي - وهو حل المشاكل الهندية - وأعلن أن اتحاد المستعمرات الأمريكية « ضروري جداً للمحافظة على كيانها » فأقر ممثلو المستعمرات الحاضرون مشروع ألباري الاتحادي الذي وضعه بنيامين فرانكلين . وقد نص المشروع

على أن يباشر الرئيس الذي يعينه الملك عمله مع مجلس استشاري عال تختار المجالس أعضائه ، وأن يكون تمثيل كل مستعمرة بنسبة اكتتاباتها المالية للخزينة العامة . كما نص المشروع على أن تكون الحكومة ملزمة برعاية مصالح البريطانيين جميعها في الغرب ، أي برعاية المعاهدات الهندية والتجارة والدفاع والاستيطان . غير أن واحدة من المستعمرات لم تقبل مشروع فرانكلين ، لأنها لم ترد أن تتخلى لهيئة خارجية عن حق فرض الضرائب أو الإشراف على تطور الغرب .

وكانت مساهمة المستعمرات في الحرب محدودة ، وأخفقت جميع الوسائل لاستنهاض إحساسها بواجبها نحو الملك . فلم ير أهل المستعمرات في الحرب إلا صراعاً بين إنجلترا وفرنسا من أجل التوسع الإمبراطوري ، ولم تؤنبهم ضمائرهم عندما اضطرت الحكومة الإنجليزية إلى إرسال قوات نظامية كبيرة العدد لتشتبك في معارك استعمارية . كما أنهم لم يأسفوا على كسب أصحاب « الأردية الحمراء » للحرب دون القوات الإقليمية . ولم يحدوا مبرراً لعدم الاستمرار في تجارة كانت تعتبر في الحقيقة « تجارة مع الأعداء » .

وعلى الرغم من قصور تأييد المستعمرات ومن بعض الهزائم الأولى ، فإن تفوق مركز إنجلترا من الناحية الاستراتيجية وكفاءة قوادها قد ساعدا على تحقيق النصر التام . وبعد ثماني سنوات من الصراع ، فتحت كندا ووادي المسيسيبي الأعلى نهائياً ، وقضي على حلم الامبراطورية الفرنسية في أمريكا الشمالية .

وكان على بريطانيا بعد انتصارها على فرنسا أن تواجه مشكلة أهميتها حتى ذلك الوقت وهي مشكلة الامبراطورية ، لا في أمريكا فحسب ، بل في الهند أيضاً ، وفي عالم الاستعمار بوجه عام . إذ أصبح من الضروري أن تنظم إنجلترا ممتلكاتها الشاسعة بشكل يسهل مهمة الدفاع ، ويوفق بين المصالح المتباينة للمناطق والشعوب المختلفة ، ويوزع بالتساوي نفقات الإدارة الإمبراطورية .

فقد ازدادت ممتلكات بريطانيا فيما وراء البحار إلى أكثر من الضعف في أمريكا الشمالية وحدها ، فأضيفت إلى الشريط الضيق على الساحل الأطلسي مساحة كندا الشاسعة والمنطقة بين نهر المسيسيبي وجبال الليجني ، وهذه وحدها تعتبر إمبراطورية قائمة بذاتها . وبينما كان الشعب السائد من قبل من الإنجليز البروتستانت أو من الأوروبيين الذين طبعوا بالطابع الإنجليزي ، أصبح الآن يشمل فرنسيين كاثوليكاً وعدداً كبيراً من الهنود الذين اعتنق بعضهم المسيحية . ومن هذا يتضح أن الدفاع عن هذه الممتلكات الجديدة وإدارتها ، باستثناء الممتلكات القديمة ، يتطلب مبالغ من المال ضخمة وزيادة كبيرة في عدد الموظفين . وقد بدا جلياً أن النظام الاستعماري القديم - إن كان هناك ثمة نظام - قد أصبح لا يتلاءم مع الموقف . وحتى في أثناء الحرب التي هددت كيان أهل المستعمرات أنفسهم أثبت النظام القديم عدم قدرته على ضمان تعاون أهل المستعمرات وتأيدهم . فما الذي نتوقه إذن في زمن السلم حين يحنّ من الأفق شبح أي خطر خارجي؟

مقاومة الاجراءات الظالمة

ولم يكن الموقف في أمريكا يسمح بأي تغيير بالرغم من أن الحاجة كانت ماسمة لوضع نظام امبراطوري جديد - على الأقل من وجهة النظر البريطانية . ولما كان أهل المستعمرات قد اعتادوا من رمس بعيد أن يتمتعوا بقسط وافر من الاستقلال فإنهم أصبحوا في مرحلة من التطور جعلتهم يطلبون المزيد من هذه الحرية ولا سيما بعد أن زال الحطر الفرنسي . وكان تنظيم الإدارة وتنفيذ أي نظام جديد ، يحتم على ساسة بريطانيا منازعة أهالي المستعمرات الذين تعودوا على الحكم الذاتي وأصبحوا لا يطيقون صبراً على أي تدخل .

وكانت إحدى المشكلات التي عالجتها بريطانيا أولاً هي التنظيم الداخلي ، إذ فرض فتح كندا ووادي أوهايو على البريطانيين وضع سياسات لا تؤدي إلى إثارة السكان الفرنسيين أو الهنود . غير أن هذه السياسة تعارضت مع مصالح المستعمرات الساحلية التي كانت ترمي - نظراً إلى تزايد عدد سكانها المستمر - إلى استغلال الأراضي المكتسبة حديثاً وأدت الحاجة إلى أراض جديدة ، إلى مطالبة عدد من المستعمرات ، بناء على ما لديها من تراخيص ، بحق التوسع غرباً حتى نهر المسيسيبي .

ولكن الحكومة البريطانية ، خشيّة منها أن يثير ازدحام طلائع المزارعين في الأراضي الجديدة سلسلة من الحروب الهندية ، شعرت أنه من الواجب أن يعطى الهنود الطموحون الوقت الكافي للاستقرار ، وأنه يمكن فتح هذه الأراضي لأهل المستعمرات بالتدريج . لذلك خصص الإعلان الملكي الصادر في سنة ١٧٦٣ جميع الأقاليم الغربية بين جبال الليجي وفلوريدا ، والمسيسيبي ، وكويك للهنود . وهكذا حاول التاج ، بضربة واحدة القضاء على مطالب المستعمرات الثلاث عشرة في الأراضي الغربية جميعها ، ووقف التوسع غرباً . ومع أن هذا التدبير لم ينفذ بصورة جدية مطلقاً ، فقد كان في نظر أهل المستعمرات المتذمرين إغفالاً استبدادياً لحقهم الأول في احتلال الأراضي الغربية واستئثارها كالمسا دعت الضرورة والحاجة .

على أن أثر سياسة بريطانيا المالية الجديدة كان أكثر خطراً . إذ كان على المستعمرات أن تؤدي نصيبها من نفقات الإمبراطورية التي كانت تتزايد يوماً بعد يوم بازدياد حجم الإمبراطورية نفسها ما دام دافعوا الضرائب في إنجلترا لن يستطيعوا تأدية النفقات جميعها . وكان تحصيل هذا الدخل لا يتحقق إلا عن طريق إدارة مركزية قوية ، وهذا لا يتأتى إلا على حساب الحكم الذاتي للمستعمرات . وكان إقرار قانون السكر سنة ١٧٦٤ هو الخطوة الأولى في النظام الجديد . فقد كان الغرض الوحيد من هذا القانون ، كما عدل بعد سنتين ، زيادة الدخل دون تنظيم التجارة . والحقيقة أنه وضع بديلاً لقانون العسل الصادر في سنة ١٧٣٣ ، والذي فرض ضريبة حظر على استيراد العسل والروم من المناطق غير الانجليزية . وكان قانون السكر المعدل قد حظر استيراد الروم الاجنبي وفرض ضريبة

بسيطة على العمل المستورد من جميع الجهات ، كما فرض الضرائب على التبذ والحريز والبن وبعض الكماليات الأخرى . وقد صدرت تعليمات إلى رجال الجمارك بأن يبدأوا نشاطاً أكبر ودقة أكثر في تنفيذ القانون ، وزودت السفن الحربية البريطانية في المياه الأمريكية بالتعليمات اللازمة للقبض على المهربين ، وصرح لضباط الملك بتفتيش الأماكن المشبوهة .

ضرائب دون تمثيل لا تجوز

ولم تكن الضرائب الجديدة هي التي أثارت الرعب والذعر بين تجار نيوانجلند ، بل بالأحرى الخطوات الجدية التي اتخذت لتنفيذها ، وهو الأمر الذي كان يعد بالنسبة لهم تطوراً جديداً غاية الجدة . ذلك لأن سكان نيوانجلند كانوا قد اعتادوا منذ أكثر من جيل أن يستوردوا الجزء الأكبر من العمل لصنع الروم من جزر الهند الغربية الفرنسية والهلندية دون أن يدفعوا ضرائب ، وهم يدعون الآن أن دفع حتى الضريبة البسيطة المفروضة يؤدي إلى الإفلاس . وهكذا وجد أهل المستعمرات في ديباجة قانون السكر فرصة سانحة ليسوغوا استيائهم على أساس دستوري . فقد كان من المسلم به منذ زمن بعيد أن للبرلمان من الناحية النظرية (وإن لم يكن دائماً من الناحية العملية) سلطة فرض ضريبة على سلع المستعمرات لتنظيم تجارتها . ولكن سلطة فرض ضريبة « لتحسين دخل هذه المملكة » ، كما جاء في قانون الدخل لسنة ١٧٦٤ ، كان أمراً جديداً يقبل المناقشة .

كانت تلك القضية الدستورية إسفيناً في النزاع الكبير الذي انتهى أخيراً بتقطيع أوصال الإمبراطورية . وقد كتب جيمس أوتيس ، أحد الوطنيين الأوائل ، يقول : « لقد دفع قانون برلماني واحد معظم الناس إلى أن يفكروا في ستة أشهر أكثر مما فعلوا طوال حياتهم » ، وقد احتج التجار والهيئات التشريعية والندوات الشعبية على فائدة هذا القانون ، ورأى محامو أهل المستعمرات مثل صمويل آدمز في ديباجة القانون الإشارة الأولى إلى فرض « ضرائب دون تمثيل » فكانت تلك الإشارة نداء المعارضة الذي اجتذب كثيراً من الناس إلى جانب الوطنيين ضد بريطانيا (الأم) .

وأخيراً سن البرلمان - في السنة نفسها - قانوناً للعملة يسلب الأوراق المالية التي تصدرها أية مستعمرة من مستعمرات صاحب الجلالة صفحتها القانونية . ولما كانت المستعمرات منطقة تجارية تعاني عجزاً في توازنها التجاري ، بالإضافة إلى عوزها للعملة الصعبة ، فقد أضاف هذا القانون حملاً ثقيلاً إلى الأعباء التي كان ينوء بها الاقتصاد في المستعمرات . كذلك اعترض سكان المستعمرات على قانون مساكن الجند الذي صدر في أوائل سنة ١٧٦٥ ، والذي يتطلب من المستعمرات إعداد الأماكن التي تعسكر فيها القوات الملكية وإمدادها بكثير من حاجاتها .

ومع أن معارضة هذه القوانين كانت عنيفة ، فإن قانون التمتع المشهور ، وهو آخر

التدابير التي اتخذت لتنفيذ النظام الاستعماري الجديد ، هو الذي أثار المقاومة المظلمة . وبمقتضى هذا القانون تقرر تخصيص دخل التمغة المفروضة على جميع الصحف ، والبطاقات ، والكتيبات ، والرخص ، والايجات ، والوثائق القانونية الأخرى ، للإتفاق « على أغراض الدفاع وحماية المستعمرات والمحافظة عليها » ، وبدا الحمل خفيفاً وموزعاً بالتساوي ، لدرجة أن البرلمان اعتمد القرار دون كثير من المناقشة

وقد استقبلت المستعمرات الثلاث عشرة القانون بعنف أثار دهشة المعتدلين في كل مكان . ومن سوء طالع القانون أنه أثار عداوة أكثر الجماعات قوة وأصحبها ييناً في المستعمرات ، أي رجال الصحف والهامين ورجال الدين والتجار ورجال الأعمال . وقد ظهر أثره جلياً في جميع أنحاء البلاد شمالاً وجنوباً وغرباً . وسرعان ما نظم كبار التجار الذين تعرضت أدون شحن بضائعهم للضريبة ، وسائل المقاومة وألفوا الجمعيات لوقف الاستيراد .

وهبطت التجارة مع إنجلترا هبوطاً كبيراً في صيف عام ١٧٦٥ . وألف الرجال البارزون من أنفسهم جماعة « أبناء الحرية » ، وسرعان ما لجأت المعارضة السياسية إلى العنف ، وسارت الجماهير الملتهبة في شوارع بوسطن . وأبطل عمل القانون من مساتشوستس ، الى كارولينا الجنوبية ، وأرغمت الغوعاء الوكلاء السيئ الحظ على الاستقالة من مراكزهم وإتلاف طوايع التمغة البغيضة .

وبتأثير من باتريك هنري ، وافق مجلس فرجينيا على مجموعة من القرارات يعلن فيها أن فرض الضرائب دون تمثيل بدعة خطيرة لا سابقة لها ، وتهديد لحرية المستعمرات . وبعد أيام قلائل دعا مجلس مساتشوستس جميع المستعمرات الى إرسال مندوبين عنها لحضور مؤتمر يعقد في نيويورك للنظر فيما ينطوي عليه قانون التمغة من خطر . ويعتبر هذا المؤتمر - الذي عقد في أكتوبر سنة ١٧٦٥ - أول مجلس للمستعمرات جميعاً اجتمع بناء على رغبة أمريكية بحتة . وقد انتهز هذه الفرصة سبعة وعشرون رجلاً قديراً مقدماً ، نابوا عن تسع مستعمرات ، لاستفزاز الرأي العام في المستعمرات ضد تدخل البرلمان في الشؤون الأمريكية . وبعد مناقشات طويلة ، أصدر المؤتمر قرارات عدة تؤكد أنه « لم تفرض عليهم ضرائب قط وأنه لا يمكن فرضها إلا بواسطة مجالسهم التشريعية ، وإن كان قانون التمغة يهدف الى هدم حقوق أهل المستعمرات وحرمانهم » .

تسوية مشكلة الضرائب

وهكذا ارتكزت القضية الدستورية على مسألة التمثيل . فمن وجهة نظر المستعمرات استحال عليها أن تعتبر نفسها ممثلة في البرلمان ما لم يكن لها أعضاء حقيقيون ينتخبون لمجلس العموم ، غير أن ذلك الرأي يتعارض مع المبدأ الانجليزي التقليدي « للتمثيل الواقعي » ، أو التمثيل الذي يقوم على أساس تمثيل الطبقات أو المصالح ، لا

على أساس المكان . وكان معظم الرجال الرسميين البريطانيين يرون أن البرلمان هيئة إمبراطورية تمثل في المستعمرات نفس السلطات التي لها في أرض الوطن وتمارسها ، فيستطيع البرلمان أن يس القوانين لمساتنوستس كما يسنها ليوركشير في إنجلترا . غير ان الرعماء الأمريكيين كانوا يعتقدون أنه ليس هناك برلمان « إمبراطوري » وأن علاقتهم الشرعية الوحيدة هي مع التاج فقط . فالملك هو الذي وافق على تأسيس المستعمرات فيما وراء البحار ، وهو الذي أقام حكوماتها . فهم يقبلون أن يكون ملك إنجلترا ملكاً على مساتنوستس ، ولكنهم أصروا على أنه ليس للبرلمان الحق في س القوانين الخاصة بمساتنوستس مثلاً ، كما أنه ليس لهيئات مساتنوستس التشريعية سلطة سن القوانين بالجلترا .

وكان طبيعياً أن يرفض رجال البرلمان الإنجليزي وجهة نظر رجال المستعمرات ، ولكن التجار البريطانيين استخدموا نفوذهم وكان لذلك أكبر الأثر ، إذ دفعهم الشعور بما يترتب على مقاطعة الأمريكيين للتجارة من نتائج ، الى تأييد حركة الإلغاء . وفي سنة ١٧٦٦ خضع البرلمان ، وأبطل قانون التمتع ، وعدل كثيراً من قانون السكر . وقد أثارت هذه الأخبار سروراً بالغاً في المستعمرات ، وعدل التجار عن اتفاقيات عدم الاستيراد ، واستكان « أبناء الحرية » وعادت التجارة إلى مجراها ، وبدأ أن السلام قد أصبح قريب المنال .

غير أن ذلك لم يكن سوى هدنة فحسب ، إذ بدأت في سنة ١٧٦٧ سلسلة أخرى من التدابير أثارت من جديد كل عوامل النزاع . ففي ذلك الوقت كلف شارل تاونشد وزير المالية البريطانية ، بوضع نظام مالي جديد للحكومة . وقد عزم الوزير على تخفيض الضرائب البريطانية بأن يُحكّم جمع الضرائب المفروضة على التجارة الأمريكية . فضيق الخناق على إدارة الجمارك ، وفي الوقت نفسه أيد فرض ضرائب على الورق ، والزجاج والرصاص ، والشاي المصدر من بريطانيا الى المستعمرات . وكان يرمي من وراء ذلك إلى زيادة الدخل حتى يستطيع أن يستخدم جزءاً منه في سد نفقات حكام المستعمرات والقضاة وموظفي الجمارك والجيش البريطاني في أمريكا . واقترح تاونشد قانوناً آخر خول المحاكم العليا في المستعمرات سلطة إصدار صكوك المساعدة ، فمنح بذلك صبغة شرعية خاصة لتصاريف التفتيش العامة التي يبغضها أهل المستعمرات .

كان التذمر الذي تلا تطبيق ضرائب تاونشد أقل عنفاً من التذمر الذي أثاره قانون التمتع ، إلا أنه كان مع ذلك شديداً إلى حد أن لجأ التجار ثانية الى اتفاقيات عدم الإستيراد . وارتدى الرجال المسوجات المحلية ووجدت النساء بديلاً من الشاي ، واستعمل الطلبة ورقاً محلياً من صنع المستعمرات وظلت المنازل دون طلاء . وفي بوسطن حيث كانت المصالح التجارية شديدة التأثر بأي تدخل ، اشتد هياج القوم لتنفيذ تلك الأنظمة الجديدة وتار الشعب على عمال الجمارك ، وحيناً بدأوا بجباية الضرائب هاجمهم الجماهير في عنف ، الأمر الذي أرسلت من اجله فصيلتان من الجند لحمايتهم .

وكان وجود القوات البريطانية في بوسطن ، المعقل القديم لليبيرتان ، مثاراً دائماً للإضطراب . ففي ٥ مارس سنة ١٧٧٠ ، أي بعد ثمانية عشر شهراً من التدمير ، اشتعل العدا بين المواطنين وبين الجنود ، إذ تطور الأمر من مجرد رجم أصحاب الأردية الحمراء بكرات من الثلج لا ضرر منها ، إلى هجوم شنته الدماء . وصدر الأمر بإطلاق النار ، فسقط ثلاثة من أهل بوسطن صرعى على الجليلد . وقد هباً ذلك الحادث للمهيجين في المستعمرات سبباً يستعينون به في حملتهم التي تهدف الى إثارة العداوة ضد بريطانيا ، فأطلقوا على الحادث اسم « مذبحه بوسطن » وصوروا تصويراً مؤلماً مثيراً ، واعتبروها دليلاً على قسوة الإنجليز وظلمهم .

ولما واجه البرلمان هذه المعارضة قرر في سنة ١٧٧٠ أن يتقهقر تقهقراً مظلماً ، فألغى جميع ضرائب تاونشند ما عدا « ضريبة الشاي » التي أبقيت ، لأنه - كما قال جورج الثالث - « لا بد من أن تبقى دائماً ضريبة واحدة لبقى حق فرض الضرائب قائماً » واعتبرت غالبية أهل المستعمرات عمل البرلمان تعويضاً لهم ، وخفت إلى حد كبير حدة الحملة على إنجلترا ، واستمر الحظر مفروضاً على الشاي الإنجليزي . غير ان تدابير الحظر لم تراع بكل دقة . وبدا الموقف مبشراً بتحسن العلاقات الإمبراطورية بوجه عام فازداد الرخاء ولم يعد معظم قادة المستعمرات يفكرون في مشكلات المستقبل . كذلك ظهر أن التناضي والتغافل قد نجح كلاهما حيث اخفقت الرعونة السياسية والتهور ، ورحبت العناصر المعتدلة المنتشرة في كل مكان بالمستعمرات بهذه الفترة من السلم .

« حفلة شاي » بوسطن

وقد ساد الهدوء المستعمرات ثلاث سنوات متواصلة ، ولم يعكره إلا عامل واحد فقط ، ذلك أن عدداً صغيراً من الوطنيين أو « الراديكاليين » اعتبر فوز المستعمرات وهماً لا حقيقة ، وهذا هو الذي عمل على بقاء النزاع . فبقاء ضريبة الشاي يجعل حق البرلمان على المستعمرات قائماً ، ويستطيع أن يطبق هذا المبدأ كاملاً بشكل يهدد حرية المستعمرات وفي أي وقت مستقبلاً .

وكان صمويل آدمز - ابن ماساتشوستس - خير مثال للوطنيين وأكثر الأعضاء نفوذاً وتأثيراً ، وقد جاهد دون كلل لتحقيق هدفه الأول والأوحد وهو الاستقلال . ومنذ تخرج آدمز من كلية هارفارد تقلب في مناصب الحكومة فعمل مفتشاً للمداخن ، ومحضلاً للضرائب ، ومنظماً للندوات الشعبية ، وعلى الرغم من أنه كان دائم الإخفاق في عمله ، فقد كان داهية في السياسة ، وكان مسرح أعماله في اجتماعات نيوانجلند الشعبية . وكان الرجال هم عدته وكان هدفه الفوز بثقة ودعم العامة من الناس لتحريرهم من ربة رؤسائهم الاجتماعيين والسياسيين ، وإشعارهم باهمية أنفسهم وحثهم على العمل ،

وكي يحقق ذلك نشر المقالات في الصحف ، واقترح القرارات في الندوات الشعبية والمجالس الإقليمية وخطب فيها مستملاً دوافعهم الديمقراطية .

وفي سنة ١٧٧٢ دفع آدمز الندوة الشعبية في بوسطن الى تشكيل « لجنة للمراسلات » كي توضح حقوق أهل المستعمرات ومظالمهم ، وتراسل المدن الأخرى لهذا الشأن ، وتطلب إليها تدوين إجاباتها ، وسرعان ما انتشرت الفكرة وتأسست في جميع المستعمرات لجان كانت نواة للمنظمات الثورية الفعالة .

وفي سنة ١٧٧٣ أعطت بريطانيا آدمز والدين معه ذريعة للعمل يطلبونها . فحينما تأزمت الأحوال المالية في شركة الهند الشرقية لجأت هذه الشركة الى الحكومة الإنجليزية التي منحتها حق احتكار الشاي المصدر الى المستعمرات . وكان أهل المستعمرات قد قاطعوا شاي الشركة بسبب ضريبة تاونشند . وبعد سنة ١٧٧٠ ازدهرت التجارة غير المشروعة حتى أن تسعة أعشار الشاي المستهلك في أمريكا كان مستورداً من جهات أجنبية دون ضرائب .

فصممت الشركة على بيع الشاي بسعر يقل كثيراً عن السعر العادي عن طريق وكلائها وبذلك جعلت من التهريب عملية غير مربحة ، وثلت في الوقت نفسه حركة التجار المحليين المستقلين . وقد أثارت هذه الخطوة السقيمة تجار المستعمرات ودفعتهم ثانية إلى التحالف مع الوطنيين ، ولم يكن دافع التجار على العمل هو ضياع تجارة الشاي فحسب بل مبدأ الاحتكار أيضاً . فاتخذت التدابير في جميع المستعمرات لمنع شركة الشاي من تنفيذ خططها . وأقنع وكلاء الشركة في جميع الثغور - عدا بوسطن - بالاستقالة ، وأعيدت شحنات الشاي الجديدة الى إنجلترا أو وضعت في مخازن . لكن وكلاء الشركة في بوسطن أبوا أن يستقيلوا ، واتخذوا بمساعدة الحاكم الملكي كل التدابير اللازمة لتفريغ الحمولة الواردة دون نظر للمعارضة . وكان العنف هو رد الوطنيين بزعامة صمويل آدمز . ففي ليلة ١٦ ديسمبر سنة ١٧٧٣ اعتلت ظهر سفن الشاي الثلاث فرقة من الرجال ، متكرين على هيئة هنود الماهوك ، وقذفوا بالشاي إلى الماء .

كبح جماح المستعمرات

وهكذا واجهت بريطانيا أزمة خطيرة ، فقد كانت شركة الهند الشرقية تنفذ قانوناً برلمانياً ، وإذا مرت حركة تبديد الشاي دون رادع فعلى البرلمان أن يعترف أمام العالم بزوال سلطته على المستعمرات . وقد أجمعت الدوائر الرسمية في بريطانيا تقريباً على وصف عمل « حفلة شاي » بوسطن بالهمجية ، وايدت التدابير الخاصة بوقف ثوار المستعمرات عند حدهم . وتجاوب البرلمان مع القوانين الجديدة - التي أسماها أهل المستعمرات « القوانين الجائرة » وكان أولها قانون ميناء بوسطن ، الذي أغلق الثغر

مقتضاه حتى يدفع ثمن الشاي . وقد هدد هذا التدبير كيان المدينة نفسها ، لأن إقصاء بوسطن عن البحر يعد كارثة . وخولت بعض القوانين الأخرى الملك حق تعيين مستشاري مساتوستس الدين كان ينتخبهم فيما قبل المستعمرون . واصبح من سلطة العمد وعمال الحاكم استدعاء المحلفين ، الذين كانت البدوات الشعبية تحترهم من قبل . كذلك لم يعد للندوات الشعبية حق الاجتماع إلا بتصريح من الحاكم الذي بيده أيضاً حق تعيين القضاة والعمد وعزهم . وصدر قانون مساكن الجند ، الذي يفرض على السلطات المحلية السكن المناسب للمجنود البريطانيين . وكذلك صدر في تلك الآونة على وجه التقريب قانون كويك ، حيث وسع حدود إقليم كويك ، ومنح السكان الفرنسيين حق التمتع بالحرية الدينية ، وممارسة عاداتهم المعترف بها . وقد عارض أهل المستعمرات في هذا القانون ، إذ أنه إلى جانب إغفاله حقوقهم في الأراضي القريبة بمقتضى التراخيص القديمة ، هدد بصفة عامة في التوسع نحو الغرب . وكأنه بذلك يعمل على إحاطة المستعمرات في الشمال الغربي بإقليم تسود فيه الكاثوليكية اللاتينية المطلقة ، ومع أن قانون كويك لم يصدر كأجراء عقابي ، إلا أن الأمريكيين أضافوه الى القوانين الجائرة ، وأصحت كلها تسمى بإسم « القوانين الخمسة التي لا نطاق » .

وبدلاً من أن تخضع هذه القوانين مساتوستس كما كان منتظراً ، هبت اخواتها المستعمرات الأخرى الى مساعدتها . فدُعي ممثلو المستعمرات بناء على اقتراح نواب فرجينيا الى الاجتماع في فيلادلفيا في الخامس من شهر سبتمبر سنة ١٧٧٤ « للتشاور في حالة المستعمرات السيئة الراهنة » وكان هذا الاجتماع هو المؤتمر الأول لهذه القسارة . وهو هيئة ذات صبغة شرعية إضافية اختارتها المؤتمرات الإقليمية أو الجمعيات الشعبية . وقد أرسلت كل مستعمرة ، عدا جورجيا ، مندوباً واحداً على الأقل ، وكان العدد الكلي خمسة وخمسين عضواً وهو من الكثرة بحيث يدعو الى الاختلاف في الرأي ، ومن القلة بحيث يجعل المناقشة جوهرية والعمل منتجاً .

وقد وقع المؤتمر في ورطة مؤلمة بسبب انقسام المستعمرات في الرأي . إذ كان عليه أن يظهر بمظهر الاتحاد الوثيق كي يحمل الحكومة البريطانية على منحه بعض الامتيازات ، وفي الوقت نفسه كان عليه أن يتجنب أي مظهر من مظاهر التطرف أو « التشيع بروح الاستقلال » مما يزعج المعتدلين من الأمريكيين . وقد قرر المؤتمرون - بعد خطبة افتتاحية لبقية - عدم الرضوخ للقوانين الجائرة . ثم وضع المؤتمر إعلان الحقوق والمظالم موجهاً للشعب البريطاني .

ولعل أهم عمل قام به المؤتمر هو تأسيس « الرابطة » التي حذت إعادة المقاطعة التجارية ، ونظام لجان التفيتش لمراقبة تنفيذ القيود الجمركية ، وإذاعة أسماء التجار الذين ينقضون الاتفاقيات ومصادرة وارداتهم ، وتشجيع التفيتش والاقتصاد والصناعة . وتولت « الرابطة » في كل مكان زمام الزعامة وراحت تقيم المنظمات المحلية الجديدة للتخلص من بقايا السلطة الملكية ، وقد القت الرعب في قلوب المترددين في الانضمام

الى الحركة الشعبية ، وعاقبت الأعداء بقسوة ، وأخذت في جمع العتاد الحربي وتعبئة القوات وإثارة الرأي العام .

وقد وصل الخلاف - الذي كان يمو وتيداً بين أفراد الشعب - الى مرحلة لم يعد يرحى بعدها صلح بسبب ما قامت به « لجان الرابطة » من نشاط وجهود . ذلك لأن كثيراً من الأمريكيين ممن كانوا يعارضون إعتداء البريطانيين على الحقوق الأمريكية ، فضلوا المناقشة والتفاهم على تسوية كحل مناسب . وكانت تضم هذه الجماعة معظم أصحاب المناصب الحكومية (أي موظفي التاج) ، وعدداً كبيراً من الكويكرز وأعضاء الطوائف الدينية الأخرى التي تعارض مبدأ استخدام القوة ، وكثيرين من التجار ولا سيما من أهل المستعمرات الوسطى ، وبعض الناقمين من صغار المزارعين ، ورجال الحدود من المستعمرات الجنوبية . على أن الوطنيين من ناحية أخرى استمدوا مناصريهم لا من متوسطي الحال فحسب ، بل من طبقة أصحاب المهن كذلك ، خصوصاً المحامين ومعظم كبار المزارعين في الجنوب وعدد غير قليل من التجار .

وبما سببت الحوادث التي تلت صدور تلك القوانين الجائرة حالة من الذعر والخوف لأولئك الموالين لإنجلترا ، كان في استطاعة الملك أن يحالفهم ويشد من أزرهم ويقوي مركزهم بمنحهم امتيازاً مناسباً بحيث يصبح من العسير على المواطنين متابعة عدائهم ، غير أن جورج الثالث لم يكن من رأيه منح الامتيازات . وفي سبتمبر سنة ١٧٧٤ كتب موقفاً على التأس رفعه الكويكرز من فيلادلفيا « قضى الأمر فإما أن تخضع المستعمرات أو تنتصر » ولقد زلزل ذلك الموقف الملكيين أو « التوريز » كما بدأوا يلقبون .

كان قائد الحامية البريطانية في مدينة بوسطن - التي حل النشاط السياسي فيها محل التجارة - هو الجنرال توماس جيدج وهو سيد إنجليزي لطيف تزوج من فتاة أمريكية الأصل . ولقد كتب بريطاني بارز في المدينة هو الدكتور جوزيف وارن إلى صديق إنجليزي في ٢٠ فبراير سنة ١٧٧٥ يقول : « إن الفرصة لم تفلت بعد لمعالجة الشقاق بالوسائل السلمية ، ولكنني أرى أنه إذا حدث أن سار الجنرال جيدج بقواته الى داخل البلاد لكي ينفذ قوانين البرلمان الأخيرة ، فإن على بريطانيا العظمى بعدئذ ان تنسحب من مستعمرات نيوزيلند على الأقل ، وإذا لم أخطئ فمن أميركا كلها ، وإذا كان ثمة حكمة في الأمة فليظهرها مشيئة الله سريعاً » .

غير أن الجنرال جيدج كان عليه أن ينفذ القوانين الجائرة . وقد وصلت إلى مسامعه الأنباء القائلة بأن الوطنيين بمساشوستس يجمعون البارود والعتاد الحربي عند مدينة كنكورد الداخلية ، التي تبعد ٢٠ ميلاً من بوسطن . وفي ليلة ١٨ ابريل سنة ١٧٧٥ أرسل الجنرال الإنجليزي جزءاً كبيراً من حاميته ، لمصادرة هذه الذخيرة وإلقاء القبض على صموئيل آدمز وحوون هانكوك اللذين أمر بإرسالهما الى إنجلترا لمحاكمتهم جناًياً . ولكن المستعمرة جميعها تارت فور وصول بول ريفري ورسولين آخرين لاختطارهما بالأمر .

وعندما وصلت القوات البريطانية الى قرية لكسنجتون رأّت خلال ضباب الصباح المبكر فرقة مكونة من خمسين رجلاً من المستعمرين المسلمين وقد اصطفوا في الساحة العامة . ومرت لحظة ساد فيها التردد وتجاوبت فيها الصيحات والأوامر من كلا الفريقين ، وفي أثناء تلك الجلسة انطلقت رصاصة فأطلقت النيران من الجانبين وتفرق الأمريكيون وقد تركوا وراءهم ثمانية من القتلى . وهكذا أهدر أول دم في حرب الاستقلال الأمريكية . وشق البريطانيون طريقهم الى كنكورد حيث « أطلق الملاحون المناصلون » عند الجسر الشرقي « الرصاصة التي سمع دويها في العالم » ، وبدأت الفصائل البريطانية تقفل راجعة بعد أن أنجزت جزءاً من مهمتها . ولكن جنود الميليشيا في القرى والضياح كمنوا على طول الطريق خلف الأسوار الحجرية والروابي والبيوت واتخذوا من أصحاب الأودية الحمراء الزاهية هدفاً لهم . وكانت خسائر الجيش المتعب ، عند دخوله بوسطن متعزراً ، قد بلغت ثلاثة أمثال خسائر المستعمرات .

المؤتمر يناقش قضية الاستقلال

وكانت أنباء لكسنجتون وكنكورد قد طارت من لجنة محلية الى أخرى في المستعمرات الثلاث عشرة . وفي خلال عشرين يوماً كانت هذه الأخبار تبث روحاً مشتركة من الوطنية من مين الى جورجيا . وبينما كانت أنباء لكسنجتون وكنكورد لا تزال تدوي ، اجتمع المؤتمر الثاني للقارة في فيلادلفيا في ١٠ مايو سنة ١٧٧٥ ، برئاسة جون هانكوك ، وهو تاجر تري من بوسطن . كما حضر توماس جيفرسون ، والشيخ المحترم بنيامين فرانكلين ، وكان قد عاد من لندن وحاول عبثاً التوفيق ، بصفته وكيلًا لعدة مستعمرات . وماكاد المؤتمر يتنظم حتى دعي لمواجهة قضية الحرب العلنية . وعلى الرغم من وجود بعض المعارضة ، فإن الاتجاه الحقيقي للمؤتمر قد تكشف بعد صدور الإعلان الذي وضعه دكنسن وجيفرسون مبينين فيه أسباب الحرب وضرورتها والذي يقول :

« إن قضيتنا عادلة ، واتحادنا كامل ، ومواردنا الداخلية عظيمة . وإذا دعت الضرورة ، فإنه يمكن الحصول على المساعدة الأجنبية بغير شك . إن السلاح الذي اضطرنّا أعداؤنا الى حمله سوف نستخدمه لحفظ حرياتنا . وقد عقدنا العزم على أنه خير لنسأ أن نموت أحراراً من أن نعيش عبيداً » .

وفي الوقت الذي كان فيه الإعلان موضع المناقشة ، ضم المؤتمر جنود الميليشيا الى قوات القارة ، وعين الكولونيل جورج واشنطن قائداً عاماً للقوات الأمريكية . غير أنه على الرغم من الاشتباك الحربي وتعيين القائد العام فإن كثيرين من أعضاء المؤتمر وقسماً كبيراً من الشعب الأمريكي ظلوا اكارهين لفكرة الانفصال التام عن إنجلترا . وكان واضحاً أن المستعمرات لا يمكنها أن تظل الى الأبد تابعة للإمبراطورية من ناحية وخارجة عليها من ناحية أخرى .

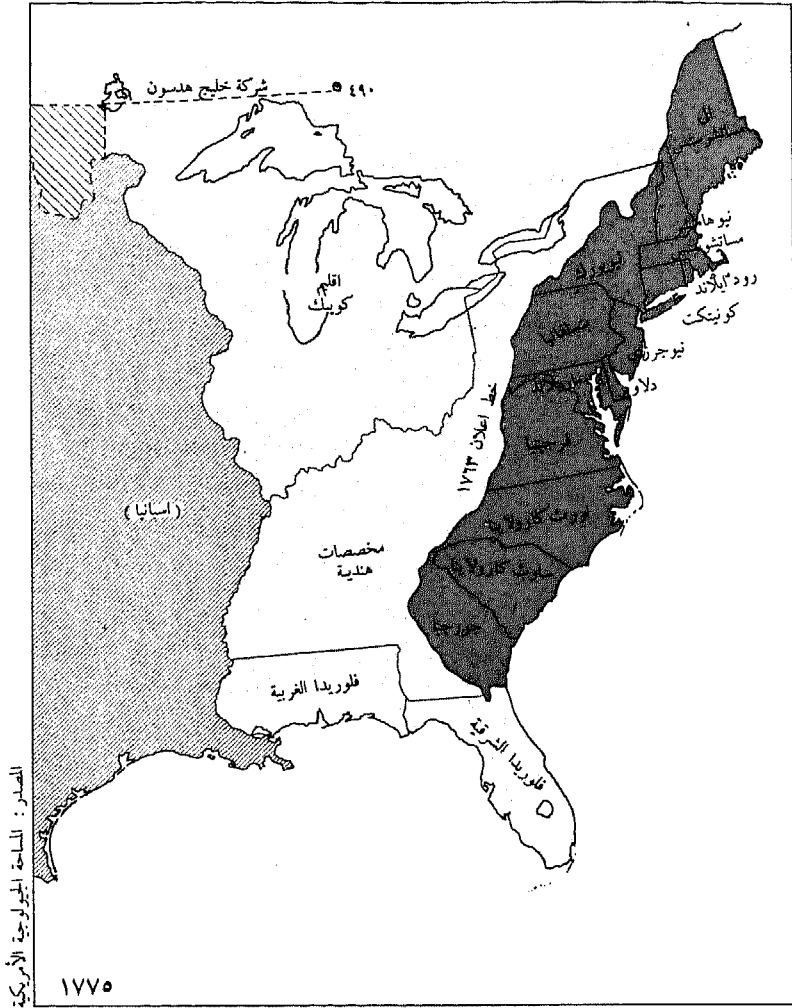
القرار الحاسم

وبمر الشهور ، ظهر جلياً أنه من العسير على المستعمرات أن تستمر في الحرب وهي لا تزال جزءاً من الإمبراطورية ، ولم تحاول إنجلترا الوصول الى أي اتفاق . وفي ٢٣ من أغسطس سنة ١٧٧٥ أصدر الملك جورج تصريحاً أعلن فيه أن المستعمرات في حالة عصيان . وبعد خمسة أشهر أصدر توماس بين كتابه المسمى « حسن الإدراك » في خمسين صفحة . وبأسلوب قوي مثير ، أكد فيه عبارات قاسية ، ضرورة الحصول على الاستقلال وهاجم « بين » بلباقته شخصية الملك ، ساخراً من فكرة الملكية المقدسة ، وصرح بأن رجلاً أميناً واحداً أجدى للمجتمع من « جميع الأوغاد المتوجين الذين وجدوا على ظهر الأرض » كما أقنع الناس بأن يوازنوا بين خضوع دائم للملك طاغية وحكومة مهلهلة ، وبين الحرية والسعادة في ظل جمهورية مستقلة تعتمد على نفسها . وليس هناك أي شك فيما تركه هذا الكتيب من أثر كبير في أنحاء المستعمرات إذ ساعد على بلورة العقائد ولم شعث المترددين حيال قضية الانفصال .

وإذا كان الناس قد شرعوا يعالجون فكرة الاستقلال في هدوء وأناة فقد بقيت هنالك مسألة معلقة هي الحصول على موافقة المستعمرات جميعها على إعلان الانفصال عن إنجلترا بصيغة رسمية . وقد كان هناك اتفاق عام على ألا يتخذ مؤتمر القارة مثل هذه الخطوة النهائية ، وهي الاستقلال ، دون أن يتلقى من المستعمرات تعليمات جديدة . غير ان المؤتمر كان يبلغ يومياً عن قيام حكومات جديدة في المستعمرات وعن مندوبين خولوا سلطة التصويت من أجل الاستقلال . وفي الوقت نفسه زادت سلطة المتطرفين « الراديكاليين » على المؤتمر ، إذ توسعوا في مراسلتهم ودعموا اللجان الضعيفة ، وألهبوا عقول الوطنيين بالقرارات المثيرة . وأخيراً اتخذ المؤتمر في ١٠ من مايو سنة ١٧٧٦ ، قراراً بحل المشكلة ، فلم يبق إلا التصريح الرسمي . وفي ٧ من يونيو قدم ريتشارد هنري من فرجينيا اقتراحاً يحذ الاستقلال والتحالف الأجنبي والاتحاد الأمريكي . وسرعان ما شكلت لجنة لإعداد الإعلان الرسمي « يبين الأسباب التي دعت الى اتخاذ هذا القرار الخطير » ، وعهد إلى هذه اللجنة - التي تألفت من خمسة مندوبين برئاسة توماس جيفرسون - إعداد الوثيقة .

المستعمرات تقر وثيقة اعلان الاستقلال

وإعلان الاستقلال الذي أقر في ٤ يوليو سنة ١٧٧٦ لم يؤذن بمولد أمة جديدة فحسب ، بل وضع فلسفة الحرية البشرية التي أصبحت القوة المحركة للعالم الغربي بكامله ، ولم تقم هذه الفلسفة على بيان مظالم خاصة ، ولكنها قامت على قواعد واسعة للحرية الفردية التي تجد تأييداً في سائر أنحاء أمريكا . كذلك كانت فلسفته السياسية واضحة في هذا الإعلان :



الانتصار على فرنسا في سنة ١٧٦٣ أعطى إنجلترا ملكية مناطق شاسعة منها إقليم كويك ، وهو المنطقة الممتدة بين جبال الليجيني ونهر ميسيسيبي وبين فلوريدا الشرقية والغربية (تخلت عنهما إنجلترا لاسبانيا في سنة ١٧٨٣) . وخوفاً من أن يثير التوسع صوب الغرب حروباً مع الهنود الحمر ، أعلنت الحكومة البريطانية في سنة ١٧٦٣ أن جبال الليجيني هي الحد الغربي لمستعمراتها الأمريكية . وتبين الخريطة (فوق) الحالة سنة ١٧٧٥ ، عندما اتحدت المستعمرات الثلاث عشرة (المساحة ذات اللون القاتم) للإطاحة بالحكم البريطاني . والقسم المتوسط هو منطقة بريطانية أخرى ؛ أما القسم إلى اليسار فكان يخص اسبانيا . ويشير القسم الصغير في الزاوية العليا اليسارية بخطوطه المتباعدة إلى منطقة كانت ادعت ملكيتها كل من إنجلترا واسبانيا .

« إننا نؤمن بأن الناس جميعاً خلقوا سواسية . وأن خالقهم قد وهبهم حقوقاً لا تقبل المساومة - منها حق الحياة وحق الحرية والسعي لتحقيق السعادة . وإنما تقوم الحكومات بين الناس لضمان هذه الحقوق وتستمد سلطانها العادل من رضى المحكومين ومن حق الشعب . وأنه إذا ما قوصت الحكومة هدفاً من هذه الأهداف أصبح من حق الشعب أن يغيرها أو يلغيها ، ثم يقيم بدلاً منها حكومة يضع أسسها على المبادئ وينظم سلطانها في الصيغة التي تحقق له الأمن والسعادة » .

وكان هدف الإعلان « أبعد من مجرد إعلان عام بالانفصال » إذ أظمت أفكاره الحماسية حماسة الجماهير الشاملة للقضية الأمريكية ، وعلم عامة الشعب الإحساس بأهميتهم وأوحى إليهم بالنضال في سبيل الحرية الشخصية ، والحكم الذاتي ، والحياة الكريمة في المجتمع .

استمرت الحرب الثورية أكثر من ست سنوات واشتعل القتال في كل مستعمرة ، وحتى قبل اعلان الاستقلال كانت هناك عمليات حربية دائرة كان لها تأثير هام على نتيجة الحرب . ومن أمثلة تلك العمليات سحق الملكيين في كارولينا الشمالية في فبراير سنة ١٧٧٦ ، واضطرار القوات البريطانية في شهر مارس الى إخلاء بوسطن . على أن الأمريكيين قاسوا سلسلة من الهزائم الفادحة في الشهور التي تلت الاستقلال . وكانت أولى هذه الهزائم في نيويورك ، وفي معركة لونج ايلاند كان مركز واشنطن قد أصبح حرجاً جداً فقام بحركة تفهقر سريعة باواعة مستخدماً عدداً من السفن الصغيرة ، من بروكلين الى شاطئ مانهاتن ، ولحسن الحظ كانت الرياح شمالية ، ولم تستطع السفن الحربية البريطانية الصعود في نهر إيست . ويبدو أن الجزال ولیم هاوكان يجهل مجرى الأمور ، فأضاع أتمن فرصة لديه لضرب القضية الأمريكية ضربة قاسية قاضية ربما كانت قد أنهت الحرب . وإذا كان واشنطن قد اضطر الى التفهقر باستمرار فإنه استطاع أن يحتفظ بقواته سليمة الى درجة ما حتى نهاية العام . تم أحيث الانتصارات الهامة في موقعي ترنتون وبرنستون آمال المستعمرات . غير أن الكارثة وقعت مرة أخرى ، إذ استولى هاو في سبتمبر سنة ١٧٧٧ ، على فيلادلفيا ، وولى الكونجرس هارباً ، تاركاً واشنطن يقضي الشتاء مع رجاله في وادي فورج .

على أن عام ١٧٧٧ قد شهد كذلك أعظم الانتصارات الأمريكية في الحرب . وكان ذلك بمثابة نقطة التحول في الثورة من الناحية الحربية ، إذ تحرك القائد البريطاني برجون من كندا جنوباً على رأس قوة تهدف الى الاستيلاء على خط بحيرة شاملين - نهر هدسن ، لعزل نيويورك عن المستعمرات الأخرى عزلاً تاماً . وقد وصل الى نهر الهدسن الأعلى حيث اضطر الى انتظار المؤن والمعدات حتى منتصف سبتمبر .

وقد صور له جهله بجغرافية أمريكا أنه من السير على قوة مغيرة السير عبر هشاير جرائنس (فرمونت) جنوباً على امتداد نهر كونيككتكت ، ثم تعود في مدى أسبوعين ومعها الاحصنة للفرسان والأبقار والماشية لجزر العربات التي يستخدمها جيشه . وقد اختار

لهذه الحملة ٣٧٥ من الجنود المرتزقة الذين اشتهروا باسم الهيسيين وحوالي ثلاثمائة رجل من الكنديين والهنود ، غير أنهم لم يبلغوا حتى خط فرمونت ، إذ التقوا برجال المليشيا قرب بيننجتون ولم يرجع إلا قليل من الهيسيين .

وقد جمعت معركة بيننجتون (فرمونت) شمل معظم الشعب المحارب في شمال نيويورك ، كما أدى تأخير برجوين الى تمكين واشنطن من إرسال قوات نظامية من الهندس الأسفل . وفي الوقت الذي استطاع فيه برجوين أخيراً أن يحرك قواته المبعثرة السيئة النظام ، كان جيش الجنرال جيتس في انتظاره . وقد صد الأمريكيون هجومين قام بهما برجوين ، وارتد البريطانيون إلى ساراتوجا . وفي ١٧ من اكتوبر سنة ١٧٧٧ سلم برجوين مع جيشه . وهذه الضربة القاصمة في الحرب ، جلبت فرنسا الى الجانب الأمريكي .

المستعمرات تحقق النصر والحرية

ومنذ الوقت الذي تم فيه التوقيع على وثيقة اعلان الاستقلال لم تعد فرنسا تقف على الحياد . فقد كانت الحكومة تواقّة لأن تنتقم من انجلترا للهزيمة التي منيت بها فرنسا في سنة ١٧٦٣ . ثم ان تحمسها لل قضية الأمريكية كان شديداً ، اذ كانت افكار الفرنسيين نفسها ناثرة على النظام الاقتصادي والامتيازات وعلى الرغم من استقبال بنيامين فرانكلين الحار في البلاط الفرنسي ، وبالرغم من مساعدتها للولايات المتحدة بالدخيرة والمؤن ، فقد اجمعت على التدخل المباشر في حرب عليّة ضد انجلترا .

على ان فرانكلين استطاع بعد تسليم برجوين ، ان يعقد معها معاهدات تجارية ومحالفات . بل ان كثيراً من المتطوعين الفرنسيين كانوا قد ابحروا الى امريكا قبل ذلك . وكان من أبرز هؤلاء المتطوعين المركز دي لافاييت ، وهو ضابط شاب في الجيش الفرنسي ذهب في شتاء ١٧٧٩ - ١٨٨٠ الى فرساي وحضر حكومته على أن تبذل جهداً حقيقياً لإنهاء الحرب . وعقب ذلك أرسل لويس السادس عشر حملة مكونة من ٦,٠٠٠ رجل بقيادة الجنرال روشامبو ، وإلى جانب ذلك زادت الأساطيل الفرنسية كثيراً من متاعب البريطانيين في تزويد جيوشهم بالمؤن والإمدادات ، وتكبّدت التجارة البريطانية خسائر فادحة بسبب السفن الفرنسية والأمريكية الخاصة التي كانت تخترق منطقة الحصار .

وفي سنة ١٧٧٨ اضطرت القوات البريطانية الى إخلاء فيلادلفيا بسبب تهديد اسطول الفرنسي . وفي السنة نفسها أكدت سلسلة الهزائم التي نزلت بالإنجليز في وادي أوهايو سلطة الأمريكيين على الشمال الغربي . إلا أنهم استمروا يحاربون في الجنوب واستولوا في أوائل سنة ١٧٨٠ على تشارلستون - وهي الميناء الرئيسي في الجنوب - واجتاحوا مقاطعة كارولينا . وفي العام التالي حاولوا فتح فرجينيا ، ولكن الاسطول الفرنسي الذي تم له الاشراف المؤقت في صيف ذلك العام على المياه الساحلية الأمريكية ، قام بنقل قوات واشنطن وروشامبو بالسفن الى خليج تشيزايبك ، وطوقت قواتهم المتحالفة وقدرها

١٥,٠٠٠ رجل ، جيش اللورد كورنواليس الذي بلغ عدده ٨,٠٠٠ رجل ، عند
يورك تاون على ساحل فرجينيا . وفي أكتوبر سنة ١٧٨١ سلم كورنواليس .
وحينما وصلت أوروبا أنباء الانتصار الأمريكي في معركة يورك تاون وافق مجلس
العموم على إنهاء الحرب . وقد بدأت مفاوضات الصلح في أبريل سنة ١٧٨٢ ، واستمرت
حتى نهاية شهر نوفمبر حينما وقعت معاهدات مبدئية مع الحكومة البريطانية . على أن
هذه المعاهدات لم تصبح نافذة المفعول إلا بعد أن عقدت فرنسا معاهدة الصلح مع بريطانيا
العظمى . وفي سنة ١٧٨٣ وقعت تلك المعاهدات بصفة نهائية ، واعترفت تسوية الصلح
 باستقلال الولايات المتحدة الثلاث عشرة وحريتها وسيادتها ، كما منحتها الأراضي
 التي كانت تطمع فيها ، وهي الأراضي الواقعة غربي المسيسيبي حتى الحدود الشمالية كما
 هي عليه الآن ، على أن يوصي الكونجرس الولايات بإعادة الأملاك التي صادرتها من
 الأمريكيين الموالين لـإنجلترا إلى أصحابها .

تأليف الحكومة الوطنية

« ان الحكم الذاتي حق لكل فرد
ولكل جماعة من الناس »

توماس جيفرسون ، ١٧٩٠

أتاح

نجاح الثورة للأمريكيين الفرصة ليضعوا مثلهم السياسية التي أوضحوها في وثيقة إعلان الاستقلال في الصيغة القانونية ، وقد تعود الأمريكيون اليوم أن يعيشوا في ظل الدساتير المكتوبة لدرجة أنهم يعتبرونها شيئاً مفروغاً منه يقبلونه بلا مناقشة . ومع ذلك فإن الدستور المكتوب قد تطور في أمريكا ويعتبر من أقدم الدساتير في التاريخ . وقد كتب جون آدمز ثاني رؤساء الولايات المتحدة يقول :

« إن الدستور هو المرجع النهائي في كل دولة حرة » . وكان الأمريكيون في كل مكان يطالبون « بقانون قائم يعيشون في ظله » .

وفي ١٠ مايو سنة ١٧٧٦ أصدر الكونجرس قراراً ينصح فيه المستعمرات بتشكيل حكومات جديدة « تكفل للأهالي السعادة والسلامة » . وكانت بعض الولايات قد لبّت الدعوة ، وفي خلال العام الذي تلى إعلان الاستقلال وضعت جميع الولايات - عدا ثلاث منها - دستوراً جديداً .

وقد اوضحت معظم الدساتير الجديدة مدى تأثير الأفكار الديمقراطية ، ولو أن دستوراً منها لم يقطع صلته بالماضي تماماً ، إذ وضعت كلها على أساس متين من خبرتهم أيام الاستعمار ، وعلى أساس الأساليب الإنجليزية والفلسفة السياسية الفرنسية . ولم تتم الثورة فعلاً إلا بعد وضع هذه الدساتير . وكان الغرض الأول الذي رُمي إليه واضعو هذه الدساتير - بطبيعة الحال - هو المحافظة على « تلك الحقوق الثابتة » التي كان انتهاكها قد أدى بالمستعمرات السابقة الى إنكار علاقتها بإنجلترا . وكان من أثر ذلك أن استهل كل دستور مواده بإعلان قانون الحقوق ، واشتمل دستور فرجينيا - الذي كان نموذجاً نسجت على منواله بقية الدساتير - على بعض المبادئ مثل السيادة الشعبية ، والتناوب في الوظائف ، وحرية الانتخاب ، وتعدد الحريات الأساسية ، والكفالات المعقولة ، والعقوبات الإنسانية ، ونظام المليشيا بدل الجيش النظامي ، والمحاکمات السريعة بواسطة هيئة المحلفين ، وحرية الصحافة ، وحرية الضمير ، وحق الأغلبية في إصلاح الحكومة أو تغييرها ، وتحريم أوامر القبض العامة .

وقد قامت الولايات الأخرى بتوسيع نطاق هذه المبادئ ، حتى شملت حرية الرأي ، والاجتماع ، والالتباس ، وحمل السلاح ، وعدم حبس الشخص قبل محاكمته ، وعدم انتهاك حرمة المسكن ، والمساواة في الحماية أمام القانون . أضيف إلى ذلك أن دساتير الولايات المتحدة كلها كانت تتمسك بنظرية السلطات الثلاث - التنفيذية والتشريعية والقضائية - التي توازن بعضها البعض الآخر وتخضع كل منها لرقابة غيرها من السلطات . وبينما كانت المستعمرات الأصلية الثلاث عشرة تتحول إلى ولايات وتنهى نفسها لأحوال الاستقلال ، قامت هناك ولايات جديدة في المساحات الواسعة الممتدة غربي المستعمرات الساحلية . فلقد تدفق غربي جبال الأبلاش الرواد الذين استهواهم الخصب الوفير في تلك البقاع . ولم تحل سنة ١٧٧٥ حتى كانت تلك الأماكن الشاسعة البعيدة عن العمران على طول الطرق المائية قد ازدحمت بعشرات الآلاف من المستوطنين الجدد . ولما كانت هذه الأماكن تعد مئات الكيلومترات عن مراكز السلطة السياسية في الشرق وتفصلها عنها سلاسل الجبال ، أقام السكان حكومات خاصة بهم . كما انساب المستعمرون من الولايات الساحلية الأصلية إلى أودية الأنهار الخصيبة ، والغابات ذات الأخشاب الصلبة ، والبراري الشاسعة . ولم يأت عام ١٧٩٠ حتى كان تعداد السكان عبر جبال الأبلاش يربو على مائة وعشرين ألف نسمة .

مشكلات تواجه الامة الجديدة

وبانتهاء الثورة كان على الولايات المتحدة ان تواجه مرة اخرى المسألة الغربية التي بقيت بغير حل : مشكلة « الامبراطورية » بما يكتنفها من مشكلات خاصة بالأراضي وتجارة الفراء والهنود ومشاكل الاستيطان ، وحكم المقاطعات التابعة . وكان لعدد من المستعمرات قبل الحرب حقوق واسعة ومتشابهة في كثير من الأحيان في الأراضي الواقعة فيما وراء جبال الأبلاش . وكانت تلك الحقوق التي تحول هذه الولايات الحصول على هذه المساحات الغنية تبدو غير عادلة في نظر الولايات الأخرى التي ليس لها مثل هذه الحقوق في الغرب . ولقد تقدمت ماريلاند - وهي الناطقة بلسان الجماعة الأخيرة - باقتراح يرمي إلى اعتبار الأراضي الغربية ممتلكات عامة يقسمها الكونجرس إلى حكومات حرة مستقلة . ولكن الفكرة لم تقابل بحماسة ، ورغم ذلك فإنه في سنة ١٧٨٠ تنازلت نيويورك عن مطالبها للولايات المتحدة ، وبذلك كانت قدوة لغيرها في هذا المضمار . وسرعان ما حذت المستعمرات الأخرى حذوها . فلم تنته الحرب حتى بسدا أن الكونجرس سيمتلك جميع الأراضي الواقعة شمال نهر أوهايو وكذلك الأراضي التي تقع غربي جبال الياجني . وكان الاشتراك في امتلاك هذه الملايين من الأفدنة أقوى دليل على القومية والوحدة اللتين قامتا خلال هذه الأعوام المضطربة ، كما أضفى معنى معيناً على فكرة السيادة الوطنية . ومع ذلك فإن هذه المسألة كانت في الوقت ذاته بحاجة ملحة لحل سريع .

وقد أمكن الوصول الى هذا الحل في مواد دستور جامعة الولايات ، وهو الاتفاق الرسمي الذي كان قد وحد المستعمرات منذ سنة ١٧٨١ توحيداً مبدئياً . وبمقتضى هذه المواد نحدد نظاماً من نظم الحكم الذاتي المحدود (نص عليه قانون الشمال الغربي لسنة ١٧٨٧) قد اقيم لتنظيم المقاطعة الشمالية الغربية باعتبارها جزءاً واحداً يحكمه حاكم وقضاة يعينهم الكونجرس . حتى إذا اشتمل هذا الإقليم على خمسة آلاف من الذكور الذين بلغوا سن الاقتراع أصبح أهلاً لأن تكون له هيئة تشريعية تتألف من مجلسين وأن ينتخب بنفسه أعضاء المجلس الأصغر . أضف إلى ذلك أن هذا الإقليم كان يستطيع في ذلك الوقت أن يوفد الى الكونجرس مندوباً ليس له حق التصويت .

واشترط أن لا تتكون في هذا الإقليم أكثر من خمس ولايات أو أقل من ثلاث . وكلما اشتملت إحدى هذه الولايات على ستين ألفاً من المواطنين الأحرار سمح لهم بالانضمام الى الاتحاد وأن تكون ولايتهم على قدم المساواة مع الولايات الأصلية من جميع الوجوه . وقد « كفلت المواد الست التي يتألف منها الاتفاق المبرم بين الولايات الأصلية وبين ولايات الإقليم السابق الذكر وسكانه » الحقوق المدنية والحريات ، كما شجعت التعليم ونصت على « أنه لن يكون ثمة رق أو سخرة في الإقليم المذكور » .

وهكذا بدأت سياسة جديدة مختصة بالمستعمرات تقوم على مبدأ المساواة . وقد نبذت هذه السياسة الجديدة المبدأ الذي قدسته الأجيال المتعاقبة طوال الزمن والذي ينادي بأن المستعمرات إنما وجدت لمصلحة الأمم الكبرى وأنها خاضعة لها سياسياً وأقل منها شأناً من الناحية الاجتماعية . وقد حل محل هذا المبدأ الرأي القائل بأن المستعمرات ما هي إلا امتداد لاتساع رقعة أراضي الأمة وأنها أهل لأن تتمتع بجميع مزايا المساواة على أنها حق وليست امتيازاً . وقد وضعت شروط هذا القانون المستنير الأساس الدائم للنظام الإقليمي الأمريكي كما أنها ساعدت الولايات المتحدة على أن تمد رقعتها غرباً الى المحيط الهادي وعلى أن تنمو وتوسع في شيء من العسر الطفيف من ثلاث عشرة ولاية الى خمسين ولاية .

ولكن مواد هذا التحالف لم تنجح لسوء الحظ في حل المشاكل الأخرى . فمن قصورها الواضح ما كان من إخفاقها في نهضة حكومة وطنية حقيقية للثلاث عشرة ولاية التي كانت تتجه لتجاهاً قوياً نحو الاتحاد منذ أن اجتمع نوابها للمرة الأولى في المؤتمر العام للقارة الذي انعقد في سنة ١٧٧٤ لحماية حرياتها من اعتداء السلطات البريطانية .

مفهوم جديد للنظام الحكومي

ولقد ترك الضغط الناجم عن صراعها مع إنجلترا أثراً في تغيير هذا الموقف الذي وقفته قبل ذلك بعشرين عاماً حينما رفضت الجمعيات الاستعمارية مشروع اتحاد ألباني . فحين ذلك رفضت المستعمرات التنازل عن أي قسط - مهما كان صغيراً - من الحكم

الذاتي الى آية هيئة ولو كانت من انتخابها . ولكن المساعدة المشتركة في أثناء الثورة كانت ذات أثر عظيم . ولذلك قل الخوف من التنازل عن السلطة الفردية في بعض النواحي إلى حد كبير .

وفي سنة ١٧٨١ دخلت هذه المواد في دور التنفيذ . ومع أنها كانت تعتبر بالنسبة الى النظام المفكك الذي أقامه الكونجرس أكثر تقدماً ، فإن النظام الحكومي الذي أقامت المواد بنيانه ، كانت تشوبه مواطن ضعف كثيرة . فقام النزاع على تعيين الحدود . وكانت المحاكم تصدر أحكاماً تتضارب بعضها مع بعض ، كما أن المجالس التشريعية في مساتشوستس ونيويورك وبسلفانيا قد سنت من الشرائع الجرمية ما أضر بمجاراتها الصغيرة ، كما ولدت القيود التي فرضت على التجارة بين الولايات شعوراً معادياً ، فلم يستطع رجال نيوجرسي مثلاً أن يعبروا نهر هدس لبيع الخضري في أسواق نيويورك دون أن يدمعوا رسوماً باهظة للدخول أو للتخليص على بضائعهم .

كان ينبغي أن يكون لدى الحكومة الوطنية القدرة على فرض ما تراه ضرورياً من الرسوم ، وأن تنظم التجارة ، أو فرض الضرائب للأغراض الوطنية . وكذلك كان ينبغي أن يكون لها وحدها حق الاشراف على العلاقات الدولية . ولكن بعض الولايات كانت قد بدأت تتفاوض بصورة مستقلة مع الأمم الأجنبية . وقد نظمت تسع ولايات جيوشها الخاصة ، وامتلك عدد منها أساطيل صغيرة . وكان هناك خليط عجيب من العملة كما كان هناك اختلاف يثير الحيرة في أوراق النقد الوطنية ، وتلك الخاصة بالولايات ، وكانت قيمتها تهبط بسرعة .

ولقد سببت الصعوبات الاقتصادية التي نجمت عن الحرب - الى جانب ما تقدم - تدمراً بين الفلاحين بصفة خاصة ، فأخذت المحاصيل الزراعية تزيد عن حاجة الأسواق ، وظهر القلق العام بصفة خاصة بين المدنيين من الفلاحين الذين طالبوا بإجراءات حاسمة تكفل لهم الاحتفاظ بممتلكاتهم الموهوبة ، وتجنبهم الحبس وفاء لديونهم ، وشغلت المحاكم بقضايا الديون . وفي صيف سنة ١٧٨٦ طالبت المؤتمرات الشعبية والجماعات غير الرسمية في كثير من الولايات بإصلاح النظم الإدارية في الولايات ، كما لجأ كثير من صغار الملاك إلى العنف حينما تعرضوا للسجن بسبب ما عليهم من ديون وفقدانهم الضياع التي ورتوها عن أجدادهم .

وفي حريف عام ١٧٨٦ ، بدأت جماعات من الفلاحين في مساتشوستس ، بزعمامة ضابط يسمى « دانييل شيز » تحول بالقوة دون انعقاد محاكم المقاطعات للنظر في القضايا الخاصة بالديون ، في انتظار الانتخاب التالي للولاية . ولكن حكومة الولاية قابلت تلك الجماعات بالعنف . وبدأ لبعض الوقت ان صغار الملاك الثائرين قد يحاصرون دارالحكومة في بوسطن . ولكن رجال الميليشيا ردوا على الثوار المسلحين ففرقوا بين التلال . ولم يقدر المجلس التشريعي عدالة المظالم التي أدت الى الثورة إلا بعد إخمادها ، وعندئذ راح يتخذ التدابير لعلاجها .

وفي هذا الوقت كتب وشنطن أن الولايات لم يكن يربط بعضها بعض إلا « حلل من الرمال ». وأن كرامة الكونجرس قد هوت وتدهورت . وأدى النزاع على الملاحه في نهر بوتوماك بين ماريلاند وفرجينيا الى عقد مؤتمر من ممثلي خمس ولايات في آنا بوليس في سنة ١٧٨٦ . ولقد أُنْعِمَ أحد هؤلاء الممثلين ، واسمه الكسندر هاملتون ، رملاه بأن التجارة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بمسائل أخرى كثيرة ، وأن الموقف من الخطورة بحيث لا يمكن علاجه على يد جمعية غير ممثلة تمثيلاً صادقاً ، وحث المجتمعين علي أن يطلبوا إلى جميع الولايات تعيين ممثلين للولايات المتحدة و « لوضع النصوص الضرورية التي تجعل دستور الحكومة الاتحادية ماساً لحاجات هذا الاتحاد » . واعترض مؤتمر القساره في أول الأمر على هذه الخطوة الجريئة ، ولكن الأنباء التي تواترت بأن فرجينيا انتخبت جورج وشنطن مندوباً عنها قضت على اعتراضاته . تم أجريت الانتخابات في جميع الولايات ، فيما عدا « رود آيلاند » ، في حلال الحريف والشتاء التاليين .

كان ذلك اجتماعاً ضم الأشراف الذين اجتمعوا في صورة المؤتمر الاتحادي في دار الحكومة في فيلادلفيا في شهر مايو سنة ١٧٨٧ ، وقد أرسلت مجالس الولايات التشريعية رعاء من ذوي الخبرة والمران في حكومات المستعمرات والولايات ، وفي الكونجرس وساحة القضاء والحرب . ولقد اختير جورج وشنطن رئيساً للمؤتمر . وكانت البلاد قاطبة تعدده المواطن البارز ، وذلك لزعامة الحرية في أثناء الثورة ولنزاهته وسمعته . أما بنيامين فرانكلين الذي امتاز بالحكمة والمران وبعد النظر - وكان قد بلغ الحادية والتأمين إذ ذاك - فقد ترك النقاش للستباب ، ولكن روحه الرقيقة وخبرته الدبلوماسية الواسعة ساعدتا على تذليل الكثير من الصعاب التي قامت بين النواب الآخرين . ومن أبرز الأعضاء الذين تميزوا بالنشاط الوفير الحاكم موريس الذي امتاز بالقدره والجرأة - والذي ظهر له أن الحاجة أصبحت تستدعي قيام حكومة وطنية . وجيمس ويلسن الذي كان يعمل ايضاً دون ملل في سبيل الفكرة الوطنية . وأتى من فرجينيا جيمس ماديسون وكان شاباً من السياسيين العمليين وعالماً حاذقاً في السياسة والتاريخ ، وكان كما يقول أحد زملائه : « أفضل الرجال معرفة في كل ما يعرض أثناء المناقشات من موضوعات نتيجة مثابرتة واجتهاده » .

وأرسلت مساتشوستس روفوس كنتنج ، وإيلبريدج جيرى وهما من الشبان ذوي الخبرة والمقدرة . كما كان رودجير شيرمان - صانع الأحذية الذي أصبح قاضياً - أحد ممثلي كونيتكتك . وحضر من نيويورك الكسندر هاملتون الذي ذاعت شهرته ولم يتجاوز الثلاثين . وكان توماس جيفرسون أحد عظماء الأمريكيين القلائل الذين تحلفوا عن المؤتمر ، إذ كان وقتئذ في فرنسا في مهمة حكومية . وكان الشاب سائداً بين النواب الخمسة والخمسين ، إذ كان معدل أعمارهم اثنتين وأربعين سنة فقط .

ولم يغول المؤتمر إلا سلطة تعديل مواد دستور جامعة الولايات ، ولكن النواب كما كتب ماديسون فيما بعد « ثقة منهم ببلادهم ، طرحوا مواد الدستور جانباً في بساطة

تامة » وساروا قدماً في سبيل إيجاد نظام جديد للحكومة . واعترف النواب في عملهم بأن الحاجة الملحة كانت هي التوفيق بين قوتين مختلفتين : سلطة الرقابة المحلية التي كانت تمارسها الولايات الثلاث عشرة شبه المستقلة من ناحية ، وسلطة الحكومة المركزية من ناحية أخرى . فاختاروا الرأي القائل بأن اختصاصات الحكومة الوطنية وسلطاتها يجب أن تكون محدودة مقررّة في دقة وعناية . وذلك لكونها جديدة وعامة وشاملة . أما ما عدا ذلك من سلطات واختصاصات أخرى فإنها من حق الولايات . ومع ذلك فإنهم اعترفوا بضرورة منح الحكومة الوطنية سلطة حقيقية أوفى . ثم قبلوا بوجه عام فكرة تحويل الحكومة الوطنية حق سك النقود ، وتنظيم التجارة ، وإعلان الحرب وعقد الصلح .

الزعماء يجذبون فصل السلطات

وكان ساسة القرن الثامن عشر الدين اجتمعوا في فيلادلفيا من أنصار نظرية مونتسكيو . وهي نظرية توازن القوى في السياسة ، هذا المبدأ الذي كان من الطبيعي أن تؤيده الخبرة الاستعمارية وتدعمه كتابات « لوك » التي كان يعرفها معظم النواب . ولقد أدت هذه التأثيرات إلى إدراك ما تقضي به الضرورة من قيام ثلاثة فروع متساوية ومتناسقة للحكومة . وأن تضبط السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية وتحكم ، بحيث تضمن توافر الانسجام في العمل جميعاً . وبحيث لا تطغى إحداها على الأخرى . وقد وافق النواب على أن الهيئة التشريعية يجب أن تتألف من مجلسين شأنها في ذلك شأن المجالس التشريعية في الولايات والبرلمان الإنجليزي .

وقد كانت هذه الآراء العامة متفقاً عليها ، بيد أن التضارب الشديد بين المجتمعين قد بشأ فيما يتعلق بالطرق التي تؤدي إلى بلوغ هذه الأهداف المنشودة . فقد اعترض ممثلو الولايات الصغيرة - كنيجرسي مثلاً - على التغييرات التي قد تحد من نفوذها في الحكومة الاتحادية ، لمحل التمثيل قائماً على عدد السكان فيها لا على اعتبارها ولاية كما ورد في مواد دستور الجامعة . ومن ناحية أخرى كان ممثلو الولايات الكبرى - كولاية فرجينيا - يدلون بالحجج الدامغة في صالح التمثيل النسبي . ولقد حثي أن يستمر الجدل حول هذه المسألة ويطول إلى ما لا نهاية ، فتقدم مندوب كونيككتكت بمشروع نص فيه على أن يكون التمثيل في أحد مجلسي الكونجرس بالنسبة لعدد سكان الولاية ، وأن يكون متساوياً في المجلس الآخر . وبعد ذلك حلت المشكلة التي قامت بين الولايات الكبيرة والصغيرة .

ومع ذلك أثارت كل مسألة تقريباً من المسائل التي جاءت بعد ذلك مشاكل جديدة لا تكاد تحل إلا عن طريق تسوية جديدة ، إذ كان بعض الأعضاء لا يرغبون في أن ينتخب الشعب أي فرع من فروع الحكومة الاتحادية انتخاباً مباشراً ، على حين أن غيرهم كانوا يفكرون في ضرورة التوسع في قاعدة الانتخاب بقدر الإمكان . وأراد بعض النواب استبعاد الغرب الذي كان آخذاً في النمو والتقدم من التمتع بحقوق

الولايات ، بينما راح الآخرون يدافعون عن مبدأ المساواة الذي اقره قانون ١٧٨٧ . ولم يكن هناك خلاف خطير في الرأي على المسائل الاقتصادية الوطنية مثل أوراق النقد ، والقوانين التي تعطل من قوة الالتزامات التعاقدية - غير أنه كانت هناك حاجة الى الموازنة بين المصالح الاقتصادية المحلية التي تمتاز بها كل ولاية ، وكذلك الى الحد من المناقشات الحامية حول سلطات الهيئة التنفيذية وأجلها ونظام اختيارها ، وإلى حل المشاكل المتعلقة بمدة خدمة القضاة وبنوع المحاكم التي يجب أن تؤسس .

وقد عمل المؤتمر خلال صيف فيلادلفيا الحار ، على حل المشاكل في عزم وقوة حتى استطاع آخر الأمر أن يصوغ - في وثيقة قصيرة - قانوناً مرضياً يشمل على أعقد الأنظمة الحكومية التي وضعها الانسان حتى ذلك الوقت ، فهي حكومة تتمتع بسلطة عليا في دائرة اختصاصها . ولكن هذه السلطة إنما تقع في داخل نطاق واضح محدود . وكما وضع التعديل العاشر في سنة ١٧٩١ « فإن السلطات التي لم يخولها الدستور للولايات المتحدة والتي لم يحظرها على الولايات ، قد حفظت للولايات أوللشعب » ، وقصر سيادة القوانين الاتحادية « على ما كان منها مطابقاً للدستور » .

وقد منح المؤتمر الحكومة الاتحادية الى جانب السلطات التي خولها إياها سلطة فرض الضرائب ، وعقد القروض المالية ، وفرض الرسوم الجمركية ، ورسوم الإنتاج . كما منحها سلطة سك العملة ، وضبط الموازين والمكاييل ، ومنح براءات الاختراع وحقوق التأليف ، وإنشاء مكاتب البريد وطرق البريد ، كما خولها سلطة تعبئة الجيوش وإعداد الاسطول والاحتفاظ بهما وتنظيم التجارة بين الولايات . ومنحها جميع وسائل الإشراف على العلاقات الهندية والعلاقات الدولية وشؤون الحرب . ولها حق سن القوانين الخاصة بمنح الأجانب حقوق الجنسية ، والإشراف على الأراضي العامة . ومن سلطاتها أيضاً الاعتراف بالولايات الجديدة على أساس المساواة التامة بغيرها من الولايات القديمة وبفضل السلطة التي تخولها سن ما تراه ضرورياً من قوانين لتنفيذ سلطاتها المحددة أصبحت الحكومة الاتحادية مرنة مرونة تكفيها لمواجهة مقتضيات الأجيال القادمة ، وتأمين حاجات الدولة الآخذة في الاتساع .

امتحان المبادئ الجديدة

لقد جرب مبدأ فصل السلطات ، الذي كان مألوفاً في معظم حكومات المستعمرات في كثير من دساتير الولايات وثبتت صلاحيته تماماً . وهكذا أنشأ المؤتمر نظاماً حكومياً ذا سلطات ثلاث منفصلة - تشريعية وتنفيذية وقضائية - تشرف كل منها على غيرها . ولم تكن قرارات الكونجرس لتصبح قانوناً إلا بعد أن يوافق الرئيس عليها . وعلى الرئيس أن يعرض على مجلس الشيوخ أهم تعييناته وكل ما يعقد من معاهدات للموافقة عليها . وللسلطة القضائية أن تبحث في القضايا التي تنشأ عن تطبيق القانون والدستور . وعلى

ذلك خولت المحاكم التي كانت تتمتع بنفوذ كبير سلطة تفسير كل من القانون الأساسي والقانون المدون. غير أنه كان للكونجرس أن يناقش السلطة القضائية الحساب، وهي السلطة التي يعينها الرئيس ويوافق على تعيينها مجلس الشيوخ.

ورغبة في حماية الدستور من التبدل السيئ، أضيفت المادة الخامسة التي تنص على أنه يمكن إما لثلاثي أعضاء مجلس الكونجرس أو لثلاثي ممثلي الولايات مجتمعين على هيئة مؤتمر، اقتراح التعديلات الخاصة بالدستور وأن تصبح الاقتراحات قانوناً بإحدى طريقتين: إما بمصادقة المجالس التشريعية لثلاثة أرباع الولايات، أو عن طريق مؤتمر يضم ممثلي ثلاثة أرباع هذه الولايات ويقترح الكونجرس طريقة منها.

وأخيراً واجه المؤتمر أهم مشكلة عرفها، ألا وهي طريقة تنفيذ السلطات المخولة للحكومة الجديدة. وكانت الحكومات الوطنية تملك نظرياً - في ظل مواد دستور الاتحاد - سلطات كبيرة، وإن كانت غير كافية تماماً. غير أن هذه السلطات كانت عديمة الفائدة من الناحية العملية، لأن الولايات لم تكن توليها عناية أو اهتماماً. فما الذي ينفذ الحكومة الجديدة من مواجهة العقبة نفسها؟ لم يقترح معظم المندوبين منذ البداية إلا جواباً واحداً وهو استخدام القوة. ولكن سرعان ما ظهر أن استخدام القوة مع الولايات قد يقوض أركان الوحدة. وتقرر ألا تفرض الحكومة سلطتها على الولايات، بل على الشعوب التي تعيش في هذه الولايات. وقد وافق المؤتمر على إجراء موجز عظيم القيمة يعتبر بمثابة حجر الزاوية للدستور:

« للكونجرس سلطة سن القوانين الضرورية والملائمة لتنفيذ السلطات التي منحها هذا الدستور لحكومة الولايات المتحدة ». (مادة ١ فقرة ٨).

« وهذا الدستور وقوانين الولايات المتحدة التي تسن طبقاً له، وكل المعاهدات المبرمة، والتي سنبرم في ظل سلطة الولايات المتحدة، ينبغي أن تكون القانون الأعلى للبلاد. وعلى القضاة في كل ولاية أن يتقيدوا به بصرف النظر عما يخالف ذلك في دستور أو قوانين أية ولاية ». (مادة ٦).

وعلى هذا أصبحت قوانين الولايات المتحدة نافذة في جميع محاكمها الوطنية عن طريق قضاتها وموظفيها. كما تنفذ أيضاً في محاكم الولايات بواسطة قضاة الولاية حفظاً للقانون فيها.

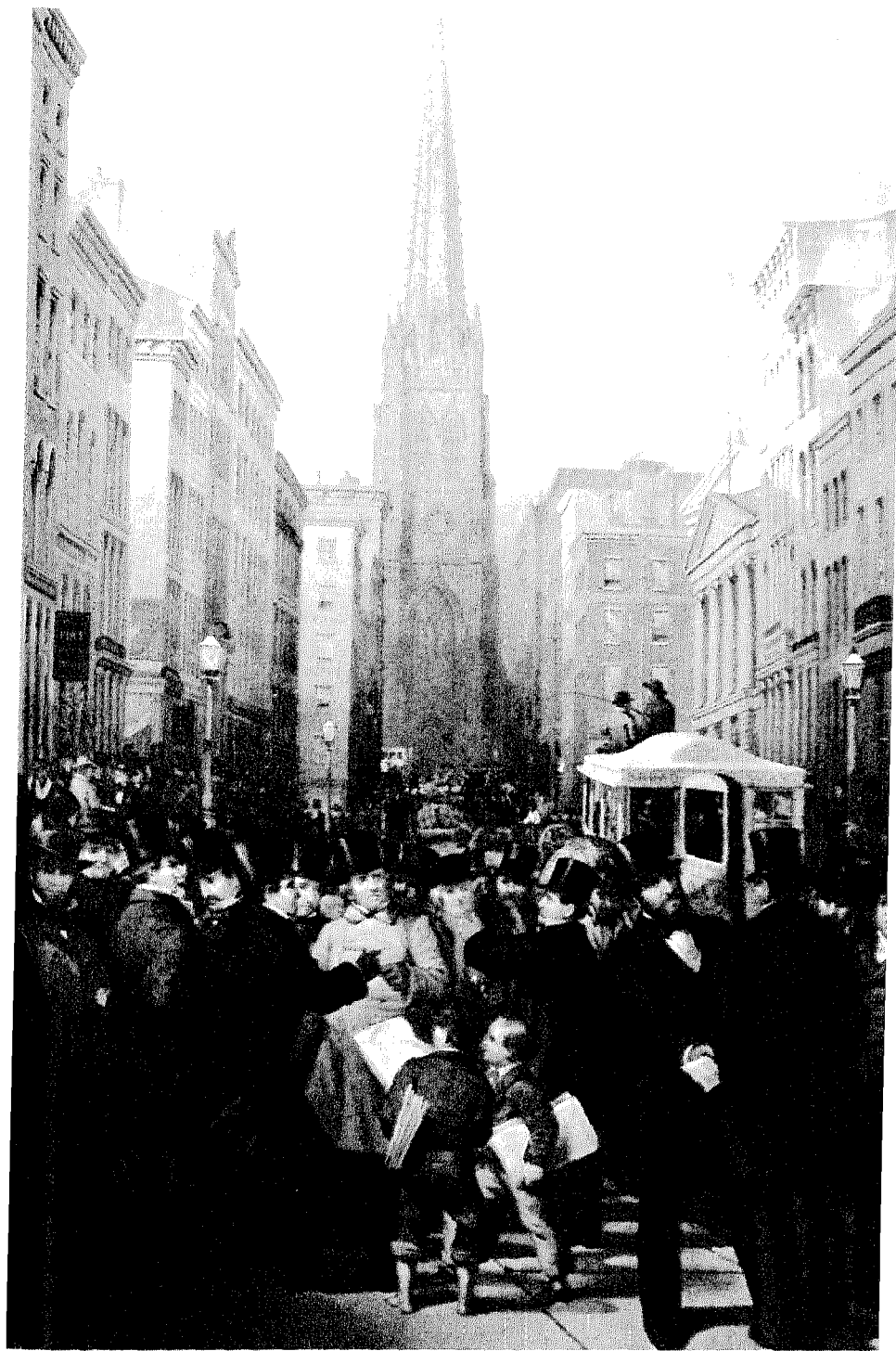
وبعد ستة عشر أسبوعاً انتفضت في تبادل الآراء والتمعن والروية، وقع الدستور الذي تم إنجازه في ١٧ من سبتمبر سنة ١٧٨٧، وذلك بإجماع آراء ممثلي الولايات الحاضرين. وجلس واشنطن والنواب، وقد تأثروا برهبة الموقف، غارقين في تأملات عميقة. ولكن فرانكلين خفف من حدة هذا التوتر بفكاهة مرحة، عندما لاحظ وهو يشير إلى نصف قرص الشمس المرسوم باللون الذهبي وراء مقعد واشنطن، وقال:

« طالما كنت أنظر وأمعن النظر في أثناء انعقاد المؤتمر وفي أثناء تقلبات آمالي ومخاوفي بالنسبة لنتيجته، إلى هذا القرص خلف الرئيس، دون أن أستطيع التثبت مما إذا كان

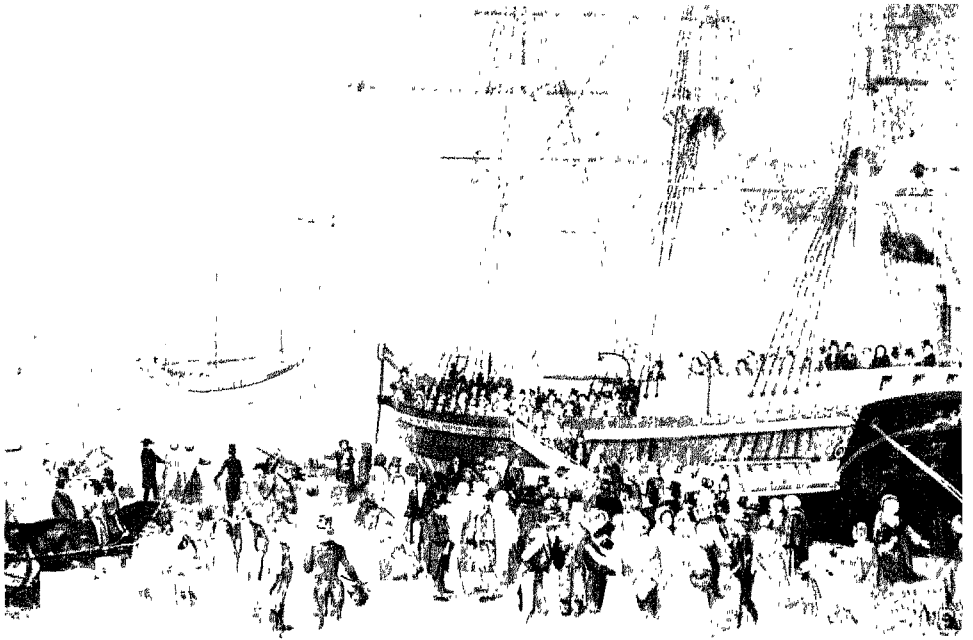


أصبح الاحتفال بالربيع من يوليو تقليداً مرغوباً يقترن بالمواكب والزومات الخلوية والاحتفالات الخطابية

بعد الفوز بالاستقلال ، شاركت المستعمرات السابقة بقية العالم في التنازل عما
يخفيه الغد ؟ أول كل شيء ، كان عليها أن تتحد معاً . ثم تنمو ، وتبني ، وتناجز ،
وتستكشف ، وتتوغل غرباً ، كأمة من الورد الطامحين ، لكل منهم أحلامه .

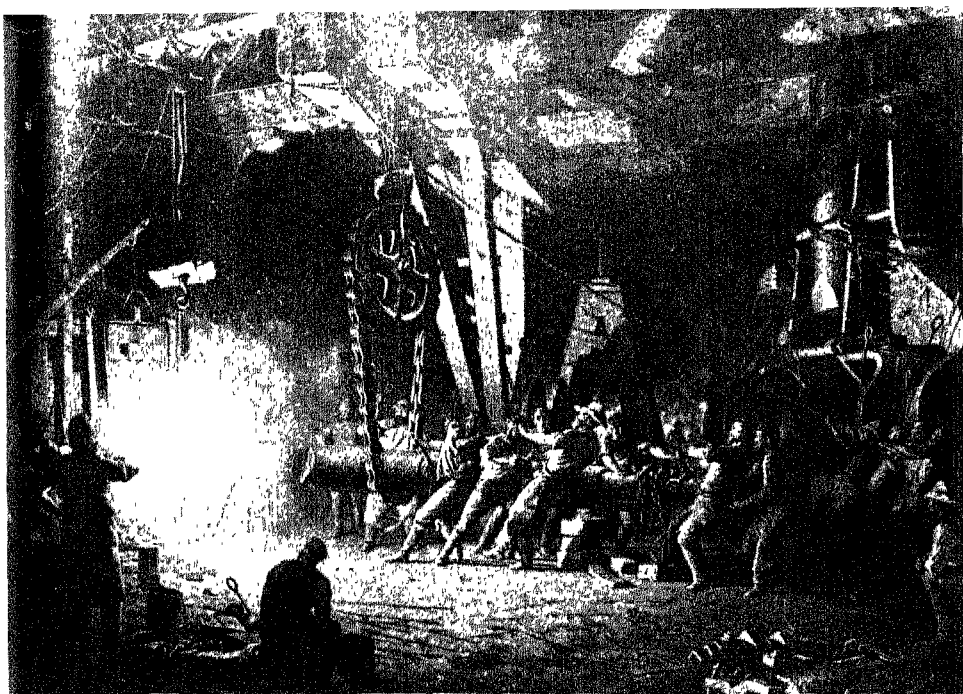


على مدى حوالي ٢٠٠ سنة من اليسر والعسر لا يزال الشارع النيويوركي «وول ستريت» شريان الحياة المالية.



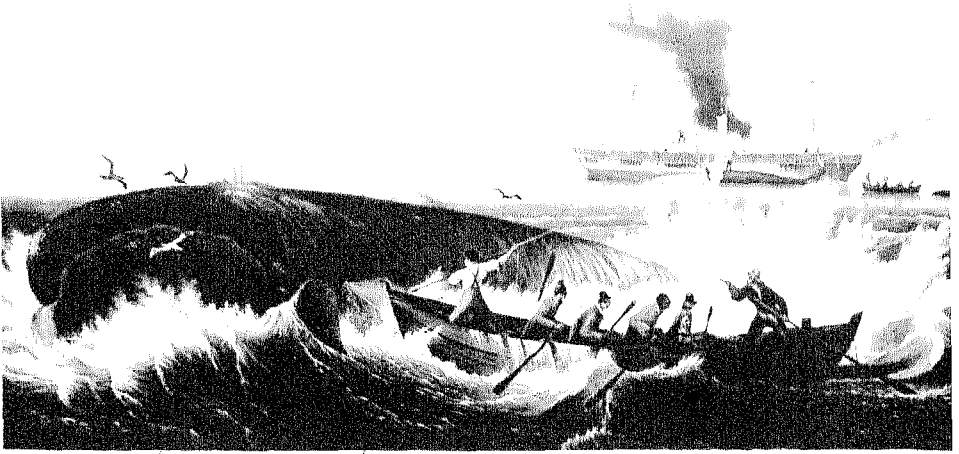
مع ملايين آخرين ، ساعد المهاجرون الحديد الذين حملتهم « قطار » صمويل ووو . في صياحه الترحيل
الأمريكي . أحل . بدونهم ربما لم يتحقق مشروع قناة إيريه الذي ربط البحيرات الكبرى بالمحيط
الاطلسي ، فاتحاً بذلك عهداً جديداً ماركساً في حركة النقل المائي وفي الصناعة الأمريكية .



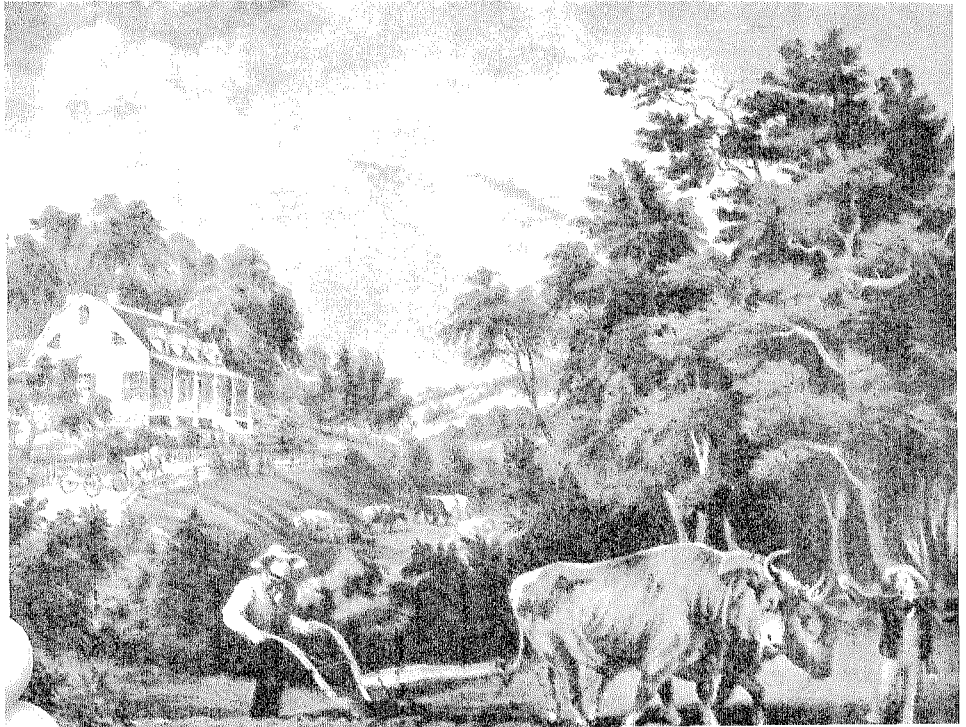


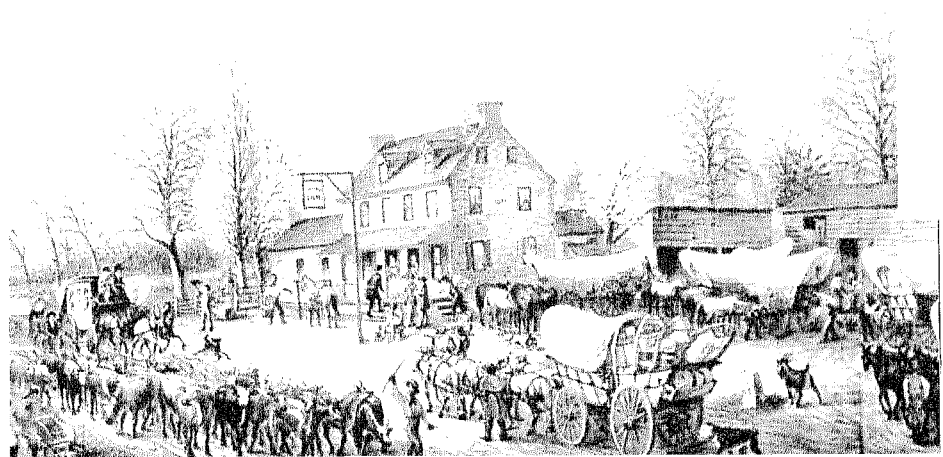
مع ارساء هذه القضاة في الولايات المتحدة جلب المصانع التي استخدمت حادرا من اموال الدول
 الجديدة التي اودت في جعل الساعات العامة مساعدة محركات السيارات التي تعمل
 صاحبها حيث كانت مساعدة مساحات المدن بطلب الحساء، مما اودت عليه





صيد الحيتان ، وهو عملية خطيرة وشاقة للغاية ، كان يزود مصاربح أمريكا بالزيت وذلك إلى أن تم اكتشاف البترول . أما الزراعة التي ربما لم تكن تفتن عادة الفتيان الصغار ، ولا هي «ومانية ساحرة كما رسمها «كوريير» و«ايفز» في العديد من لوحاتهم ، فإنها عسرت وازداد إنتاجها أكثر من نشاطات أخرى كثيرة كانت تنمو بالتجارة







عندما التقى لويس وكالارك بهنود الغرب الشمالي (الصورة
فوق من رسم تشارلز راسل) كان قد انقضى وقت طويل
على قيادة دانيال بون للمستوطنين إلى كنتاكي عبر ممر
كامبرلاند الجبلي . ولم يكن طريق « ناشونال رود » الذي
يموج بعربات الكوندستوجا المتجهة صوب الغرب قد
انشأ بعد . كذلك شهدت الأيام اللاحقة الفساد الصغير
المشيدة على جوانب الطرق مثل فندق « المنظر
الجميل » (إلى اليمين) لخدمة المسافرين والترحيب بهم .



وسط الزينات وصخب حملة ١٨٥٨ الانتخابية ، أخذ لوكولن يستعد لمناقشة دوجلاس في مناظرته المشهورة .

مشرقاً أم آفلاً ، ولكني الآن وأخيراً أشعر بالسعادة إذ عرفت أنها الشمس المشرقة وليست الشمس الآفلة » .

وانفض المؤتمر ، ولجأ الأعضاء « الى حانة المدينة حيث تناولوا الغداء جميعاً ، ثم ودع بعضهم بعضاً وداعاً ودياً » . وكان لا يزال هالك جزء حاسم من الكفاح الشاق لا بد من مواجهته للوصول الى وحدة أتم ، وكان الأمر لا يزال يتطلب موافقة مؤتمرات الولايات الشعبية المنتخبة حتى تصبح الوثيقة نافذة المفعول .

ولقد قرر المؤتمر أن الدستور سيصبح نافذاً حالما توافق عليه مؤتمرات تسع ولايات من الثلاث عشرة ولاية . ولقد انقضت سنة ١٧٨٧ ولم تصادق عليه غير ثلاث ولايات فقط . فهل ستوافق عليه الولايات الست الباقية ؟ لقد بدت الوثيقة للناس البسطاء مليئة بالأخطار ، فتساءلوا أنتقل الحكومة المركزية القوية التي أقامها الدستور ، كواهلهم بالضرائب ، وتسوقهم الى الحرب ؟ وهذه الأسئلة وأمثالها أخرجت الى الوجود حزبين هما : الاتحاديون ومناهضو الاتحاد . فالاتحاديون يؤيدون قيام حكومة قوية والآخرون يفضلون قيام رابطة مفككة العري بين الولايات المنفصلة بعضها عن بعض . واحتدمت المناقشات الصاخبة في الصحف ، وفي المجالس التشريعية وفي مؤتمرات الولايات المتحدة ، وكان أقوى هذه المناقشات ما ظهر في « جرائد الاتحاديين » - وهو ما يعتبر الآن من المؤلفات السياسية والكلاسيكية - بقلم هاملتون وماديسون وجون جساي دفاعاً عن الدستور .

وكان من أثر المعارضة الشديدة التي شبت في مسانئوسات بصفة خاصة - حيث كان السخط بين الزراع ما زال سائداً - أن أضيف الى الدستور وثيقة الحقوق في صيغة تعديلات . وسرعان ما أدركت الولايات الأخرى أهمية إضافة مثل هذه التعديلات الى الدستور ، فأدخلت « الحقوق » التي تضمنتها دساتير الولايات من قبل ضمن قانون البلاد الأعلى ، وتألفت منها التعديلات العشرة الأولى للوثيقة الدستورية الأصلية . ولقد كفلت هذه التعديلات لمواطني الولايات المتحدة - مع ما تضمنته من حقوق أخرى - الحرية الدينية وحرية الرأي ، والصحافة ، والاجتماع ، ونظام الميليشيا الذي يحل محل الجيش النظامي ، وحق المحاكمة أمام المحلفين ، وسرعة المحاكمات أمام قانون البلاد . وإلغاء أوامر القبض العامة . وكان من جراء الأخذ بقانون « الحقوق » أن أسرعت الولايات المترددة وأيدت الدستور ، فاعتمد في آخر الأمر في ٢٥ يونيو سنة ١٧٨٨ . ثم اتخذ كونجرس الاتحاد التدابير اللازمة لإجراء انتخابات الرئاسة الأولى وأعلن أن الحكومة الجديدة ستبدأ عملها في ٤ مارس سنة ١٧٨٩ ثم انفض في هدوء .

وشنطن يخطط بدراية وحكمة

ولم يكن هناك على شفاه الحماهيم سوى اسم رجل واحد جدير برئاسة الدولة ، هذا الرجل هو وشنطن الذي اختير بالإجماع رئيساً . وفي ٣٠ من أبريل سنة ١٧٨٩ أقسم

وشطن بيمين الإخلاص والولاء ليقوم بأعباء منصب رئيس الولايات المتحدة ، وليبذل في سبيل ذلك أقصى ما في استطاعته « للمحافظة على دستور الولايات المتحدة وحمايته والدفاع عنه » .

كانت هذه الجمهورية التي بسدأت حياتها جمهورية قوية ، وكانت المشاكل الاقتصادية التي سببتها الحرب في طريقها إلى الحل . كما كانت الدولة قد أخذت تنمو حثيثاً وتدفقت جماعات المهاجرين من أوروبا ، وعرضت الضياع الجيدة مقابل مبالغ زهيدة ، وكان الطلب على العمال على أشده ، وسرعان ما أصبح الوادي الخصيب - الذي يمتد شمال نيويورك وبنسلفانيا وفرجينيا - مساحات شاسعة عظيمة زرعت قمحاً . ومع أن كثيراً من السلع كانت مصنوعات بدائية فإن الصناعات كانت آخذة في النمو والتقدم ، ووضعت كل من مساتشوستس ورود آيلاند أسس صناعات النسيج الهامة وكانت كونيتيكت قد بدأت في صناعة الساعات ومصنوعات الصفيح ، وكانت نيويورك ونيوجرسي وبنسلفانيا تنتج الورق والزجاج والحديد . واتسعت صناعة الشحن البحري ، حتى لم يعد يفوق الولايات المتحدة في البحار إلا إنجلترا . فمن قبل سنة ١٧٩٠ كانت السفن الأمريكية تسافر إلى الصين لتبيع الفراء وترجع بصناديق الشاي والتوابل والحرير .

يبد أن معظم النشاط الأمريكي كان يتجه نحو الغرب . فأخذ سكان نيوانجلند وبنسلفانيا يرحلون إلى أوهايو ، كما كان سكان فرجينيا وكارولينا الشمالية وكارولينا الجنوبية يتوجهون نحو كنتيكي وتنيسي وكانت عربات طواير المهاجرين البيضاء السقوف تسلق السفوح الطويلة لجبال الليجني ، وكان الصيادون الذين يلبسون جلود الغزال يجوبون كنتيكي مع الرواد بعربات الأثاث والحبوب ، وآلات الزراعة البسيطة والحيوانات الأليفة . وفي المساحات المطهرة الكثيرة كان الفلاحون الذين يقيمون على الحدود يشيدون وجيرانهم أكواخاً متينة من حذوع الأشجار ، سُدّت سقوفها بالطين وغطيت سقوفها بألواح البلوط . وأخذت الأطواف والقوارب المضطربة الزيادة تنحدر عاماً بعد عام على نهر المسيسيبي إلى نيواورليانز محملة بالحبوب واللحوم المملحة والبوتاس . كما أخذت المدن الغربية تزداد أهمية سنة بعد سنة .

تلك كانت حال البلاد عندما تقلد وشطن زمام الحكم . ولم يكن الدستور الجديد الذي لم يكن في ذلك الوقت غير رسم نظري لما يراد تحقيقه يستند إلى التقاليد والرأي العام المنظم . وقد استمر الحزبان اللذان تكونا في أثناء فترة التصديق يناوئ أحدهما الآخر ، فكان الاتحاديون هم حزب الحكومة المركزية القوية ، والأعمال الناشئة والمصالح التجارية . أما الآخرون فكانوا أنصار حقوق الولايات ونظام تقسيم الأراضي . ولم يكن بد للحكومة الجديدة من أن تخلق لنفسها نظامها الخاص في الحكم ، فلم تكن الحكومة تحصل الضرائب بعد ، كما لم تكن هناك وسيلة لتنفيذ القانون ما لم تقم هيئة قضائية ، وكان الجيش صغيراً ، وأما البحرية فلم يعد لها وجود .

في هذا الوقت الحرج لم يكن للأمة غنى عن زعامة وشطن الرشيدة . فالصفات التي جعلته الجدي الأول في الثورة ، أهله أيضاً لأن يكون السياسي الأول في هذه البلاد الحديثة التنظيم . إذ كان قادراً على وضع المشروعات البعيدة المدى ، كما كان رقيقاً إلى أقصى الحدود فأوحى بالاحترام والثقة ، وامتاز بالاستقامة أكثر من امتيازته باللباقة ، وبالجلد أكثر من المرونة ، وبغزة النفس والتحفظ والخلل والتواضع وضبط النفس .

التنافس بين فكرتين

ولم يكن تنظيم الحكومة عملاً هيناً . فلقد أشأ الكونجرس بسرعة وزارة الخارجية ووزارة المالية . وعين وشطن توماس جيفرسون وزيراً للخارجية ، وألكسندر هاملتون ، مساعده في أثناء الثورة ، وزيراً للمالية . وفي الوقت نفسه أنشأ الكونجرس هيئة قضائية اتحادية ، ولم يكف بتأسيس محكمة عليا على رأسها قاض كبير وخمسة أعضاء (وعين في هذه الوظيفة جون جاي) بل أنشأ أيضاً ثلاث دوائر قضائية وثلاث عشرة محكمة في الأقسام . كما عين في الحكومة الأولى وزيراً للحربية ونائباً عاماً . ولما كان وشطن ، يفضل بصفة عامة ، ألا يصدر القرارات إلا بعد استشارة هؤلاء الرجال الذين كان يثق في حكمهم ، ظهر إلى حير الوجود مجلس الوزراء الأمريكي وكان يتألف من رؤساء جميع الدوائر التي قد يوجد بها الكونجرس . وكان هاملتون وجيفرسون يمثلان قوتين عظيمتين في الحياة الأمريكية . على الرغم من مناوأة الواحدة للآخرى إلى حد ما . فكان هاملتون يميل إلى اتحاد محكم العرى ، وإلى حكومة وطنية أكثر قوة ، بينما كان جيفرسون يتحى نحو ديمقراطية أكثر اتساعاً وأكثر حرية . وقد حمل هاملتون إلى الحياة العامة حبه للدقة والنظام والتنظيم . واستجابة لداء مجلس النواب لوضع خطة « لدعم مركز أمريكا المالي » وضع هاملتون المبادئ الخاصة بالاقتصاد العام وأيدها ، بل وعمل أيضاً على إقرارها بحكومة قوية فعالة . وقد المع إلى ان أمريكا يجب ان تتمتع بمركز مالي قوي يساعد على النهضة الصناعية والنشاط التجاري ومشروعات الحكومة ، وينبغي لها كذلك أن تنال ثقة الشعب وتأييده التام . وقد رغب الكثيرون في نبذ الدين الوطني أو على الأكثر دفع جزء منه . ولكن هاملتون أصر على دفع دين حكومة الاتحاد كاملاً ، كما أصر كذلك على وضع خطة يمكن للحكومة الاتحادية بها أن تدفع ديون الولايات التي شاركت في تحمل أعباء الثورة . وفعل هاملتون أكثر من ذلك ، فأسس « بنك الولايات المتحدة » وخوله حق إنشاء فروع له في جهات مختلفة في أمريكا ، وأيد إنشاء دار لسلك النقود كما أيد فرض الرسوم الجمركية لتنشيط الصناعات الوطنية وحمايتها . وكان لهذه الإجراءات أثر سريع ، فقد أقامت المركز المالي للحكومة الاتحادية على أساس متين ، ووفرت له كل الإيرادات التي احتاج إليها ، وشجعت الصناعة والتجارة . ومن ثم خلقت جهة قوية من رجال الأعمال الذين ثبتوا في تأييدهم ومعاونتهم

للحكومة الوطنية ، وكانوا على أهبة الاستعداد لمقاومة أية محاولة ترمي الى إضعافها . وكان توماس جيفرسون رجل فكر أكثر منه رجل عمل . وكان هو وهاملتون على طرفي نقيض في كثير من الأحيان من الناحية السياسية . فقد أدرك جيفرسون قيمة الحكومة المركزية القوية من حيث العلاقات الخارجية . ورغم ذلك فإنه لم يرغب في أن تكون الحكومة قوية في نواح أخرى كثيرة حتى لا يفقد الشعب حريته . وكان الغرض العظيم الذي يهدف إليه هاملتون هو أن يوفر للدولة تنظيماً أكثر وأعظم دقة . أما جيفرسون فكان يرمي الى منح الأفراد حرية أوسع ، مؤمناً بأن « لكل إنسان ولكل جماعة من الناس تعيش على الأرض الحق في الحكم الذاتي » . وكان هاملتون يخشى الفوضى ويعكف في الأساليب التي تكفل النظام . على حين كان جيفرسون يخاف الطغيان ، ويفكر في أساليب الحرية . أما الولايات المتحدة فكانت بحاجة الى الأخذ بهذين الرأيين . وكان من حسن حظ الدولة أن تتاح لها فرصة الانتفاع بهذين الرجلين وأن تتمكن على مر الزمان من أن تمزج آراءهما الخاصة وأن توفق بينهما الى أقصى حد مستطاع

وذلك الاختلاف في وجهة النظر بين كل منهما قد ظهر بعد أن تقلد جيفرسون منصب وزير الخارجية بوقت قصير ، وأدّى الى تفسير الدستور تفسيراً جديداً على جانب كبير من الأهمية . فعندما تقدم هاملتون باقتراح يرمي الى تأسيس بنك وطني واعترض جيفرسون ، وكان وقتئذ يتكلم بلسان من يعتقدون بتعارض حقوق الولايات مع الحقوق الوطنية ، وأولئك الذين يخشون الشركات الكبرى ، فأعلن جيفرسون في صراحة أن الدستور يحدد بوضوح جميع سلطات الحكومة الاتحادية ، وأنه يحتفظ للولايات بجميع السلطات الأخرى ، وليس فيه تفويض للحكومة الوطنية بإنشاء بنك . فاعترض هاملتون بأن سلطات الحكومة الوطنية لا يمكن التعبير عنها في كلمات ، لأن ذلك أمر يطول ، وقد يحتمل كثيراً من الشرح والتفصيل مما يبعث على السآمة والملل . وقرر أن عدداً كبيراً من هذه السلطات ينبغي أن تتضمنها المواد العامة ، وأن إحدى هذه المواد تمنح الكونجرس « سلطة إصدار القوانين الضرورية التي يتطلها تنفيذ السلطات التي خولت للحكومة » كما خول الدستور الحكومة الوطنية سلطة فرض الضرائب وجمعها ، وأداء الديون ، وعقد القروض ، ووجود البنك الوطني سوف يساعد مادياً في تنفيذ هذه الأعمال بدقة . وعلى هذا فإن الكونجرس يملك الحق في إنشاء البنك مستنداً الى سلطته الضمنية . وقبل واشنطن والكونجرس ما اتخذته هاملتون من إجراء ، ووضعوا بذلك سابقة اتبعها من جاء بعدهم .

وعلى الرغم من أن المهام الأولى للدولة الناشئة كانت تنحصر في تدعيم الاقتصاد القوي وجعل سلامة الوحدة من الناحية المالية مضمونة فإنها لم تستطع أن تتجاهل الأحداث السياسية في الخارج . وكان حجر الزاوية في سياسة واشنطن الخارجية هو المحافظة على السلام ، السلام الذي يمنح للدولة وقتاً تُشفي فيه من جراحها ، والذي

يسمح للعمل أن يستمر ويبدأ في سبيل استكمال الوحدة الوطنية . غير أن الأحداث في أوروبا لم تكن تشير بالوصول الى هذا الهدف ، ذلك لأن عدداً كبيراً من الأمريكيين كانوا يرقون الثورة الفرنسية في اهتمام شديد وعطف كبير . وفي أبريل سنة ١٧٩٣ وصل من الأنباء ما جعل لهذا الصراع أثراً في السياسة الأمريكية . فقد كانت فرنسا قد أعلنت الحرب على بريطانيا وأسابيا ، وكان « جينييه » الذي عين وزيراً معوضاً من قبل الجمهورية الفرنسية في طريقه إلى الولايات المتحدة .

كانت أمريكا ما تزال حليفة فرنسا رسمياً . كذلك كانت الحرب فرصة تتيح للأمريكيين رد ما أسدته إليهم فرنسا من جميل في حرب الاستقلال ولكن على الرغم من أن الشعب والحكومة يشدان الخير لفرنسا ، إلا أنهما كانا أشد رغبة للبقاء خارج ميدان القتال . ولهذا أعلن واشنطن حياد الولايات المتحدة . ولما أقبل « جينييه » استقبل استقبالاً فاتراً . ولما اشتد غضبه بسبب هذه المعاملة ، حاول أن يخالف الأمر الذي صدر بمنعه من استخدام الموانئ الأمريكية كقواعد للعمليات الحربية التي يقوم بها الوطنيون الفرنسيون ، وبعد مدة وافقت الحكومة الفرنسية على طلب استدعائه .

وكان من أثر حادث « جينييه » أن فترت الحماسة الأمريكية لفرنسا قليلاً ، وكانت العلاقات مع بريطانيا العظمى في الوقت نفسه لا تبعث على الرضى . فكانت الفرق البريطانية لا تزال تحتل بعض القلاع في الغرب ، ولم تكن الأموال التي استولى عليها الجنود البريطانيون إبان الثورة قد استردت أو دفع تمهنا ، كما كان الاسطول البريطاني ينزل الخسائر الفادحة بالتجارة الأمريكية . ورغبة في تسوية هذه المسائل ، أرسل واشنطن إلى لندن مندوباً فوق العادة ، هو جون جاي الذي كان يشغل منصب رئيس المحكمة العليا . واستطاع جاي ، بما عرف عنه من الاعتدال ، أن يتفاوض في عقد معاهدة ضمن بها انسحاب البريطانيين من الحصون العربية كما حصل على بعض الامتيازات التجارية . وقد أعفلت هذه المعاهدة ذكر الأملاك التي يجب أن تسترد كما أغفلت أمر مصادرة السفن الأمريكية في المستقبل . أو تسخير البحارة الأمريكيين في الأسطول البريطاني .

وشنطن يعتزل الحكم

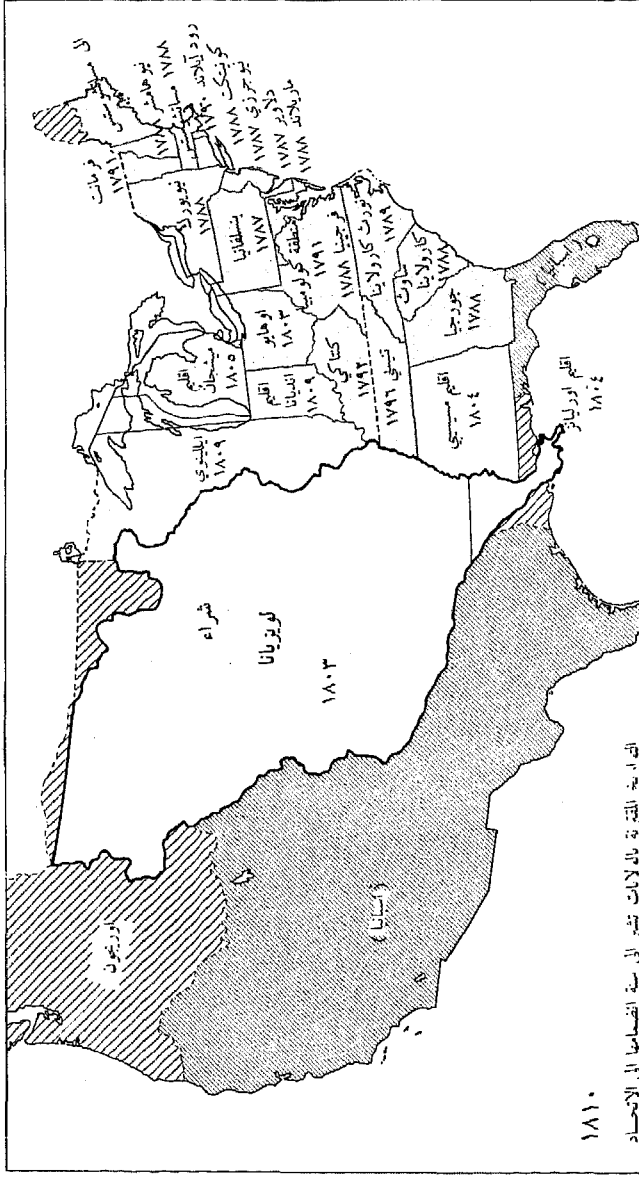
وقد أثارت معاهدة هاي سخطاً عاماً ، ولكن عندما أشرفت مدة رئاسة واشنطن الثانية على الانتهاء ، كان واضحاً أن هناك أعمالاً بارزة قد أجزت في ميادين أخرى . فقد نظمت الحكومة ، وثبتت دعائم المركز المالي ، ونمت التجارة البحرية ، واسترد الاقليم الشمالي الغربي وأمكن الاحتفاظ بالسلم .

واعتزل وشنطن الحكم في عام ١٧٩٧ ، وأبى أن يظل رئيساً للدولة أكثر من ثمان سنوات . فانتخب نائبه جون آدمز من مساتشوستس رئيساً . وقد تنازع آدمز ، حتى قبل

أن يتقلد الرئاسة ، مع هاملتون الذي أدى للحكومة السابقة خدمات جليلة . وهكذا وجد آدمز نفسه مقيداً لوجود حزب مقسم وراعه . ومما زاد الأمر سوءاً تلبذ الجوال الدولي مرة أخرى ، إذ أن فرنسا التي ثارت تآثرتها من جراء الاتفاق الذي عقده جاي مع بريطانيا منذ عهد قريب ، قد رفضت أن تقبل تعيين الوزير الأمريكي الذي رشحه آدمز لدى البلاط الفرنسي . وعندما أرسل آدمز الى باريس ثلاثة مدويين آخرين قبولوا هم أيضاً بالرفض ، فثار سخط أمريكا حتى بلغ غايته . فجندت الجنود وعززت الأسطول . وفي سنة ١٧٩٩ ظهر أنه لا مناص من وقوع حرب ، وذلك عقب سلسلة من المعارك البحرية مع السفن الفرنسية انتصرت فيها السفن الأمريكية . وفي هذه الأزمة رفض آدمز العمل بمشورة هاملتون الذي كان يرعب في الحرب ، وأرسل وزيراً جديداً الى فرنسا . فاستقبله نابليون الذي كان قد قبض على زمام السلطة بالترحيب وبذلك اختفى خطر النزاع .

افكار جيفرسون الديمقراطية

ولما حلت سنة ١٨٠٠ كانت البلاد التي لم تكن راضية عن سياسة آدامز الداخلية ، مهية لتغيير جديد : فقد نظم الاتحاديون حكومة قوية في عهد واشنطن وآدمز . ولكنهم اتبعوا سياسة أثارت عدااء جماهير عديدة من الشعب . ذلك لأنهم عجزوا أحياناً عن إدراك حقيقة هامة وهي أن الحكومة ينبغي أن تستجيب لرغبات الشعب . أما جيفرسون الذي ولد زعيماً شعبياً فقد اجتذب اليه - في هدوء واطراد - جماعات عظيمة من صغار الفلاحين والتجار وغيرهم من العمال الذين أثبتوا أنهم قوة هائلة لها خطرها في انتخابات سنة ١٨٠٠ . ولقد كتب جيفرسون الى أحد أصدقائه يقول : « لقد جربت جوانب سفيتتنا القوية تجربة تامة ، وسوف نسبرها في طريق الجمهورية ، وستظهر الآن بجمال حركتها مهارة من سيدوها » . وكان جيفرسون يحظى في الحقيقة بسطوة لا حد لها لأنه كان يستلهم في سياسته مثالية أمريكا وقد وعد في خطبته يوم أن تولى زمام الأمور « بحكومة متزنة مقصدة » تصون النظام بين المواطنين ولكنها « سوف تتركهم فيما عدا ذلك أحراراً لينظموا شؤونهم الخاصة في نواحي العمل والإصلاح » . وقد كان مجرد وجود جيفرسون في البيت الأبيض مشجعاً على اتباع الأساليب الديمقراطية ، فإنه كان يعتقد أن المواطن العادي جدير بالاحترام ، شأنه في ذلك شأن أكبر موظفي الدولة ، وعلم رؤوسه أن يعتبروا أنفسهم موضع ثقة الشعب أولاً وقبل كل شيء . وشجع الزراعة كما شجع التوسع نحو الغرب . وكذلك شجع على وضع قانون يسهل التجنس بالجنسية الأمريكية لأنه اعتقد أن أمريكا هي ملجأ للمضطهدين . وقبل نهاية سنة ١٨٠٩ استطاع البرت جالاتين ورير المالية الذي كان بعيد النظر ، أن يخفض الدين الوطني الى أقل من ستين مليون دولار . وبينما كان الإعجاب بجيفرسون في



١٨١٠

(سنة التصديق بدمستور الولايات المتحدة)
 التاريخ المقترحة بالولايات تشير الى سنة انضمامها الى الاتحاد
 الأمريكي . ثم شراء ليزيانا في سنة ١٨٠٣ .
 المناطق المخططة بخطوط متعاضدة هي مناطق متنازع عليها .

أوج عظمته بين أفراد الشعب جميعاً ، ألغت الولايات - الواحدة في إثر الأخرى - اشتراط الملكية كمؤهل للانتخاب ، وست قوانين لمعاقبة المذنبين والمجرمين .

وقد تضاعفت مساحة البلاد نتيجة لإحدى الخطوات التي خطاها جيفرسون ، إذ كانت أسبانيا تسيطر منذ وقت طويل على البلاد غربي نهر المسيسيبي وعلى ميناء أورليانز القريب من مصب هذا النهر - وهو ميناء ضروري لشحن الحاصلات الأمريكية التي تزور في وادي أوهايو ووادي المسيسيبي . ولكن بعد أن تولى جيفرسون منصب الرئاسة قليل أرغم نابليون الحكومة الأسبانية الضعيفة على أن تتخلى لفرنسا عن لويزيانا ، تلك الأراضي الكبيرة الشاسعة . وهنا ارتفعت فرائض الأمريكيان واثارت نائرتهم . وكانت مشروعات نابليون التي تهدف الى تكوين إمبراطورية استعمارية ضخمة تتاحم الولايات المتحدة من الناحية العربية ، تهدد الحقوق التجارية لجميع المستعمرات الداخلية وسلامتها .

وقد أكد جيفرسون أنه إذا امتلكت فرنسا لويزيانا فإنه « من تلك اللحظة ينبغي أن نقعد قراننا على الاسطول البريطاني والأمة البريطانية » ، وأن أول قذيفة تنطلق في حرب أوروبية ستكون بمثابة إشارة للجيش الانجليزية الأمريكية بالزحف على نيويورك. وبما أن نابليون كان يدرك أن حرباً أخرى مع بريطانيا توشك أن تقع بعد صلح « أمين » القصير ، وأنه إذا بدأت الحرب سوف يفقد لويزيانا قطعاً ، فقد قرر أن يملأ خزينته وأن يبعد لويزيانا عن متناول بريطانيا ببيع المنطقة للولايات المتحدة . وهكذا حصلت الولايات المتحدة في عام ١٨٠٣ ، نظير خمسة عشر مليوناً من الدولارات ، على أكثر من ٢,٦٠٠,٠٠٠ كيلومتر مربع من الأراضي بالإضافة الى ميناء نيويورك. فاكستبت البلاد مساحات من السهول الخصبة التي أصبحت في خلال ٨٠ سنة من أعظم مصادر الحبوب في العالم ، كما أصبح لها أيضاً السيطرة التامة على سلسلة الأنهار المركزية في القارة .

الحرب الثانية مع الانجليز

لقد ضمنت شهرة جيفرسون الشعبية الواسعة التي كان يتمتع بها في انحاء البلاد ، إعادة انتخابه للرئاسة في عام ١٨٠٤ فكانت لويزيانا صفقة عظيمة ، وكانت البلاد آخذة في الازدهار ، وحاول الرئيس جاهداً ان يرضي جميع الاتجاهات في البلاد . وفي مدة رئاسته الثانية التي بدأت سنة ١٨٠٥ ، أعلن جيفرسون الحياد الأمريكي في الصراع الذي قام بين بريطانيا وفرنسا . وكانت كل من الدولتين ضربت الحصار على الاخرى وبذلك وجهت الى التجارة الأمريكية ضربات قاصمة الى درجة تعذر معها على أية سفينة أمريكية أن تتبادل التجارة مع فرنسا او بريطانيا دون أن تتعرض لخطر المصادرة . وهناك ظلم آخر أثار شعور الأمريكيين ضد بريطانيا العظمى . ذلك أن البريطانيين قد عززوا أسطولهم حتى أصبح عدد قطعه سبعمائة سفينة حربية ، يعمل فيها حوالي مائة وخمسين ألفاً من المحارة . ولقد حافظ هذا الدرع على سلامة بريطانيا ، وحصى

تجارتها وصان طرق مواصلاتها مع مستعمراتها ، غير أن رجال أسطولها كانوا في حالة سيئة من حيث الأجور والغذاء والمعاملة ، حتى استحال على الأسطول أن يحصل على البحارة عن طريق التطوع . وهجر كثير من هؤلاء البحارة الأسطول ، ولجأوا إلى السفن الأمريكية . وفي هذه الظروف كان الضباط البريطانيون يعتبرون تفتيش السفن الأمريكية واستعادة الرعايا البريطانيين حقاً من حقوقهم . أصف الى ذلك ان كثيراً ما كان هؤلاء الضباط يرغمون البحارة الأمريكيين على العمل في خدمتهم .

ووفق جيفرسون في النهاية في حث الكونجرس على سن قانون الحظر الذي يحرم التجارة الخارجية . وكان هذا القانون كارثة على التجارة ، فقد أضرَّ هذا الإجراء بصناعة الشحن البحري ضرراً بليغاً من ناحية ، فارتفع السخط في نيويورك ونيويورك . كذلك تحملت الزراعة وطأة هذا الإجراء ، إذ هبطت الأسعار عندما اكتشف فلاحو الجهات الجنوبية والغربية عجزهم عن شحن الفائض من الحبوب واللحم والتبع .

وفي خلال عام واحد انخفضت الصادرات الأمريكية الى خمس ما كانت عليه . ولكن الأمل في أن يَجُوع قانون الحظر بريطانيا ويرغمها على سلوك سياسة جديدة قد باء بالفشل . وبينما أخذ التدمير يزداد في طول البلاد وعرضها ، اتجه جيفرسون الى اتخاذ إجراء معتدل يسترعي به المشتغلين بالشحن البحري من الأمريكيين . واستبدل قانون الحظر بقانون آخر يبيح التجارة مع جميع الأقطار ما عدا بريطانيا وفرنسا والبلاد التابعة لهما . ومهد هذا القانون الطريق للمفاوضات بتحويل الرئيس سلطة يوقف بها عمله مع إحدى هاتين الدولتين إذا ما رفعت القيود التي فرضتها عن التجارة الأمريكية . وفي سنة ١٨١٠ أعلن نابليون رسمياً أنه قد عدل عما اتخذه من إجراءات بينما في الحقيقة استمر متمسكاً بها . ولكن الولايات المتحدة صدقت ذلك وقصرت عدم التعامل على بريطانيا وحدها .

وفي سنة ١٨٠٩ خلف جيمس ماديسون جيفرسون في الرئاسة وأخذت العلاقات مع بريطانيا تزداد سوءاً ، واتجهت كلتا الدولتين سريعاً نحو الحرب . وقدم الرئيس للكونجرس تقريراً مفصلاً يتضمن ٦٠٥٧ حادث اعتقال ارتكبه الانجليز ضد المواطنين الأمريكيين الذين سخرؤا للعمل في البحرية الانجليزية . أضف الى ذلك ان الذين استوطنوا الأراضي الشمالية الغربية تحملوا وطأة الهجمات التي شنها الهنود بتشجيع الوكلاء البريطانيين في كندا حسب اعتقاد الأمريكيين . وفي سنة ١٨١٢ أعلنت أمريكا الحرب على بريطانيا .

معاهدة « غنت » تنهي الحرب

لقد كانت الولايات المتحدة تقاسي انقساماً داخلياً خطيراً جداً ، فبينما كان الجنوب والغرب يؤيدان الحرب ، كانت نيويورك ونيوإنجلند تعارضان فكرة الحرب

بصفة عامة ، وقد أعلنت الحرب في وقت لم تستكمل فيه الاستعدادات العسكرية تماماً . فكان هنالك أقل من ٧٠٠٠ من الجنود النظاميين موزعين في مراكز مبعثرة على طول الساحل من حدود كندا حتى أقاصي الجهات الداخلية . وكان ينبغي أن تعزز هذه القوات بجنود الميليشيا من الولايات وهؤلاء على كثرتهم كانت تقتصرهم الدراية والمران . وبدأ الهجوم بحركة مثقلة لغزوكندا ، وكان المنتظر أن تسفر هذه الحركة عن عملية موفقة ضد مونتريال إذا هي نفذت في الوقت المناسب وبطريقة ملائمة غير أن الحملة كلها أبطت وانتهت باحتلال البريطانيين لديترويت . وفي الوقت الذي كان القتال برأ يسير سيراً بطيئاً كان الاسطول يستعيد الثقة الأمريكية الى حد ما ، فقابلت البارجة « كونستيوشن » بقيادة الكابتن « إيزاك هل » البارجة البريطانية « جيرير » ، جنوب شرقي بوسطن في ١٩ أغسطس ، ودمرتها . وبعد ذلك بشهرين التقت السفينة الأمريكية الصغيرة « واسب » بالسفينة البريطانية « فروليك » وقضت عليها . اُضيف الى ذلك أن السفن الحربية الأمريكية الخاصة التي كانت تزدهم في مياه الأطلسي ، استولت على خمسمائة سفينة بريطانية في خريف وشتاء ١٨١٢ - ١٨١٣ .

وتركزت حملة ١٨١٣ حول بحيرة إيري في ولاية نيويورك . وكان الجنرال وليم هنري هاريسون قد زحف بجيشه من جنود الاحتياط والمتطوعين والنظاميين من كنتاكي لاسترجاع ديترويت . وفي ١٢ سبتمبر ، بينما كان هاريسون لا يزال عند مجرى نهر اوهايو الأعلى ، وصلته الأنباء بأن كومودور « أوليفيري » قد حطم سفن العدو على بحيرة إيري . واحتل هاريسون ديترويت واندفع نحو كندا ملحقاً الهزيمة بالبريطانيين وحلفائهم الهنود على نهر التيمس ، واصبحت المنطقة كلها الآن في قبضة الأمريكيين .

وثمة تحول آخر في الحرب حدث بعد مضي عام ، عندما انتصر القومودور توماس ماك دونوف في معركة مباترة تبودلت فيها الرماية مع اسطول بريطاني صغير على بحيرة تشامبلن في اعالي نيويورك . واصطرت قوة بريطانية غازية قوامها ١٠,٠٠٠ جندي للتعقير متراجعة الى كندا لتعذر الحصول على دعم من البحرية . وفي نفس هذا الوقت تقريباً كان الاسطول البريطاني ، عملاً بالأوامر التي لديه بالتدمير والتخريب ، يضرب الساحل الشرقي صرباً مركزاً . وفي ليل ٢٤ أغسطس ، انطلقت حملة عسكرية الى واشنطن مقر الحكومة الاتحادية وسلطت عليها نيرانها الحامية مما اضطر الرئيس ماديسون والعديد من الموظفين للهرب الى فرجينيا . وبعد ثلاثة أسابيع هاجم الاسطول البريطاني بلطيمور ، وقصف قلعة ماك هنري التي كانت تحرس المدينة وصمدت القلعة في وجه الهجوم . وكان يشهد المعركة محام شاب من ماريلاند اسمه فرانسيس سكوت لي كان محتجزاً على احدى السفن البريطانية ، فأوحى له بكتابة مؤلفه الموسوم « الراية المرسعة بالنجوم » .

وانتهت الحرب بعقد معاهدة « عنت » التي تنص على وقف العدوان ، واسترداد الأراضي التي استولى عليها كل منهما خلال الحرب ، وتأليف لجنة لتسوية النزاع الذي نشب بشأن الحدود . وقد جاء الانتصار الباهر الذي حققه اندرو جاكسون على الحامية

البريطانية في نيواورليانز ، بعد توقيع معاهدة الصلح ولكن قبل اذاعة أخبارها في أمريكا وأكد ألبرت جالاتين ، وزير المالية (من سنة ١٨٠١ إلى سنة ١٨١٣) أن الأمريكيين كانوا قبل هذا النزاع أنانيين شديدي الميل الى التفكير في شؤونهم المحلية وقال : « لقد جددت الحرب الشعور الوطني وشكلت الخلق الوطني على نحو جديد - وهذا الشعور وذلك الخلق اللذان خلقتهما الثورة كانا يتضاءلان مع الأيام . أما الآن فقد أصبح للشعب أهداف توثق بين أفراده ، أهداف ترتبط بها كرامتهم وأفكارهم السياسية . وقد أصبحوا أمريكيين أكثر من أي وقت مضى . فهم يشعرون ويتصرفون كأمة . وإني شديد الأمل في أن يكون هذا التطور خير ما يضمن دوام الاتحاد » .

التوسع نحو الغرب والفروق الإقليمية

« ايها الشاب ، اتجه إلى الغرب ،
وليصحب نموك اتساع رقعة وطنك » .

هوراس جريل ، ١٨٥١

كانت

حرب سنة ١٨١٢ تعتبر حرب استقلال ثانية ، إذ لم تكن الولايات المتحدة حتى ذلك الوقت قد توأت مركزاً يجعلها على قدم المساواة مع غيرها من الأمم ، غير أنه لم يحدث إطلاقاً أن حرمت الولايات المتحدة المعاملة التي تليق بأمة مستقلة بعد أن وقعت المعاهدة التي وضعت حداً للحرب . كما اختفى كثير من المصاعب الخطيرة التي كانت تنوء بحملها الجمهورية الناشئة منذ نشبت الثورة ، ونعمت البلاد بعهد مشرق يسوده السلام والرخاء والتقدم الاجتماعي بعد أن تحقق التوازن بين الحرية والنظام في ظل الوحدة القومية ، وانخفض الدين الوطني وأصبحت القارة العذراء تتطلب الاستثمار . أما من الناحية السياسية فقد كان هذا العهد « عهد النيات الحسنة » على حد قول الذين عاشوا فيه ، إذ ربطت التجارة الشعب الأمريكي برباط وثيق من الوحدة القومية . وكان الحرمان الذي شعر الشعب بوطأته إبان الحرب دليلاً واضحاً على أهمية حماية الصناعات الأمريكية إلى أن تتمكن من الصمود أمام المنافسة الأجنبية . وبدأ جلياً أن الاستقلال الاقتصادي لا يعادل في أهميته الاستقلال السياسي فحسب ، بل إن الاستقلال السياسي لا يصبح حقيقة واقعة إلا إذا أصبحت البلاد قادرة على أن تكتفي نفسها بنفسها من الناحية الاقتصادية . ولما كانت الثورة قد نشبت لتحقيق الاستقلال السياسي ، فقد آن الأوان لتحقيق الاستقلال الآخر . وقد آمن هنري كلاي ، وجون كالهون ، وهما من أقطاب الكونجرس في ذلك الوقت ، بأهمية مبدأ « الحماية » أي فرض تعريضة جمركية تساعد على ازدهار الصناعة الأمريكية .

وكان الوقت مناسباً لزيادة الضرائب الجمركية ، إذ كان رعاة فرمونت وأوهايو يغبون في حمايتهم من تدفق الصوف الإنجليزي . وفي كنتيكي هددت صناعة الجيش الإسكتلندي صناعة القنب المحلي المستخدم في صنع أكياس القطن . كما أن بتسرج التي كانت مركزاً هاماً لصهر الحديد كانت تريد أن تسد حاجة البلاد بدلاً من الحديد الذي

كان يستورد آنذاك من إنجلترا والسويد . ومن ثم فرضت التعريفية ، التي فرضت في سنة ١٨١٦ ، نسباً من الضرائب العالية كانت كافية لأن تذيق الصانع طعم الحماية الحقيقية . وبالإضافة إلى ذلك نادت فئة من الناس بإنشاء شبكة من الطرق والقنوات في طول البلاد وعرضها ، متسيرة إلى أن تحسين المواصلات سيؤدي إلى ربط الشرق بالغرب بصورة أوثق .

وقد دعمت قرارات المحكمة العليا مركز الحكومة الاتحادية في ذلك الوقت إذ عين جون مارشال من فرجينيا ، قاضياً للقضاة في سنة ١٨٠١ ، وظل في منصبه إلى أن توفي في سنة ١٨٣٥ ، ففعل من ساحة القضاء ، التي عانت ضعفاً شديداً قبل رئاسته ، محكمة قوية ذات مركز لا يقل أهمية عن مركز الكونجرس أو مركز الرئيس . وفي سلسلة من القرارات التاريخية لم يحرف مارشال قيداً أمثلة عن مبدأ أساسي واحد هو سيادة الحكومة الاتحادية .

ولم يكن مارشال قاضياً عظيماً فحسب ، بل كان سياسياً ضليعاً في القانون الدستوري إذ فصل في خلال مدة خدمته الطويلة في حوالي خمسين قضية تضمنت مسائل دستورية بحثة . ومن أشهر آرائه تلك الآراء التي تضمنتها قضية ماربري ضد ماديسون سنة ١٨٠٣ ، إذ قرّر بصورة قاطعة حق المحكمة العليا في إعادة النظر في أي قانون يصدره الكونجرس أو أي مجلس تشريعي في الولايات . كذلك تناول في مشكلة ماك كولو ك ضد ماريلاند سنة ١٨١٩ ، المشكلة القديمة المتعلقة بالسلطات الضمنية التي تتمتع بها الحكومة في ظل الدستور . فقد وقف هنا موقفاً جريئاً مدافعاً عن نظرية هاملتون القائلة بأن الدستور يعطي الحكومة ضمناً سلطات أخرى ، بالإضافة إلى تلك السلطات التي يقرها نص الدستور . وبمثل هذه القرارات قام مارشال بدور كبير يعادل ما قام به أي رعيم آخر في جعل حكومة الشعب الأمريكي المركزية قوة حية .

الأدب وحياة الحدود

وفي ميدان آخر مختلف تمام الاختلاف قامت أدلة ساطعة على ظهور الوعي القومي ، إذ سجلت هذه الفترة ظهور الأدب الأمريكي الحق . ومن أبرز كتاب هذه المدرسة الأمريكية الجديدة وشنطن إيرفينج ، وجيمس فينيمور كوبر ، فكتاب إيرفينج الهزلي عن « تاريخ نيويورك » لـ ديتريتش نكر بوكر الذي نشر سنة ١٨٠٩ ، قد استلهم وحيه كله من البيئة الأمريكية المحلية . وهناك بعض كتب إيرفينج القيمة مثل قصة « رب فان ونكل » التي تدور حوادثها حول وادي هيدسون بنيويورك ، قد أظهرت أمريكا كأرض الأساطير والخيال .

كذلك تجلت مواهب كوبر في مؤلفاته ذات الطابع المحلي . فبعد محاولته كتابة قصة على النمط الإنجليزي المألوف ، نشر « الجاسوس » ، وهي قصة عن الثورة لقيت رواجاً سريعاً . وبعد ذلك ظهر كتاب « الرواد » وهو صورة نثرية حية عن الحياة

وبساطتها على الحدود الأمريكية . وقد استطاع كوبر في سلسلته ، التي أسماها « حكايات جوارب الحبلد » والتي نشرت بين عام ١٨٢٣ و ١٨٤١ أن يجعل من أحد الرواد ، وهو « ناني يامبو » ومن الزعيم الهندي ذي القدم الخفية ، شخصيتين حالدتين في الأدب العالمي . كذلك كتب كوبر قصصاً عن البحر تعد نتاجاً تظهر فيه المؤثرات الأمريكية

ويعتبر إصدار مجلة « أمريكا الشمالية » في سنة ١٨١٥ من الأحداث الهامة الأخرى في عالم الأدب ، وقد وصلت في عهد محررها القدير « جارد سباركس » الى مستوى رفيع اجتذب المفكرين من شباب نيوانجلند فساهموا في تحريرها وتأييدها وبذلك تبوأ مركزاً ثابتاً في تطور الأمة الثقافي .

ويبدو أن الحدود كانت أشد أثراً في تشكيل الحياة الأمريكية ، من أي عامل آخر ، فإن الأحوال على طول ساحل الأطلسي بأسره أدت الى الهجرة الى المناطق الجديدة ، إذ عجزت تربة سفوح تلال نيوانجلند عن إنتاج حبوب تنافس تلك التي تنتجها الأراضي العربية الرخيصة الخصبة . وسرعان ما هجر سيل متدفق من الناس مزارعهم وقراهم الساحلية لاستئجار الأراضي الداخلية الغنية : كذلك شجعت الأحوال في الجنوب وقلة الطرق والقنوات المؤدية الى الأسواق الساحلية ، سكان المستعمرات الداخلية - ككارولينا الشمالية وكارولينا الجنوبية وفرجينيا - الذين كانوا يقاسون من السيطرة السياسية التي فرضها أصحاب المزارع الساحلية ، على الهجرة نحو الغرب . وقد أثرت هذه الحركة تأثيراً عميقاً في الحلق الأمريكي إذ شجعت الجهود الفردية ، ومهدت للديمقراطية السياسية والاقتصادية ، كما أنها خشنت الطباع ، وحطمت روح المحافظة ، وخلقت في الناس نوعاً من تقرير المصير في الشؤون المحلية مقروناً باحترام السلطة الوطنية .

ومع تصرم الأعوام انساب تيار الهجرة الى الغرب ، الى ما وراء منابع الأنهار الساحلية عبر جبال الأبلاش ، وحوالي سنة ١٨٠٠ كانت أودية المسيسيبي وأوهايو تتطور الى منطقة ذات حدود عظيمة . وترددت على شفاة آلاف المهاجرين أغنية « هيا نذهب بعيداً مع نهر أوهايو » . وترتب على هجرة السكان هجرة شاملة بعيدة المدى في أوائل القرن التاسع عشر ، أن انقسمت الأقاليم القديمة ، ووضع تخطيط جديد للحدود . وعندما انضمت الولايات الجديدة استقرت الخريطة السياسية شرقي المسيسيبي . وفي خلال ست سنوات ظهرت في عالم الوجود ست ولايات - هي إنديانا (سنة ١٨١٦) وميسيسيبي (سنة ١٨١٧) والبنوى (سنة ١٨١٨) وألباما (سنة ١٨١٩) ومين (سنة ١٨٢٠) وميسوري (سنة ١٨٢١) . وكانت الحدود الأولى شديدة الارتباط بأوروبا ، أما الثانية فقد كانت مرتبطة بالمستعمرات الساحلية ، لكن وادي المسيسيبي كان قائماً بذاته ، وكان سكانه يتطلعون الى الغرب أكثر منه الى الشرق .

وكان من الطبيعي أن يكون سكان الحدود من أجناس متنوعة ، فقد سار في طليعة المهاجرين القناصة والصيادون الذين وصفهم رحالة انجليزي يدعى « فورد هام » بأنهم « جنس من البشر يتميز بالجرأة والقوة ويعيش في أكواخ حقيرة ... وهم قوم لم تصقلهم

مدنية ولكنهم كرماء يعطون على الغريب . هذا الى أنهم يتصنعون بالأمانة كما يمكن أن يوثق بهم . إيهام يزرعون قليلاً من القمح الهدي والقرع ويربون الخازير ويملك الواحد منهم بقرة أو إثنين في بعض الأحيان ، إلا أنهم يعتمدون اعتماداً رئيسياً على السلاح في كسب ما يقيم أودهم » . وكان هؤلاء القوم يجيدون استخدام البلطة ، والشرك ، والصنانير وقد شقوا الشعاب وبنوا الأكواخ من الحشب لأول مرة ، وصدوا غارة الهنود . وبتوغل المستعمر في البراري ، امتهن الكثيرون الفلاحة الى جابت الصيد وحلت البيوت المريشة المصنوعة من الحشب محل الأكواخ ، كما حفرت الآبار بدلاً من النايح . وسرعان ما كان الرجل النشط يطهر أرضه من الغابات ، ويحرق الحشب لاستخراج البوتاس ، تاركاً الجدوع تتحلل ، ثم يزرع حبوبه وخضرواته وفاكهته ويتوغل في الغابات بحثاً عن لحوم الصيد ، والديكة البرية ، والغسل ، ويصيد الأسماك من المجاري المائية القريبة ، ويعني بماشيته وخنازيره . أما المستعمرون الذين كانوا أقل استقراراً فقد لجأوا الى شراء المساحات الواسعة من الأراضي الرخيصة ، وكلما ارتفع سعر الأرض ناعوا ما يملكون من أفدنة ، واتجهوا غرباً مفسحين المكان لغيرهم .

وسرعان ما انضم الى الفلاحين الأطباء والمحامون ، وأصحاب المتاجر ، والصحفيون والوعاظ ، والميكانيكيون ، والسياسيون - والطوائف التي يتألف منها المجتمع القوي كافة . وكان الفلاحون أهم هؤلاء جميعاً ، فقد فضلوا البقاء طول حياتهم في المساطق التي استعمروها ، ورعوا في أن يخلفهم أبناءهم فيها ، وبنوا مخازن للمحاصيل الزراعية تفوق في سعتها تلك التي شادها أسلافهم من قبل ، كما بنوا بيوتاً من اللبن أو الحشب وجلبوا فضائل متقاة من الماشية والأغنام ، وحرثوا الأرض بمهارة فائقة ، واستخدموا بذوراً تدر محاصيل أوفر ، وشيد بعضهم طواحين الغلال ومصانع لنشر الحشب ، ومعامل للتقطير ، وعبدوا الطرق الحديدية ، وبنوا الكنائس والمدارس . وفي سنين معدودة تطور الغرب تطوراً سريعاً يدعو الى الدهشة . فتشكاعو مثلاً لم تكن في سنة ١٨٣٠ سوى قرية تجارية لها حصن لا تنتظر أي تقدم أوروبي ، عبر أنها أصبحت قبل موت بعض مستعمرها الأصليين بسنوات عديدة من أكبر مدن العالم وأغناها .

ولقد تصاهر عدد كبير من الأجناس التي تسكن القرى الجديدة في الغرب : الإسكتلنديون والإيرلنديون ، وألمان بنسلفانيا ، وأهل بيوأخلند وغيرهم . وفي سنة ١٨٣٠ كان أكثر من نصف سكان أمريكا قد نشأ في بيئة لم تعرف تقاليد العالم القديم وعاداته ، أو كانت تعرفها ولم يكن لهذه التقاليد عليها تأثير واضح . إذ كانت قيمة العرد في الغرب تقدر بما يستطيع أن يؤديه من خدمات ومما يتحلى به من مميزات لا بتأريخ أسرته أو بماله الموروث أو بما قضاه من سنوات في الدرس والتحصيل . فكانت المزارع في متناول أي شخص مقتصد ، إذ كان يمكنه الحصول على أرض الحكومة بعد سنة ١٨٢٠ ، بسعر دولار وربع للفدان ، ولكنه بعد عام ١٨٦٢ كان يستطيع أن يمتلك تلك الأراضي بمجرد الإقامة فيها وتحسينها ، كذلك كان من السهل الحصول على أدوات الفلاحة . وذلك

هو الزمن الذي قال فيه الصخني هوراس جريلي : « إن الشباب يستطيع أن يذهب إلى الغرب ويترعرع مع الأقليم » . وقد حمل مستعمرو نيو إنجلند والجنوب عند رحيلهم إلى الغرب كثير أ من نظم الأقاليم التي وفدوا منها ومثلها العليا .

القطن يعزز الرقيق

ولم يكن التعب حتى ذلك الوقت يعبر مشكلة الرقيق اهتماماً بذكر ، ولكن تلك المشكلة احتلت فجأة مركزاً مهماً ، أوكما قال جيفرسون : « كانت مثل جرس الحريق في دجى الليل » . في السنين الأولى من حياة الجمهورية ، عندما نصت الولايات الشمالية في تشريعها على إعتاق العبيد سريعاً أو بالتدريج ، توقع كثير من الزعماء زوال الرقيق في الحال . ولقد كتب وشنط في سنة ١٧٨٦ قائلاً . « انه يرغب رغبة صادقة في اتخاذ خطة يمكن عن طريقها إلغاء الرق على مراحل مطردة أكيدة وغير ملحوظة » . كما كتب عبارات مشابهة لذلك كل من جيفرسون ، وماديسون ، ومونرو ، وآخرون من أقطاب السياسة في الجنوب . وحوالي سنة ١٨٠٨ ، عندما ألغيت تجارة الرقيق ، اعتقد الكثيرون من أهل الجنوب أن الرق سينتهي عما قريب .

غير انه سرعان ما ثبت ان هذا الاعتقاد كان خاطئاً . وقد تحول الجنوب خلال الجيل التالي الى جبهة متحدة تؤيد نظام الرقيق نتيجة لظهور عوامل اقتصادية جديدة جعلت الرق اكثر فائدة مما كان عليه قبل عام ١٧٩٠ .

وكان أحد ابرز هذه العوامل انتشار زراعة القطن بشكل واسع في الجنوب ، يعزرها ادخال انواع جديدة من القطن ، واختراع ايلي هويني دولاب حلج القطن لمرمز الدور عن رهرة القطن . وفي الوقت نفسه زاد الانقلاب الصناعي الذي وسع نطاق صناعة النسيج ، في الاقبال على طلب القطن الخام . كذلك كان استئثار الاراضي الجديدة في الغرب بعد سنة ١٨١٢ ذا أثر كبير في ازدياد مساحة الأراضي المتاحة لزراعة القطن . وما لشت زراعة القطن ان امتدت بسرعة من الولايات الساحلية عبر الكثير من الجهات الجنوبية المنخفضة الى نهر المسيسيبي وبالتالي الى تكساس .

وهناك عامل آخر وسع من نظام الرق . هو زراعة القصب . فقد ثبت أن الأراضي الحارة القليلة الواقعة جنوب شرقي لويزيانا كانت خير تربة لإنتاج محصول وافر من قصب السكر . وما إن حل عام ١٨٣٠ حتى كانت الولاية تمتد الأمة بحوالي نصف حاجتها من السكر . وأخيراً انتشرت زراعة الدخان في الغرب حاملة معها الرق .

وعندما تلاقي في الغرب مجتمع الشمال الحر مع مجتمع الرقيق القادم من الجنوب ، كان لا بد ، من الناحية السياسية ، من إيجاد توازن تقريبي بين الولايات الجديدة التي كانت في مرحلة الإنشاء والتأسيس . ففي سنة ١٨١٨ عندما اعترف بولاية إلينوى عضواً في الاتحاد ، كانت هناك عشر ولايات تميز الرق وإحدى عشرة ولاية تحرمه . ولم يلبث التوازن أن عاد بينهما عندما انضمت ألباما الى الاتحاد كولاية من ولايات الرقيق .

ولما أجمع أهل الشمال على معارضة انضمام ميسوري ما لم يكن انضمامها على أساس أنها ولاية حرة ، انتشرت في البلاد عاصفة من الاحتجاج وأصبح الكونجرس في حيرة . غير أنه بفضل قيادة هنري كلاي السليمة ، أمكن الوصول إلى حل وسط فسمح لميسوري بالانضمام على أنها ولاية رفق وفي الوقت نفسه أجاز انضمام مين على أنها ولاية حرة ، كما أصدر الكونجرس قراراً بالغاء نظام الرق تماماً في تلك المنطقة التي حصلت عليها الحكومة من شراء لويزيانا شمال حدود ميسوري الجنوبية .

وإذا استثنينا هجرة واحدة إلى تكساس ، وراء حدود الولايات المتحدة ، نجد أن التقدم الزراعي لم يتعد نطاق ولاية ميسوري إلا بعد سنة ١٨٤٠ . وفي هذا الوقت أصبحت أقصى مناطق الغرب ميدان نشاط واسع لتجارة الفراء التي كان لها في التاريخ أهمية تفوق جميع الجلود . فكان التاجر هوراثد الطريق أمام المستعمرين في بداية حركة الاستكشاف الفرنسية في وادي المسيسيبي ، بل وفي المراحل الأولى لتقدم الإنجليز والهولنديين من ساحل المحيط الأطلنطي نحو الغرب . وقد سهل استكشاف القنصاة الفرنسيين والاسكتلنديين والاييرلنديين للأنهار العظيمة وروافدها ، وعثورهم على جميع ممرات جبال روكي وسييرا ، الهجرة في العقد الخامس من القرن الماضي عن طريق البر ، ثم احتلال الجهات الداخلية فيما بعد . وفي سنة ١٨١٩ ووفاء لما في ذمتها من حقوق المواطن الأمريكي التي بلغت قيمتها ٥ ملايين دولار ، حصلت الولايات المتحدة من اسبانيا على كل من فلوريدا وحقوق اسبانيا في إقليم اوريجون في أقصى الغرب .

وفي سنة ١٨١٧ تولى جيمس مونرو الرئاسة خلفاً للرئيس جيمس ماديسون . ويعرف الحدث الذي وقع في عهد توليه الرئاسة والذي حلد اسمه مبدأ مونرو . كانت جميع العناصر لهذه السياسة في جوهرها مبادئ أمريكية معروفة تماماً . فأولاً نصح واشنطن وماديسون وجيفرسون بعدم التورط في معاهدات دائمة تسبب ارتباكاً ، ثم أعلن جيفرسون بعد ذلك المبدأ الخاص باهتمام الولايات المتحدة البالغ بتقرير مصير الممتلكات المجاورة ، وذلك عندما احتج على أسبانيا إذا تخلت عن لويزيانا لأية دولة غير الولايات المتحدة ، أما العنصر الثالث فهو مبدأ تقرير المصير الذي عبر عنه شعب الولايات المتحدة عندما شارك سكان المستعمرات الأسبانية شعورهم في نضالهم من أجل الاستقلال .

استقلال أمريكا اللاتينية

ومذ نالت المستعمرات الإنجليزية حريتها ، والأمل يدفع شعب أمريكا اللاتينية للحصول على حرية مشابهة . وقبل سنة ١٨٢١ حصلت الأرجنتين وشيلي على استقلالهما ، وفي سنة ١٨٢٢ نال الاستقلال عدد من دول أمريكا الجنوبية الأخرى بفضل قيادة جوزي دي سان مارتين وسيمون بوليفار . ولما حل عام ١٨٢٤

لم يبق هناك سوى مستعمرات صغيرة في جزر الهند الغربية وعلى الساحل الشمالي لأمريكا الجنوبية تملكها بعض الدول الأوروبية .

وقد أحسَّ شعب الولايات المتحدة باهتمام عميق في ما بدا أنه تكرار لتجربته الخاصة في التحرر من الحكم الأوروبي . وفي سنة ١٨٢٢ خول الرئيس مونرو - تحت ضغط شعبي قوي - سلطة الاعتراف بالدول الجديدة التي كان من بينها كولومبيا ، وشيلي ، والمكسيك ، والبرازيل . وسرعان ما تبادل معها الممثلين الدبلوماسيين كدول تحكم نفسها بنفسها ومستقلة ، وفي حل تام من روابطها الأوروبية السابقة .

وفي هذا الوقت بالذات شكلت دول وسط أوروبا اتحاداً عرف باسم « الحلف المقدس » ، وذلك لحماية نفسها ضد الثورات . وقد اعتنقت دول هذا الحلف مبدأ التدخل في البلاد التي هددت فيها الحركات الشعبية عروش الملوك ، على أمل منع امتداد الثورات إلى ممتلكاتها الخاصة . وكانت هذه السياسة تناقض تماماً المبدأ الأمريكي الخاص بحق تقرير المصير .

الولايات المتحدة تقاوم التهديد الأوروبي

وعندما وجه الحلف انتباهه إلى إسبانيا ومستعمراتها في العالم الجديد ، كان ذلك بمثابة صدمة عنيفة لثقة الولايات المتحدة في دوام الحكومات الجديدة في أمريكا الجنوبية . فقد بدا ذلك العمل في نظر الولايات المتحدة التي سارت منذ سنين على سياسة العزلة التي وضعها واشنطن وهاملتون وجيفرسون ، محاولة فاشحة من جانب عدة دول أوروبية لاحتلال الممتلكات التي حررت نفسها من إسيادها السابقين .

وفي ٢ ديسمبر ١٨٢٣ ، قدم مونرو إلى الكونجرس رسالته السنوية التي اشتملت عدة فقرات منها على جوهر مبدأ مونرو وهي :

١ - إن قارتي أمريكا ، بما تتمتعان به وتحافظان عليه من حرية واستقلال ، أصبحتا غير خاضعتين لاستعمار أي دولة أوروبية في المستقبل .

٢ - إن النظام السياسي للدول المتحالفة يختلف تماماً عن نظام أمريكا ، ويجب أن نعتبر أية محاولة من جانب تلك الدول لفرض نظامها على أي جزء في هذا النصف من الكرة الأرضية خطراً على سلامتنا وأمننا .

٣ - لم نتدخل ولن نتدخل في شؤون المستعمرات القائمة أو البلاد التابعة لأي دولة أوروبية .

٤ - لم نساهم بتاتاً بأي نصيب في الحروب التي نشبت بين الدول الأوروبية لأموال خاصة بها ، كما أنه ليس مما يتفق مع سياستنا أن نفعل ذلك .

وفي الوقت الذي أوضح فيه مبدأ مونرو السياسة الأمريكية والشؤون الدولية ، وتركز الاهتمام الداخلي في حملة الرئاسة الانتخابية القادمة ، وأسفر النضال العنيف بين خمسة من المرشحين للرئاسة بينهم أندرو جاكسون بطل معركة نيواورليانز ، عن انتخاب

جون كوينسي آدمز نجل جون آدمز ، الرئيس الثاني للولايات المتحدة .
وأثناء مدة رئاسته حدثت تشكيلات حزبية جديدة فأطلق أتباع آدمز على أنفسهم اسم « الجمهوريين الوطنيين » ، ثم أصبح يطلق عليهم فيما بعد اسم « الهويجز » ، ورغم انه ادار دفة الحكم بأمانة وكفاية ، لم يكن آدمز بالرئيس الشعبي واتسمت ادارته بسلسلة من المشروعات الفاشلة . من ذلك مثلاً فشله في جهوده من أجل انشاء شبكة قومية للطرق والقنوات ، كما بدت سنوات حكمه عبارة عن حملة طويلة لاعادة انتخابه ، وبرودة مزاجه الفكري لم تكسب اصدقاء . وعلى العكس كان جاكسون يتمتع بجاذبية شعبية كبيرة لا سيما بين اتباعه في الحرب الديمقراطي الجديد . وفي انتخاب سنة ١٨٢٨ تفوقت قوات جاكسون تفوقاً ساحقاً على آدمز ومؤيديه .

وسجل رجال العانات الداخلية العصاميون الذين شيدوا صرح الولايات عرب الليجني ، في دساتيرهم ، الأفكار الديمقراطية التي تتصف بها الحدود . فما حلت سنة ١٨٢٨ حتى كان لفلسفتهم أثر كبير في تحرير الجماهير في معظم الولايات القديمة . وكان الغرب منذ حرب سنة ١٨١٢ يحفظ توازن القوى في الاتحاد ، فتحول الآن مركز الثقل السياسي نهائياً - كما انتقل مركز السكان - عن الجهات الساحلية عندما بلغت ديموقراطية الغرب الفتية أشدها . وساعد على اعتلاء ابن المسييسي المفضل جاكسون ، الرئاسة .

جاكسون رئيس قوي

وفي أواخر فترة رئاسته الاولى ، اضطر جاكسون مرغماً لأن يقسو على ولاية كارولينا الجنوبية فيما يختص بموضوع تعريف الحماية . لقد كان رجال الأعمال في الولاية يأملون ان يستخدم الرئيس جاكسون سلطته لتعديل قوانين التعريف التي عارضوها مدة طويلة . فقد كان يبدو لهم ان جميع فوائدها كانت تذهب الى أرباب المصانع في الشمال ، وانه في الوقت الذي كان يزداد رخاء البلاد ككل ، كانت تزداد كارولينا الجنوبية فقراً بسبب تحمل زراعتها عبء ارتفاع الاسعار . ومع ذلك فعندما أقر الكونجرس في سنة ١٨٣٢ قانوناً خاصاً بتعريف جمركية جديدة ، بادر جاكسون إلى توقيعه دون تردد .

ومن ثمّ شكل سكان كارولينا الجنوبية « حزب حقوق الولايات » الذي أقرّ مبدأ « الالغاء » والذي يقول بان لمجلس نواب الولاية الحق في اعتبار اي قانون يسنه الكونجرس باطلاً من الناحية الدستورية ولا يكون نافذ المفعول داخل حدود الولاية . وذهبت كارولينا الجنوبية الى أكثر من ذلك فهددت بالانفصال عن الاتحاد اذا أحاز الكونجرس اي قانون باستخدام القوة ضدها .

ورداً على هذا التهديد ارسل جاكسون في نوفمبر سنة ١٨٣٢ ، الى تشارلستون سبعة مراكب بحرية صغيرة وسفينة حربية مزودة بالأوامركي تكون على أهبة العمل

في الحال . وفي ١٠ ديسمبر اصدر تصريحاً ضد اصحاب « الالغاء » كان له صدى كبير . فأعلن الرئيس ان كارولينا الجنوبية تقف على « شفير حفرة من العصيان والخيانة » ودعا أهالي الولاية الى أن يؤكدوا من جديد ولاهم للاتحاد الذي حارب أسلافهم من احله .

فكرة الاتحاد تنتصر

عندما عرضت مسألة الضرائب الجمركية على الكونجرس مرة أخرى ، سرعان ما بدا جلياً للعيان أن رجلاً واحداً هو الذي يستطيع أن يدير دفة الأمور في الكونجرس للوصول الى حل وسط ، ذلك هو الشيخ هنري كلاي أكبر دعاة الحماية . واجيز مشروع القانون الذي وضعه كلاي بسرعة في سنة ١٨٣٣ ، ونصت التعريفة الجديدة على خفض الضرائب التي تزيد قيمتها على ٢٠٪ من قيمة البضاعة المستوردة على مراحل بسيرة بحيث تصل الضرائب على جميع السلع ، عندما يحل عام ١٨٤٢ ، إلى مستوى التعريفة المعتدلة التي قررت سنة ١٨١٦ .

وكان زعماء الإلغاء في كارولينا الجنوبية يتوقعون تأييد الولايات الجنوبية الأخرى ، غدير أن هذه الأخيرة أعلنت ، بلا استثناء ، أن مسلك كارولينا الجنوبية يتنافى مع الحكمة والدستور . وفي النهاية الفت كارولينا الجنوبية قرارها وخرج الفريقان وكل منهما يدعي النصر . وقد أدى ذلك العمل الى اضطراب جاكسون لتقييد الحكومة الاتحادية بمبدأ سيادة الاتحاد . ولكن ظهور كارولينا الجنوبية بمظهر المقاومة حقق لها عدداً كبيراً من المطالب التي كانت تنشدها ، واثبتت ان اية ولاية تستطيع بمفردها ان تملي سياستها على الكونجرس .

وحتى قبل ان تسوّى قضية الالغاء حدث خلاف آخر مثير تحدى زعامة جاكسون ، ويتعلق بموضوع تجديد امتياز بنك الولايات المتحدة الثاني . فقد تأسس البنك الأول للولايات المتحدة في سنة ١٧٩١ بفضل هاملتون وحصل على امتياز مدته عشرون سنة . وعلى الرغم من ان الحكومة كانت تمتلك بعض اسهمه فلم يكن بنكاً حكومياً ، وإنما كان شركة خاصة تؤول ارباحها الى حملة الأسهم . وقد كان هدف البنك تدعيم النقد وتنشيط التجارة . غير انه كان موضع سخط بعض الناس الذين شعروا ان الحكومة إنما تمنح امتيازات خاصة الى رجال قلائل من ذوي النفوذ

وفي خلال السنوات القليلة التالية كانت الأعمال المصرفية في ايدي بنوك رخصت الولايات بانشاءها ، فأحدثت ارتباكاً كبيراً من جراء اصدار من العملة كميات عجزت عن تغطيتها . وبدا عجز البنوك عن امداد الدولة بعملة واحدة واضحاً . وفي سنة ١٨١٦ منح بنك ثان للولايات المتحدة - وهو شبه الأول - امتيازاً مدته عشرون سنة .

ومنذ تأسيسه ، لم يلق البنك الثاني تأييداً من المناطق الحديثة في البلاد ، او من أصحاب الأعمال الصغيرة . وادعى معارضوه ان البنك قد احتكر السمعة المالية والعملة

في البلاد وانه يمثل مصالح نعر قليل من الأترياء . وقد كانت إدارة هذا البنك حسنة على وجه العموم وقام بمخدمات جليلة للأمة ، ولكن جاكسون ، الذي انتخب باعتباره زعيماً شعبياً لأنفضة هذا البنك ، اعترض اعتراضاً شديداً على مشروع القانون الخاص بتجديد امتيازته ، وهاجم شرعية البنك كما قاوم الرعية في استمراره وبقائه .

وفي الحملة الانتخابية التالية كانت مسألة البنك - التي تضاربت الآراء فيها بين الطبقات التجارية والصناعية والمالية من جهة ، وبين عناصر العمال والمزارعين من جهة أخرى - أي بين أولئك الذين كانوا يحسون تطرف الديمقراطية الجديد وبين الذين رغبوا في أن يؤيدوا جاكسون تأييداً تاماً - هي الموضوع الذي احتل مركز الصدارة ، وجاءت النتيجة إقراراً رائماً « لنظرية جاكسون » .

وقد اعتبر جاكسون إعادة انتخابه بمثابة تفويض من الشعب لسحق البنك سحقاً لا قيام له بعده . وكان في عقد البنك نص يحول الرئيس سلطة سحب الأموال الحكومية ، فاستخدم الرئيس ذلك السلاح . وفي أواخر سبتمبر سنة ١٨٣٣ أصدر جاكسون أمراً بعدم إيداع الأموال الحكومية في بنك الولايات المتحدة ، وسحب الأموال التي في عهدة البنك تدريجياً لمواجهة مصروفات الحكومة العامة ، ثم عمد الى مصارف الولايات فاختار أكثرها تدعيماً وفرض عليها قيوداً مشددة .

وقد امتاز جاكسون في معالجة الشؤون الخارجية بنفس الحيوية والصرامة التي صاحبت تصرفاته في تصريف الشؤون الداخلية . فعندما توقفت فرنسا عن أداء بعض ديونها الى الولايات المتحدة أمر جاكسون بالاستيلاء على الممتلكات الفرنسية مما أجبر فرنسا على الدفع ، ولما ثارت تكساس على المكسيك وطلبت الانضمام الى الولايات المتحدة آثر بحكمته ودبلوماسيته اتخاذ موقف التريث .

ولأنه لم يكن لدى الأحزاب السياسية المعارضة لجاكسون أمل في النجاح طالما كانت منقسمة على نفسها وتعمل من أجل أغراض متضاربة ، فقد بذلت محاولات لجمع شتات العناصر الساخطة تحت لواء حزب واحد عرف باسم « الهويجز » . ورغم أن هذه العناصر نظمت صفوفها بعد الحملة الانتخابية في سنة ١٨٣٢ ، إلا أنها قصت أكثر من عشر سنوات قبل أن توفق بين وجهات النظر التي تمثلها وقبل أن تتمكن من وضع خطة لها . وبفضل جاذبية وقوة هنري كلاي ودانيال ويبستر ، أقدر سياسيين وأبرز رجلين ، استطاع الحزب حفظ تماسكه ولكن في انتخابات سنة ١٨٣٦ ، كان « الهويجز » ما يزالون جماعة بعيدة عن الانسجام بعداً شاسعاً ، فلم يجمعوا رأيهم على شخص واحد أو برنامج مشترك . ولذا فاز في النضال مارتن فان بورين الذي كان يتمتع بتأييد جاكسون . غير أن فترة التدهور الاقتصادي التي صاحبت عهده ، وطغيان شخصية سلفه ، قد غطيا على مزاياه . فلم يقابل الناس قوانين « فان بورين » العامة - مثل قانون العتبر ساعات لعمال الحكومة - بأية حماسة . ذلك لأنه كانت تقصه صفات الزعامة القوية والطابع المثير ، وهي الصفات التي صاحبت جميع تصرفات جاكسون .

وجرت انتخابات سنة ١٨٤٠ والسداد تنوء تحت ضغط الظروف الناشئة والأجور المنخفضة هو قف الديمقراطيون موقف الدفاع .

وكان مرشح « الهويجز » للرئاسة هو وليم هنري هاريسون (من أوهايو) وكان يعتبر - مثل جاكسون - ممثلاً حقيقياً للغرب الديمقراطي ، وكان يتمتع بسمعة شعبية طيبة باعتباره بطل معركة تيبكانو في حرب سنة ١٨١٢ . وكان المرشح لمنصب نائب الرئيس هو جون تايلر الذي شاعت في الجنوب آراؤه الخاصة بحقوق الولايات والتعريف المنخفضة . تم كانت النتيجة نصراً ميبناً « للهويجز » . ولم ينقض شهر على تولية هاريسون سلطته الدستورية - وكان في الثامنة والستين من عمره - حتى واهته المنية وخلفه تايلر في منصب الرئاسة . وكان تايلر يختلف في آرائه مع كلاي وويستر اللذين كانا أبعد الرجال أثراً وأقواهم نفوذاً في البلاد حتى ذلك الوقت . وكان خليفاً بهذه الخلافات أن تؤدي إلى انقسام صريح قبل أن ينتهي عهد تايلر ، فنبت الحزب الرئيس الذي انتخبه .

التحرير السياسي يغزو المجتمع

وعندما تولى أندرو جاكسون منصب الرئاسة سنة ١٨٢٩ ، كان هناك تيار من القلق والثورة يشق طريقه في أنحاء العالم الغربي كله . ومع أن روح الإصلاح في أمريكا اعتمدت على قوتها الخاصة ، إلا أنها كانت منسجمة تماماً مع تيار التطور العالمي . ولم يكن تطرف الديمقراطيين السياسي في الحركة التي أوصلت جاكسون إلى الرئاسة ، سوى مظهر من مظاهر تقدم الشعب في سبيل اكتساب حقوق أعم وفرص أوسع .

وقد رافقت حركة التحرير السياسي بداية التنظيم العمالي . وفي سنة ١٨٣٥ نجحت هيئات العمال في فيلادلفيا في إقرار ما كانت تنشده من إصلاح ، وهو العمل عشر ساعات يومياً بدلاً من اليوم القديم الذي كان يبدأ مع الفجر وينتهي في الغروب ، ولم يكن هذا العمل سوى مقدمة لإصلاحات مشابهة في أماكن أخرى مثل نيوهامشير ، ورود أيلاند ، وأوهايو وولاية كاليفورنيا الجديدة التي انضمت إلى الاتحاد سنة ١٨٥٠ .

وكان نشاط العمال وتحمسهم للإصلاح الإنساني من العوامل الأساسية في الحركة التقدمية في ذلك الوقت لا سيما في نضالهم من أجل الديمقراطية للتعليم . وقد أدى انتشار حق البالغين في الانتخاب إلى نشوء نظرية جديدة في التعليم ، إذ أدرك بعض الساسة من ذوي الفكر الثاقب خطورة حق التصويت العام إذا ما اقترن بجهل عام . وكانت تآزر جهود أمثال « دبويت كلنتن » في نيويورك ، وبراهاام لنكولن في إلينوى ، وهوراس مان في ماساتشوستس ، أعمال الإثارة المستمرة التي تقوم بها منظمات العمال في المدن الذين طالب زعمائهم بفتح مدارس مجانية لجميع الأطفال تنفق عليها الدولة ولا يطبعها طابع الإحسان . وما لبثت الولايات - واحدة إثر أخرى - أن أقرت القانون الذي يكفل التعليم المجاني ، وانتشر نظام المدارس العامة في الشمال ، واستمر الجهاد من أجل هذا النظام قائماً في أماكن أخرى لسنوات طويلة .

وكان للاصلاحات التي حررت الرجال من كثير من قيودهم القديمة ، فضل في إدراك النساء أنهن لا يتمتعن بمركز المساواة في المجتمع . فمذ أيام الاستعمار كانت المرأة غير المتزوجة تتمتع في كثير من النواحي بالحقوق الشرعية التي يتمتع بها الرجل سواء بسواء ، ولكن العرف كان يتطلب منها الزواج المبكر ، فيفقددها الزواج شخصيتها المستقلة في نظر القانون . ولم يكن يسمح للمرأة بمزاولة حق الانتخاب . وكان تعليمها يقتصر الى حد كبير على القراءة والكتابة والموسيقى ، والرقص ، واشغال الإبرة .

ولقد بدأت النهضة النسوية عندما زارت أمريكا فرنسيس رايت وهي سيدة اسكتلندية لها آراء تقدمية . وقد أذهل الجمهور ظهورها أمام المستمعين لإلقاء محاضرات في اللاهوت وحقوق المرأة . ومهما يكن من أمر فقد دفع الاقتداء بها شخصيات كبيرة في الحركة النسوية الأمريكية الى العمل مثل لوكرشياموت ، من جماعة « الكويكرز » بفيلادلفيا ، وسوزان أنتوني ، وإيراث كادي ستانتن اللاتي لم يعبأن بازدياد الرجال ، وكثيرات من النساء أيضاً ، عندما وجهن نشاطهن الى إلغاء الرق وإلى الحركة النسائية ، وإلى الخدمة الاجتماعية في محيط العمال .

ولم تعدم زعيمات الحركة النسوية مؤيدين لهن ، فقد حاضر وعمل من أجلهن رجال بارزون امثال رالف والدوايرسن ، وابراهيم لينكولن . وهوراس جريلي . وعلى الرغم من أن هذه الفترة كانت فترة إثارة وتحريض أكثر منها فترة إحراز عمل - فقد تمت فيها تحسينات ملموسة . ففي سنة ١٨٢٠ فتحت إماويلارد كلية للبنات . وفي سنة ١٨٣٧ تأسس معهد ماونت هيلوك للنساء وكان في مستوى الكليات . غير أن هناك حدثاً اتسم بالجرأة وأثار اهتماماً شديداً ؛ ذلك هو التعليم المشترك بين البنين والبنات وهو الذي تولت زعامته كليات ثلاث في أوهايو ، وهي أوبرلين في سنة ١٨٣٣ ، وأربانا في سنة ١٨٥٠ ، وأنتيوك في سنة ١٨٥٣ . وفي سنة ١٨٤٨ ، عقد مؤتمر حقوق المرأة ، وهو أول مؤتمر في تاريخ العالم ، في سنيكافولز ، بنيويورك . وقد أصدرت العضوات بياناً طالبن فيه بالمساواة مع الرجال امام القانون وبتكافؤ الفرص التربوية والاقتصادية ، وحق الانتخاب

دور الثقافة والصناعة

وفي هذه الأعوام وجدت ثقة الشعب بنفسه متفكراً فعبثت عن نفسها في صورة سبل متدفق من الأدب . ففي نهاية العقد الرابع من ذلك القرن كان هناك نتاج وافر من الأدب الأمريكي . فبدأ هنري وادسورث لونجفلو ، وحقون جرينليف وبتر ، وأوليفر وندل هولمز ، وجيمس روسيل لويل قرض الشعر . وبتر الفيلسوف رالف والدوايرسن بمبدأ الانفرادية ونبل الإنسان في شعر ونثر خالدين . وكان تانايل هوثورن وإدخار ألن بومثالاً لمرونة الفكر الأمريكي ، وذلك بالتعبير عن خيرة الناس وما فيها من غموض ومظاهر خارقة لطبيعة الأشياء .

وعلى الرغم من أن أكثر أولاء الرجال نالوا شهرتهم الخالدة عن طريق الكتابة

والتأليف فإن كثيرين منهم قد ساهموا بنصيب وافر في النضال الإنساني والسياسي في ذلك العصر. فكان ويتر أمير الشعراء بلا منازع في الحملة ضد الرق ، ونشر لوخفلو ديوانه المسمى « قصائد عن الرق » في سنة ١٨٤٢ . وشغل لوويل مركز رئيس تحرير مجلة « بنسلفانيا فريمان » ، واقترب نشاط ولهم كالن برابات الرائع في ميدان الشعر برئاسته البارزة لتحرير صحيفة « نيويورك إيفننج بوست » من سنة ١٨٢٩ الى سنة ١٨٧٨ . وقد أبقت أنماهاات هذا العصر شغفاً جديداً بدراسة تاريخ الجمهورية . وكان

ذلك بداية المنح الدراسية (جوائز التفوق الدراسي) في التاريخ . ففي خلال العقد الرابع من ذلك القرن اضطلع جيرد سباركس - الذي كان قد بدأ قبل ذلك بسنوات في تحرير مجلة « نورث أميريكان ريفيو » - بعبء تحقيق الوثائق التاريخية ، من بينها مجموعات من كتابات واشنطن و فرانكلين بصفة خاصة ، والمراسلات الدبلوماسية الخاصة بالتورة . وفي سنة ١٨٣٤ نشر جورج نانكرتف المجلد الأول من تاريخ الولايات المتحدة ، من زمن الاكتشافات الأولى حتى وضع الدستور . وقد ازدادت رفاهية الشعب في حياته بشكل ملموس . فبدأت بعد سنة ١٨٢٥ آلة الدرس تحل محل المدق والتورج ، وبعد ذلك بقليل اخترعت آلات الحش والحصاد . وهكذا استطاعت عبقرية الشعب - عن طريق هذه المخترعات - أن تذلل إلى حدها مهمة الاحتفاظ بوحدة الدولة أمام التوسع الجغرافي السريع . وازداد استخدام سكك الحديد في الأسفار . وفي سنة ١٨٥٠ كان باستطاعة الإنسان أن يسافر بالسكك الحديدية من ولاية مين إلى كارولينا الشمالية ، ومن ساحل المحيط الأطلسي شرقاً إلى مدينة بافلو على بجميرة إيري ، ومن أقصى غرب بحيرة إيري إلى شيكاغو أو إلى سنسنتي . واستخدم لأول مرة في سنة ١٨٤٤ التلغراف الكهربائي الذي اخترعه صموئيل مورس في سنة ١٨٣٥ . وفي سنة ١٨٤٧ استخدمت آلة الطباعة الدوارة التي وضع تصميمها ريتشارد هو والتي أحدثت انقلاباً في وسائل النشر كما لعبت دوراً كبيراً في رفع الصحافة إلى مركز الزعامة في الحياة الأمريكية .

وما يدل على نمو الأمة من سنة ١٨١٢ إلى سنة ١٨٥٢ ازدياد عدد السكان الذي ارتفع من ٧,٢٥٠,٠٠٠ نسمة تقريباً إلى أكثر من ٢٣,٠٠٠,٠٠٠ نسمة . وفي تلك الفترة ازدادت مساحة الأراضي الصالحة للاستقرار والاستعمار إلى ما يقرب من مساحة أوروبا ، أي من ٤,٤٢٠,٠٠٠ كيلومتر مربع إلى حوالي ٧,٨٠٠,٠٠٠ كيلومتر مربع . وإلى جانب الزراعة التي انتعشت ، قامت صناعات أخرى مختلفة أخذت تتقدم تقدماً سريعاً ، لا في الساحل الشرقي فحسب ، بل في مدن الغرب السريعة النمو أيضاً . وهكذا توطدت دعائم الأمة في جميع نواحي استقرار حياتها الاقتصادية ونظمها السياسية وأسباب حيويتها جميعاً . غير أن المشاكل الأساسية التي استمدت أصولها من الاختلافات المحلية بقيت بدون حل إذ كان مقدراً لها أن تشعل نار الحرب الأهلية في خلال العقد التالي مباشرة .

الصراع الاقباي

« ان بيتاً منقسماً على نفسه لا يستطيع البقاء ،
وانني اعتقد ان هذه الحكومة لن يكتب لها استقرار
أو بقاء ما دام نصفها ارقاء والنصف الآخر أحراراً » .

ابراهيم لنكول

سيرنخيلد ، الينوى ، ١٧ يونيو ١٨٥٨

في

منتصف القرن التاسع عشر ، لم يكن هناك بلد في العالم تتجه اليه
انظار الدول الاخرى اكثر من الولايات المتحدة ، وقليل منها وفد اليها من مشاهير
الرائرين اكثر مما وفد الى العالم الجديد . من هؤلاء الكاتب السياسي الفرنسي الكسيس
دي توكفيل ، الذي لاقى كتابه « الديمقراطية في أمريكا » ، الصادر في عام ١٨٣٥ ،
ترحيباً حاراً في القارة الأوروبية . واصبح الناس يظنون الى الأمة الجديدة بعطف
متزايد . وجاء الزائرون ليجدوا مدينة بوسطن وخليجها شيئاً رائعاً ، وليروا بعين
الاعجاب الطريقة التي قامت بها « المدن الزاهرة واحدة بعد الأخرى » في البراري
المقفرة ، مثل يوتيكا ، وسيراكيوز ، واوبرن ، وليجدوا في كل مكان ، فيما هم
يجتازون الولايات الشمالية « الراهين القاطعة على ما وصلت اليه البلاد من ازدهار
وتقدم سريع في الزراعة والتجارة والمرافق العامة العظيمة » .

وفي ذلك الحين ، امتدت البلاد في جميع أنحاء القارة الى الغابات والسهول
والجبال . وأقام في هذه الأرجاء البائية ثلاثة وعشرون مليون نسمة في اتحاد يضم إحدى
وثلاثين ولاية . ولم تبد هذه البلاد ، التي كانت أرض الأمل ، مسرحاً للنشاط والإنتاج
والعمل كما بدت في هذه الفترة . ففي الشرق ازدهرت الصناعات ، وفي أواسط الغرب
والجنوب كانت الزراعة عملاً يدر الربح الوفير ، وربطت السكك الحديدية بين جميع
المناطق الآهلة بالسكان برباط وثيق ، وتدفق الذهب الذي تفجر من مناجم كاليفورنيا
في جميع ميادين التجارة .

ولكن سرعان ما تكشف هؤلاء الزائرين أن أمريكا ليست أمريكا واحدة ، بل
اثنين ، واحدة في الشمال والثانية في الجنوب . كما أدركوا أن سرعة التقدم تحمل في

طبائنها أخطاراً كامنة تهدد استمرار التوافق والانسجام الاقليمي . فكانت ولاية نيويورك ولدا وولايات ساحل المحيط الاطلنطي هي المراكز الرئيسية للصناعة والتجارة والمال . وكانت أهم منتجات هذه المناطق المنسوجات ، والمصوغات الخشبية ، والملابس ، والآلات ، والجلود والمصوغات الصوفية . وفي الوقت نفسه بلغت الملاحة أقصى مراحل التقدم ، وجابت البحار السبعة سفن يرفرف عليها العلم الأمريكي توزع الضائع التي تستوردها من جميع أنحاء العالم .

وفي الجنوب كان القطب المصدر الرئيسي للثروة ، وانتشرت زراعته رغم انتشار الأرز على طول الساحل وقصب السكر في ولاية لويزيانا ، والتبغ وغيره من الحاصلات في ولايات الحدود ، كما انتشرت صناعات أخرى هنا وهناك . وتضاعف إنتاج القطن خلال العقد الخامس بعد استغلال سهول الخليج ، وهي تلك الأراضي الفتية السوداء . وحملت العربات والسفن والسكك الحديدية الأكياس الضخمة للأسواق في الشمال والجنوب . وكان القطن يزود أصحاب مصانع السيج في الشمال وأكثر من نصف صادرات البلاد ، بالمواد الخام .

وقد تمتعت بهذا الرخاء أيضاً مناطق الغرب الأوسط عمراعيها الشاسعة وسرعة ازدياد السكان فيها . وكانت كل من أوروبا والولايات الأمريكية القديمة في حاجة إلى قمح هذه الأقاليم ومنتجات لحومها . وقد سهلت سرعة استخدام الآلات تسجيل رقم قياسي في الإنتاج . وكان من أهمها آلة ماكورميك للحصاد التي استخدم منها خمسمائة في حصاد سنة ١٨٤٨ وما يزيد على مائة ألف في سنة ١٨٦٠ ، وزاد محصول القمح في الوقت نفسه من ١٠٠,٠٠٠,٠٠٠ بوشل في سنة ١٨٥٠ إلى ١٧٣,٠٠٠,٠٠٠ في سنة ١٨٦٠ ، أنتج الغرب الأوسط أكثر من نصفه .

وكان تحسين وسائل النقل وتسهيلاته من أهم أسباب الرخاء في الغرب ، فقد اخترقت جبال الأبلاش خمسة خطوط حديدية بين سني ١٨٥٠ و ١٨٥٧ . ولم يكن للجنوب نصيب كبير في شبكة الخطوط الحديدية ولم يتم إنشاء خط مستمر يَحْتَرِق الجبال ويربط حوض الميسيسيبي الأدنى بساحل المحيط الاطلنطي الجنوبي إلا في أواخر العقد الخامس .

الرق عنصر أساسي في الاقتصاد

وعلى مر السنين أخذت المصالح المتعارضة بين الشمال والجنوب تزيد بدرجة ملحوظة ، وكان أهل الجنوب يستنكرون الأرباح الضخمة التي يربحها رجال الأعمال من أهل الشمال من بيع محصول القطن وفسروا تأخرهم بتوسع الشماليين ومحاولتهم بسط نفوذهم . ومن ناحية أخرى أعلن الشماليون أن الرق - وهو ذلك « النظام الشاذ » الذي أقر أهل الجنوب ضرورته لحفظ كياناتهم الاقتصادي - هو السبب في التأخر النسبي لتلك المنطقة .

ومنذ سنة ١٨٣٠ ، أخذت بوادر الخلاف تظهر بل وتشتد حول مسألة الرقيق . وقد أخذ شعور المعضدين لإلغاء الرقيق يزداد قوة في ولايات الشمال ، وقامت في الوقت نفسه حركة « الأرض الحرة » ، وهي حركة تعارض انتشار الرقيق في المناطق التي لم تتمتع بعد بحقوق الولايات معارضة شديدة . وفي منتصف القرن التاسع عشر ، كان الرقيق في رأي الجنوب تراثاً أسوة بما ورتوه من عادات وتقاليده ونظم في التمثيل السياسي واللغة الإنجليزية سواء بسواء ، ومن ثم فإنهم لا يعتبرون أنفسهم مسؤولين عنه . وفي سنة ١٨٥٠ كان قد مر على الرقيق مائتا عام أو يريد في بعض المناطق الساحلية ، وكان في الواقع جزءاً لا يتجزأ من اقتصاد هذا الإقليم . وفي خمس عشرة ولاية من ولايات الجنوب والحدود بلغ الزوج من الكثرة ما جعلهم يقاربون في العدد نصف عدد البيض ، بينما كانوا في الشمال لا يتجاوزون نسبة ضئيلة لا يعتد بها . ومنذ منتصف العقد الخامس من القرن التاسع عشر احتلت مشكلة الرقيق المكانة الأولى في السياسة الأمريكية ، وكان الجنوب - من المحيط الأطلنطي إلى نهر المسيسيبي وفيما وراء المسيسيبي - وحدة سياسية متماسكة نسبياً ومتفقة في جميع الخطوط الرئيسية المتصلة بسياسة الرقيق وزراعة القطن . وكانت أغلبية المزارعين من أهل الجنوب تعتبر الرقيق عاملاً أساسياً في كيانها الاقتصادي وكانت زراعة القطن في ذلك الوقت ثلاثيها عملية استخدام العبيد ملازمة تامة . إذ كانت الآلات البدائية فقط هي التي تستخدم في إنجاز العمل الذي كان يستغرق تسعة شهور من العام ، ولذا استخدمت النساء والأطفال أيضاً .

احتدام الجدل حول مشكلة الرقيق

وفي ذلك الحين أصبح زعماء الجنوب ، وأصحاب المهن ، ومعظم رجال الكنيسة لا يعتبرون عن وجود الرقيق ، بل أصبحوا من الداعين له في حماسة وبطولة ، إذ كانوا يعتقدون أن ذلك النظام يعود على الزوج بالنفع العظيم . وأصر كتاب الجنوب على أن الصلة بين رأس المال والعمل ، ظاهرة إنسانية أشد وأقوى في ظل نظام الرقيق منها في ظل نظام الأجور عند أهل الشمال . وكان « نظام الآونة » في حكومة المزرعة قبل سنة ١٨٣٠ ، الذي اشتهر بأساليبه اللينة القائمة على حكم السيد لعبيده واثرافه الشخصي عليهم لا يزال السمة المميزة . غير أن تغيراً ملحوظاً بدأ يتجلى في الموقف بعد سنة ١٨٣٠ ، باستخدام وسائل إنتاج القطن على نطاق أوسع في أقصى الجنوب ، فقد تلاشى تدريجياً الاشراف الشخصي الدقيق للسيد (صاحب الأرض) على عبيده ، وبدأ السيد في استخدام الملاحظين المحترفين الذين كانت سمعهم تعتمد على مقدرتهم في استغلال العبيد إلى أقصى حدٍّ مستطاع .

وفي الوقت الذي كان عدد من المزارعين لا يزالون يعاملون الزنوج معاملة طيبة ، كانت هناك أمثلة للقسوة والغلظة ولا سيما تلك التي أدت إلى تحطيم الروابط العائلية ولم تكن وحتية الملاحظين هي سبب الانتقاد الصارم للرق . بل كان السبب هو انتهاك ما يتمتع به كل إنسان من حق طبيعي في أن يكون حراً .

وعلى مر السنين أصبحت زراعة القطن ونظام العمل الذي تسير عليه محالاً واسعاً لاستثمار رؤوس أموال ضخمة . فبعد أن كان محصول القطن تافهاً قفز في سنة ١٨٠٠ إلى ما يقرب من ١٦ مليون كيلوجرام . وفي سنة ١٨٢٠ ارتفع إلى ٧٢ مليون كيلوجرام . وفي سنة ١٨٤٠ وصل الإنتاج إلى ما يزيد على ٣٠١,٥٠٠,٠٠٠ كيلوجرام . وفي سنة ١٨٥٠ كانت سبعة أثمان حاجات العالم من القطن تزرع في الولايات الأمريكية الجنوبية . وقد استتبع هذه الزيادة زيادة أخرى في الرقيق وأصبح الهدف الرئيسي لسكان الجنوب في مضمار السياسة الوطنية ، الدفاع عن مصالحهم التي تتمثل في زراعة القطن وحيازة الرقيق ثم تدعيم هذه المصالح والتوسع فيها . فكان من أهدافهم الرئيسية توسيع حدود المنطقة المزروعة قطناً إذ كانت الضرورة تقضي بذلك التوسع ، لأن نظام زراعة المحصول الواحد ، وهو القطن ، قد أنهك خصوبة لأرض ، فكان لا بد من الحصول على مناطق خصبة جديدة . وكان الجنوب في حاجة أيضاً - من ناحية النفود السياسي - إلى أراض جديدة تقوم عليها ولايات أخرى من أصحاب الرقيق بحيث تحفظ التوازن مع الولايات الحرة الجديدة . ولكن الشماليين المناهضين للرق ما لبثوا أن أدركوا ذلك الهدف واعتبروه مؤامرة دنيئة هدفها التوسع في بسط نظام الرقيق . وفي العقد الرابع من القرن التاسع عشر تجلّت مناهضة الرق على أشدها .

على أن هنالك حركة سبقت هذه الحركة في ميدان مكافحة الرقيق ، وكانت هذه الحركة إحدى النتائج التي تمخضت عنها الثورة الأمريكية وحققت أغراضها بالصبر النهائي حين ألغى الكونجرس تجارة الرقيق مع إفريقيا عام ١٨٠٨ . ثم اقتضت المعارضة بعد ذلك على جماعة « الكويكرز » الذين دأبوا على إعلان احتجاجهم ، وكانت معارضتهم تتسم باللين ، كما كانت عديمة الأثر في الوقت الذي كانت مصانع حلج القطن تتطلب مزيداً من العبيد . وشهد العقد الثالث من القرن التاسع عشر مظهرًا جديداً من مظاهر الإثارة والتحريض مرجعه الحركة المطردة نحو المثل الديمقراطية العليا التي خلقها ذلك العصر والاهتمام الجديد بالعدالة الاجتماعية لجميع الطبقات .

وكانت حركة إلغاء الرق في أمريكا - في مراحلها المتطرفة - حرباً لا هوادة فيها ، وتصر على الغائه فوراً . وقد وجدت هذه الحركة المتطرفة في شخص ولیم جاريسون زعيماً ملهماً ، وهو شاب من ولاية ماساتشوستس جمع بين بطولة الاستشهاد والفداية وبين مقدرة الخطيب الموهبة في دعوته .

وفي أول يناير سنة ١٨٣١ ، ظهر العدد الأول من جريدته « لبريتور » معلناً « إني سوف أكافح بكل جهدي في سبيل تحرير الرق بين السكان فوراً ... لست أريد أن

أفكر أو أتكلم أو أكتب باعتدال في هذا الموضوع ... إنني جاد فيه ... لن أرائي ولن أتلمس الأعذار ولن أتراح قيد أنملة ، سوف أسمع العالم صوتي » . وقد أيقظت أساليب جاريسون المثيرة كثيرين من أهل الشمال ، وفتحت عيونهم على مساوئ ذلك النظام الذي طالما اعتبروه ثابتاً لا يتغير . وكان يرمي في سياسته إلى إظهار بشاعة نظام الرق والتنديا بها أمام الرأي العام ، كما ندد بسلالة هؤلاء العبيد ومن يدافعون عنهم ، واتهمهم بأنهم جلادون يتحرون في بني الانسان ، وكان لا يعترف للسلادة بأي حق ، كما لا يعترف بأوساط الحلول ولا يسمح بأي تأخير . بيد أنه كان بين الشماليين قوم معتدلون لا يرغبون في مشاركته هذه الأساليب التي تتحدى القانون وكانوا يعتقدون أنه يجب ألا يتم الإصلاح بطريق سلمي مشروع .

ولقد مرت حركة مكافحة الرق بمرحلة بدأت فيها مساعدة العبيد على الفرار في جنح الظلام إلى ملاجئ آمنة في الشمال أو عبر الحدود إلى كندا . وعرفت هذه الحركة باسم « الطريق الحديدي السري » . ولقد أنشئت في العقد الرابع شبكة مستديمة دقيقة من الطرق السرية في جميع أنحاء الشمال يسلك الهاربون سبلها . وكانت هذه الحركة أكثر نجاحاً في الإقليم الشمالي القديم . وقد قدر عدد العبيد الذين ساعدتهم هذه الحركة على التحرر بما لا يقل عن أربعين ألف هارب في أوهايو وحدها ، وذلك في المدة بين سنة ١٨٣٠ وسنة ١٨٦٠ . وازداد عدد الجمعيات المحلية المناهضة للرق في زيادة عظيمة . حتى بلغ عددها في سنة ١٨٤٠ نحو ألفين ، وبلغ عدد أعضائها مائتي ألف على وجه التقريب .

وعلى الرغم من جهود أنصار حركة الإلغاء واهتمامهم بجعل الرق مسألة صميم بالنسبة لكل رجل وكل امرأة ، كان أهل الشمال عامة ينفرون من الاشتراك في هذه الحركة . واعتقدوا نظراً لأنهم كانوا منهمكين في شؤونهم الخاصة ، أن الرق مشكلاً يقع عبء حلها على أهل الجنوب عن طريق التشريع في الولايات .

وفي سنة ١٨٤٥ تحولت مشكلة الرق من مسألة أخلاقية إلى قضية سياسية لا تحمد ناراها ، وكان ذلك بفضل انضمام تكساس ثم المقاطعات الواقعة في الجنوب الغربي التي تم الاستيلاء عليها نتيجة لحرب المكسيك . وحتى ذلك الحين ، كان يبدو أن نظام الرقيق سوف يقتصر على مناطق الحالية التي حددتها اتفاقية ميسوري سنة ١٨٢٠ والتي لم تكن هناك فرصة للتفاوضي عنها أو تخطيها . ولكن فكرة التوسع في نشر ذلك النظام الشاذ قد تجددت بعد أن ضمت للاتحاد ولايات افترضت صلاحيتها لنظام الرقيق وأصبح ذلك حقيقة محتملة .

كان كثيرون من أهل الشمال يعتقدون أنه إذا انحصر ذلك النظام في حدود ضيقة فإنه سوف يزول في النهاية . وقد أشاروا في تبريرهم مقاومة الزيادة في ولايات الرقيق إلى ما قاله واشنطن وجيفرسون ، وإلى قرار سنة ١٧٨٧ الذي حظر امتداد الرقيق إلى الشمال الغربي . ولما كان في تكساس عبيد من قبل ، كان من الطبيعي أن تدخل

الاتحاد كولاية رقيق . ولكن كاليفورنيا ، ويومكسيكو ، ويوتاه لم تكن تعرف نظام الرقيق . ولما تهيأت الولايات المتحدة لضم تلك المناطق سنة ١٨٤٦ ، كانت هناك اقترحات متصاربة عما يجب أن يصعب بها فأشار أهل الجنوب المتطرفون بفتح هذه الأراضي التي حصلت عليها أمريكا من المكسيك على مصراعها لملك العبيد . وطالب الشماليون الأقوياء الماهضون للرق ، بأن تقفل كل المناطق الجديدة في وجه الرق . واقرحت جماعة المعتدلين أن يمتد خط اتفاق ميسوري إلى المحيط الهادي على أن تكون الولايات الحرة إلى شماله وولايات العبيد إلى جنوبه . وكانت هناك جماعة معتدلة أخرى افترضت ترك مسألة « السياسة الشعبية » ، أي أن تسمح الحكومة بتدفق المهاجرين إلى الأرض الجديدة بعبيدهم إن شاءوا أو بدون عبيد ، وعندما يحل وقت تنظيم المنطقة وتقسيمها إلى ولايات يكون للناس أنفسهم حتى الفصل في تلك المسألة

وكأن رأي أهل الجنوب يقول بحق وحوود الرقيق في جميع المقاطعات بينما أكد أهل الشمال الرأي القائل بأن لا حق هناك لوجود الرقيق في أي منها . وفي سنة ١٨٤٨ صوت نحو ثلاثمائة ألف رجل لمرشحي « حزب الأرض الحرة » الذي أعلن أن أفضل سياسة هي تلك التي « تحد من العبودية وتحصرها وتنهضها » .

وقد عجل اكتشاف الذهب في كاليفورنيا في يناير سنة ١٨٤٨ ، بادفعا أكثر من ٨٠ ألف مهاجر من الباحثين عن الذهب في سنة ١٨٤٩ وحدها . وأصبحت كاليفورنيا مشكلة معقدة إذ كان على الكونجرس أن يقرر مصير هذه المنطقة الجديدة قبل أن تنشأ فيها حكومة منظمة . وأصبح السناتور هنري كلاي محط آمال الأمة بعد أن تصدر الصفوف مرتين من قبل وفي أوقات عصيبة ، وتقدم باتفاقيات وحلول للمشاكل ، وقد حال الآن مرة أخرى وبخطة بارعة ، دون نشوب نزاع اقليمي خطر .

وكان مشروعه ، بعد تعديله في الكونجرس يقترح - مع ما تضمنه من مسائل أخرى - الاعتراف بكاليفورنيا كولاية ذات دستور يحتم « حرية الأرض » (أي يحرم فيها الرق) بينما يقسم ما تبقى من الأراضي المنظمة إلى مقاطعتي يومكسيكو ويوتا دون إشارة إلى الرقيق ، كما يقترح أن تنازل تكساس عن الجزء الذي تطالب به من نيومكسيكو مقابل دفع عشرة ملايين دولار ، وأن تتخذ الإجراءات الفعالة للقبض على لعبيد الهاربين وإعادةتهم إلى سادتهم ، وأن تلغى الخاسة (لا الرق) في مقاطعة كولومبيا . نوافق الكونجرس على هذه التدابير التي اشتهرت في التاريخ الأمريكي باسم « اتفاق سنة ١٨٥٠ » وتفتت الأمة الصعداء .

وقد بدا في السنوات الثلاث التالية أن ذلك الاتفاق سوى جميع أسباب الخلاف على وجه التقريب . أما التوتر فقد ظل في الخفاء وأخذ في الازدياد ، إذ أعضب قانون لعبيد الهاربين الجديد كثيرين من أهل الشمال ، فرفضوا المساهمة في القبض على العبيد ، لمساعدتهم على الفرار ، وأصبحت جمعية « الطريق الحديدي السري » أكثر مهارة . أكثر جراءة مما كانت من قبل .

تفاهم النزاع بين الأقاليم

اولئك الذين اعتقدوا ان مشكلة الرقيق ستحل من تلقاء نفسها . انما كانوا يعتمدون على السياسيين والصحفيين فقط . وقد برهنت الأيام على ان كتاباً واحداً ، صدر في سنة ١٨٥٢ ، سيحدث من الاثر ما يفوق اثر رجال التشريع والصحافة : وهو « قصة كوخ العم توم » لـ هاريت بيتشر ستو .

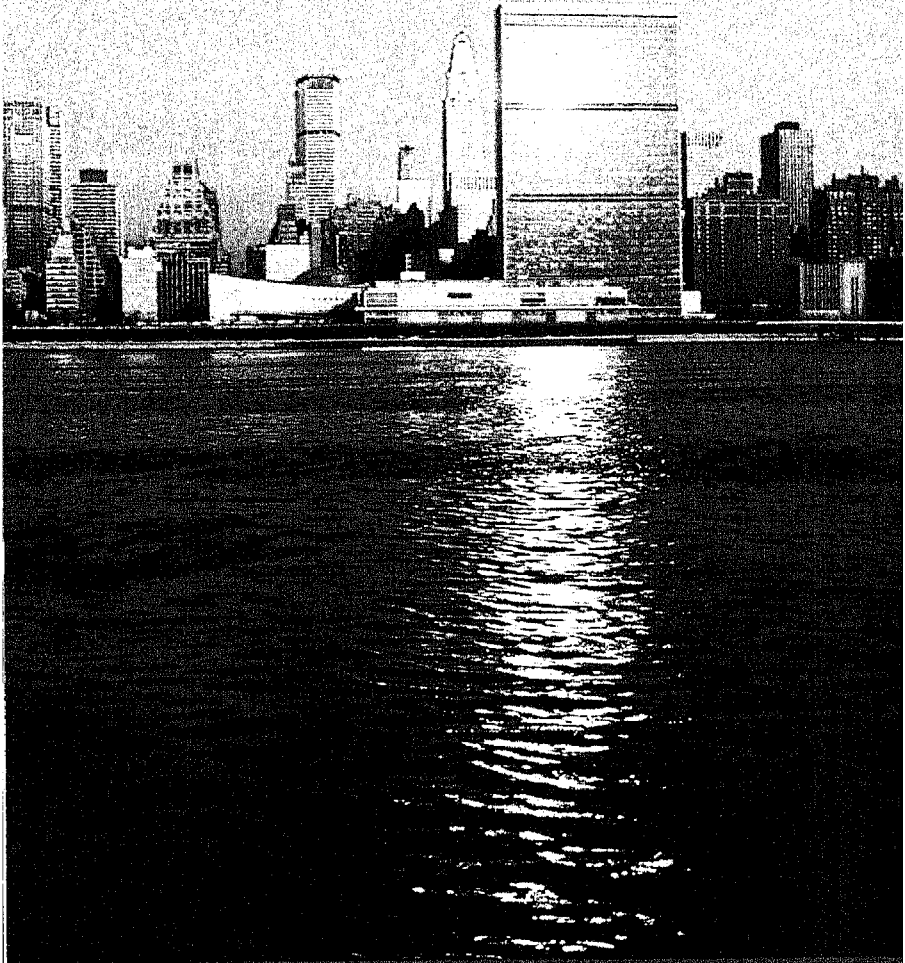
وعندما جلست السيدة ستولتكتب روايتها كانت تعتبرها مجرد عرض بسيط ، غير انها احدثت زلزالاً عميقاً مع تقدم العمل . وقد احدثت على الفور ، عند نشرها ، هزة عنيفة ، وبيع منها أكثر من ٣٠٠,٠٠٠ نسخة في السنة الاولى ، واضطرت ثمانية مطابع الى العمل ليل نهار لتلبية الطلبات التي انهارت عليها ، وسرعان ما ترجمت الى عدة لغات . لقد أظهرت الرواية أنه لا يوجد فاصل بين القسوة والاستعباد وأنه من الصعب التوفيق بين مجتمع الأحرار ومجتمع العبيد . ولقد تأثر بهذه القصة الجيل الناشئ من الناحيتين في الشمال تأثراً عميقاً . وأهبت الحماسة الدافقة في كل مكان وبين الصغار والكبار من أجل الدعوة الى مناهضة الرقيق والغضب من أجل ذلك المخلوق الضعيف الذي لا حول له ولا قوة ، والشفقة على كل من يتعرض للقسوة الغاشمة .

وفي سنة ١٨٥٤ تفاهم الحدل حول موضوع الرقيق القديم في الأقاليم وازداد النزاع مرارة . وكانت المنطقة التي تشمل الآن ولايتي كانساس ونبراسكا الخصبتين تجتذب المستوطنين وتبشر بتقدم سريع إذا قامت في كل منهما حكومة قوية .

الانقسام يزداد عمقاً

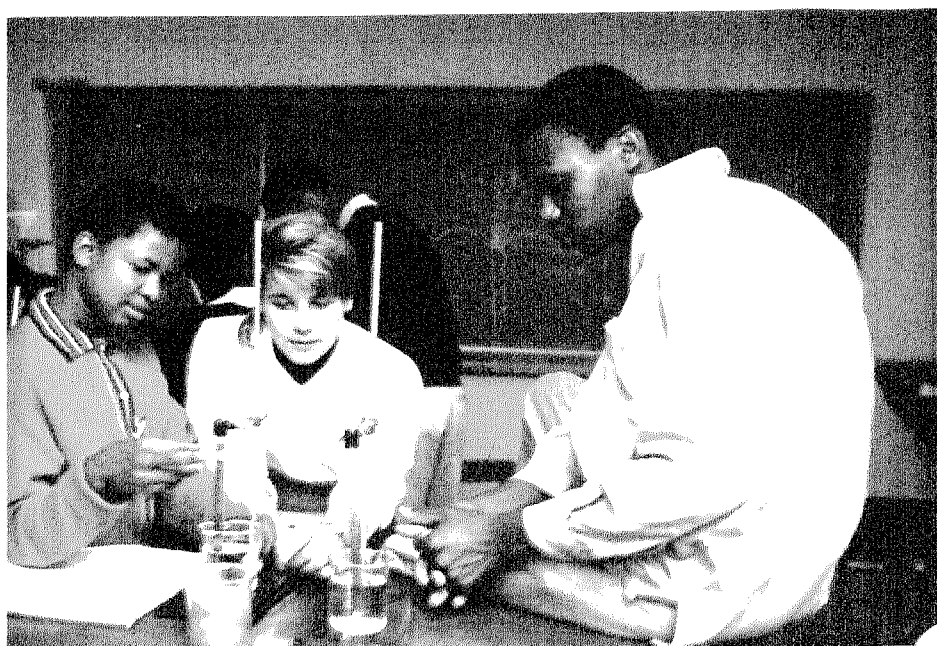
وطبقاً لاتفاق ميسوري كانت هذه المنطقة كلها مقفلة في وجه الرق . ولكن بعض العناصر القوية من ملاك العبيد في ميسوري عارضت في جعل كانساس ، المتاخمة لها من الغرب ، أرضاً حرة اذ ستحد ميسوري نفسها محاطة بثلاث جارات حرة ، واذا هي اذعنت للحركة القوية الراهنة ، فقد تجد نفسها مضطرة لأن تصبح ولاية حرة . وأخذ ممثلو ميسوري في الكونجرس يعرقلون مؤقثاً كل المحاولات التي ترمي إلى تنظيم تلك المنطقة بعضهم في ذلك الجنوبيون .

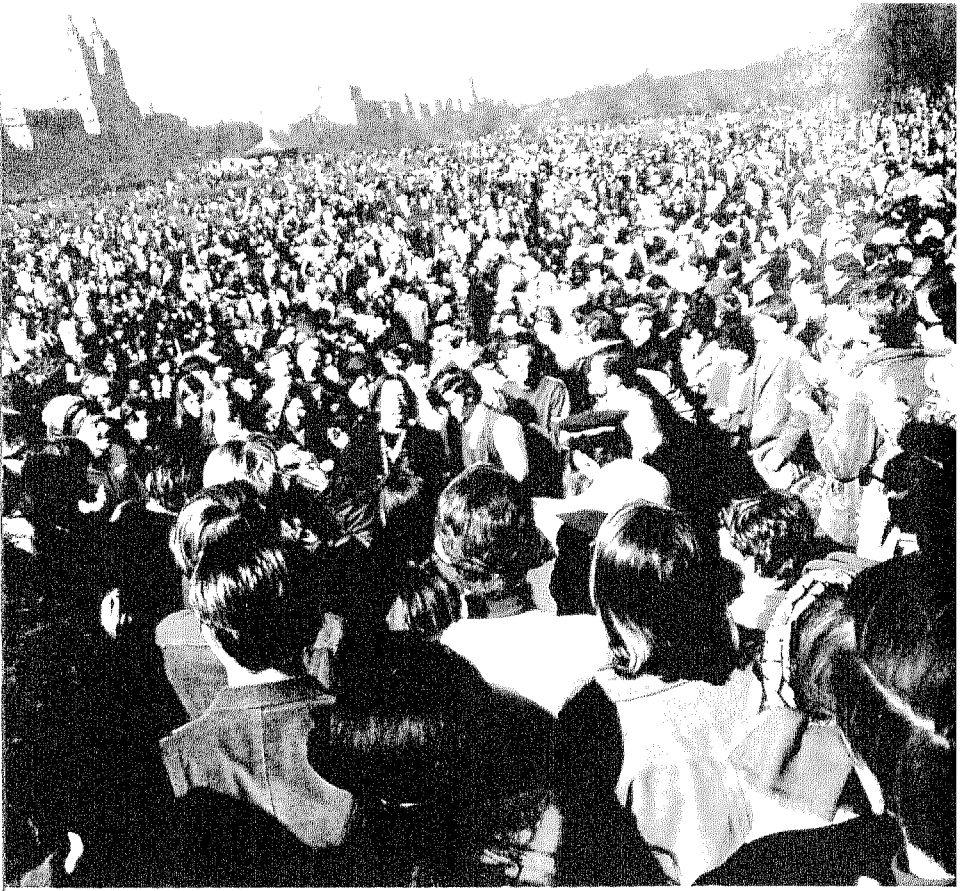
في هذا الوقت أثار ستيفن دوجلاس ، عضو الشيوخ القديم عن ولاية إلينوى ، عاصمة بتقديمه مشروع قانون أغضب فريق « الأرض الحرة » . وكانت حجة دوجلاس أنه لما كان اتفاق سنة ١٨٥٠ ينص على ترك ولايتي يوتا ونيومكسيكو حرتين في إقرار الرق أو إلغاؤه ، فإن اتفاق ميسوري يكون قد نقض من زمن طويل وقد عسى مشروعه بتنظيم ولايتي كانساس ونبراسكا ، والسماح للمستوطنين باصطحاب عبيدهم إليها .



مبنى الأمم المتحدة وقد انعكست عليه أشعة الشمس المشرقة ، انها تجسد أمل الناس في السلام .

بانتهاى الحرب العالمية الثانية ، وولادة الأمم المتحدة ، وتقدم التقنيات
البيولوجية والزراعية بشكل مذهل ، وقيام الكثير من الدول الجديدة -
بدا العالم والقرن العشرون مشرقاً بتباشير غد أفضل لجميع الشعوب .





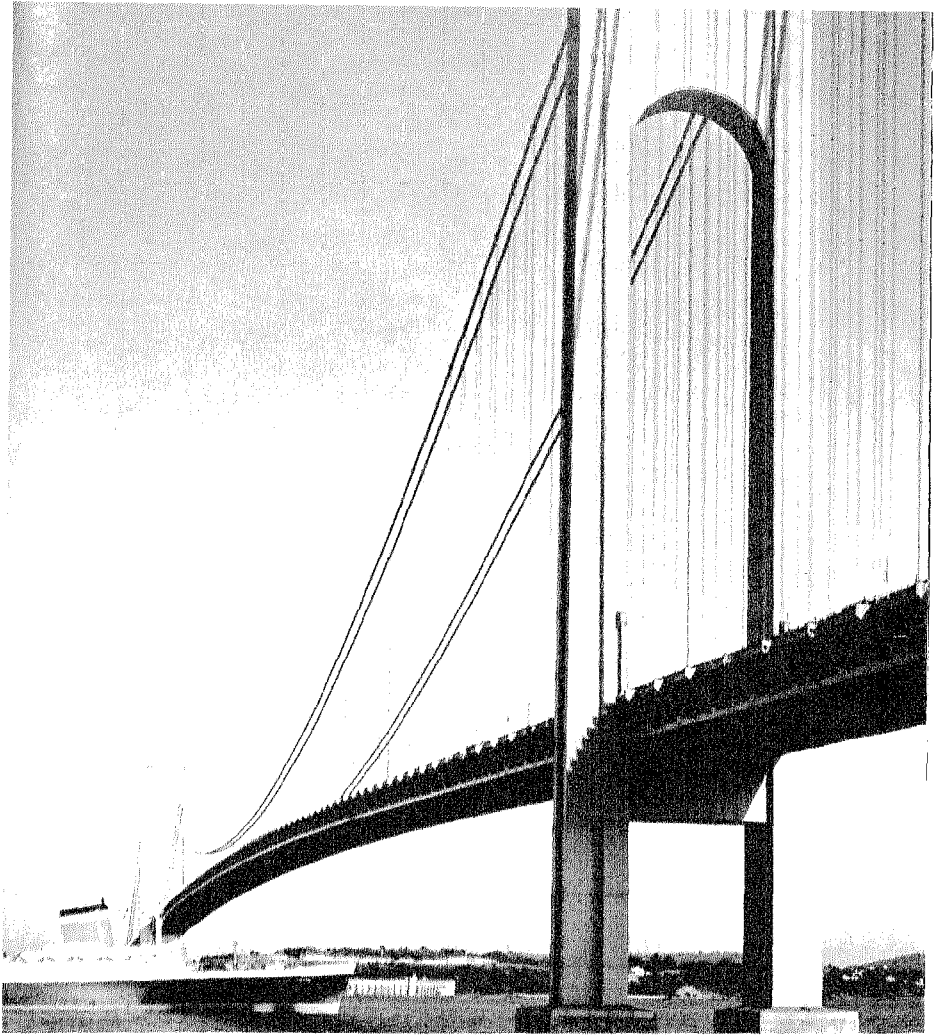
أصبحت كلمة « الالتزام » من الكليشوهات العصرية ، ولكنها ذات معنى خاص بالنسبة لشباب الستينيات والسبعينيات . والمثالية هي جزء منها ولكنها ليست كل شيء . ولا بد كذلك من الاهتمام – بالآخرين وبالبيئة – ومن التمسك على اختيار القيم والحياة تبعاً لها . وغالباً ما تعني الكلمة طرقاً جديدة لرؤية التقاليد ، وأحياناً تعني السلوك غير المألوف (وهو ما سيكون من تقاليد الغد) ، ودائماً في الأغلب تكون تعبيراً عن الاهتمام . ان تجمع « الحقبة » في سنترال بارك بسدها الشباب ، ثم أصبح احتفالاً ربيعياً سنوياً يمثل تجديد الحياة للجميع . وإلى اليسار ، جانب عملي في طابعه لواحد من متطوعي « فيستا » يتقاسم مهارته الميكانيكية مع شخص متعطّل . وإلى اليمين فوق : شباب من سكان الضواحي يشاركون سكان المدن في مشروع للظافة . وتحت : متطوعة من كنيسة السلام سافرت إلى بنشوانا في (أفريقيا) للتعليم .



إن كرمليسا وغيرهما من « المدن الجديدة » تحاول الجمع بين مزايا الحياة الحضرية والريفية معا .

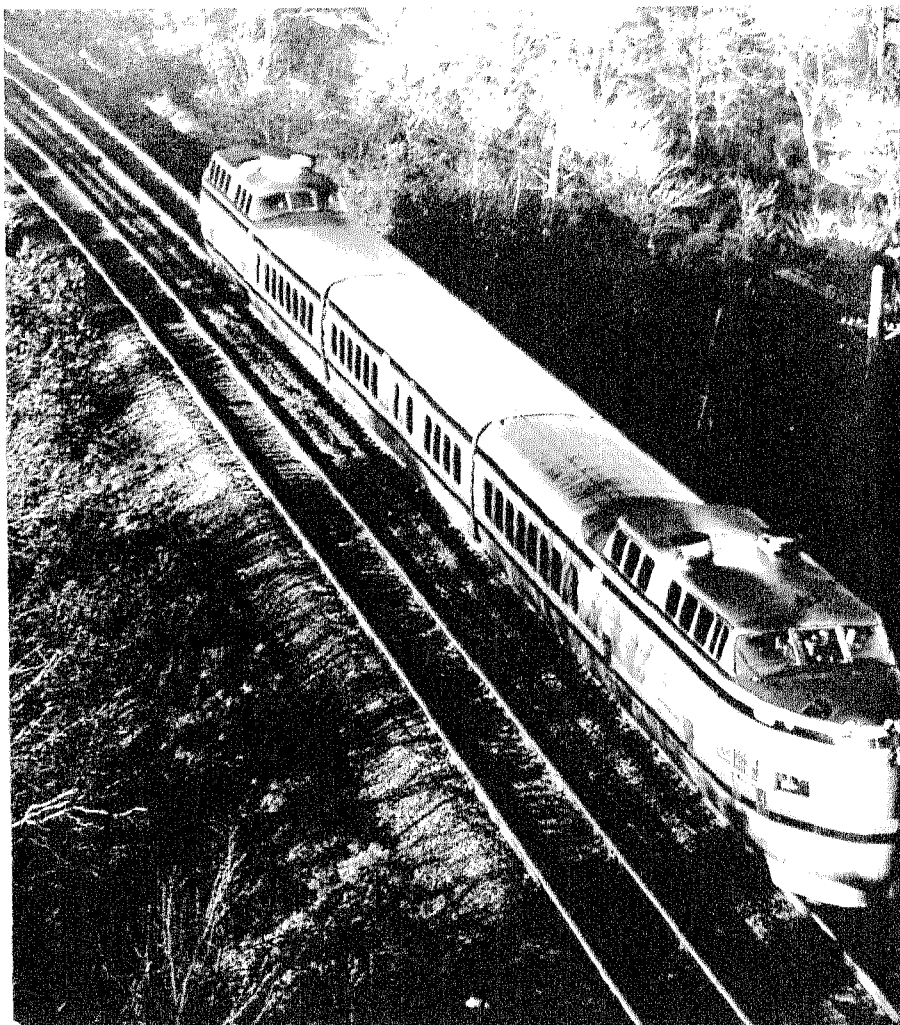


التم المخطط بدلاً من التمد العشوائي يتشمل في كملميسا بولاية ماريبلاند ، وفي نظامها إلى المستقل .

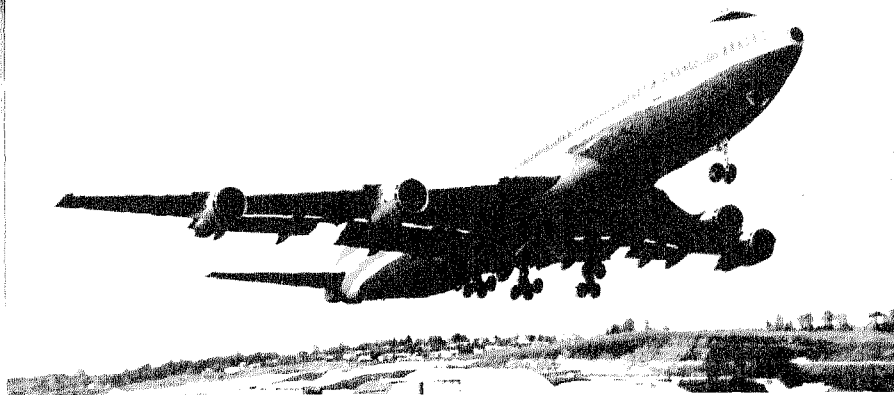


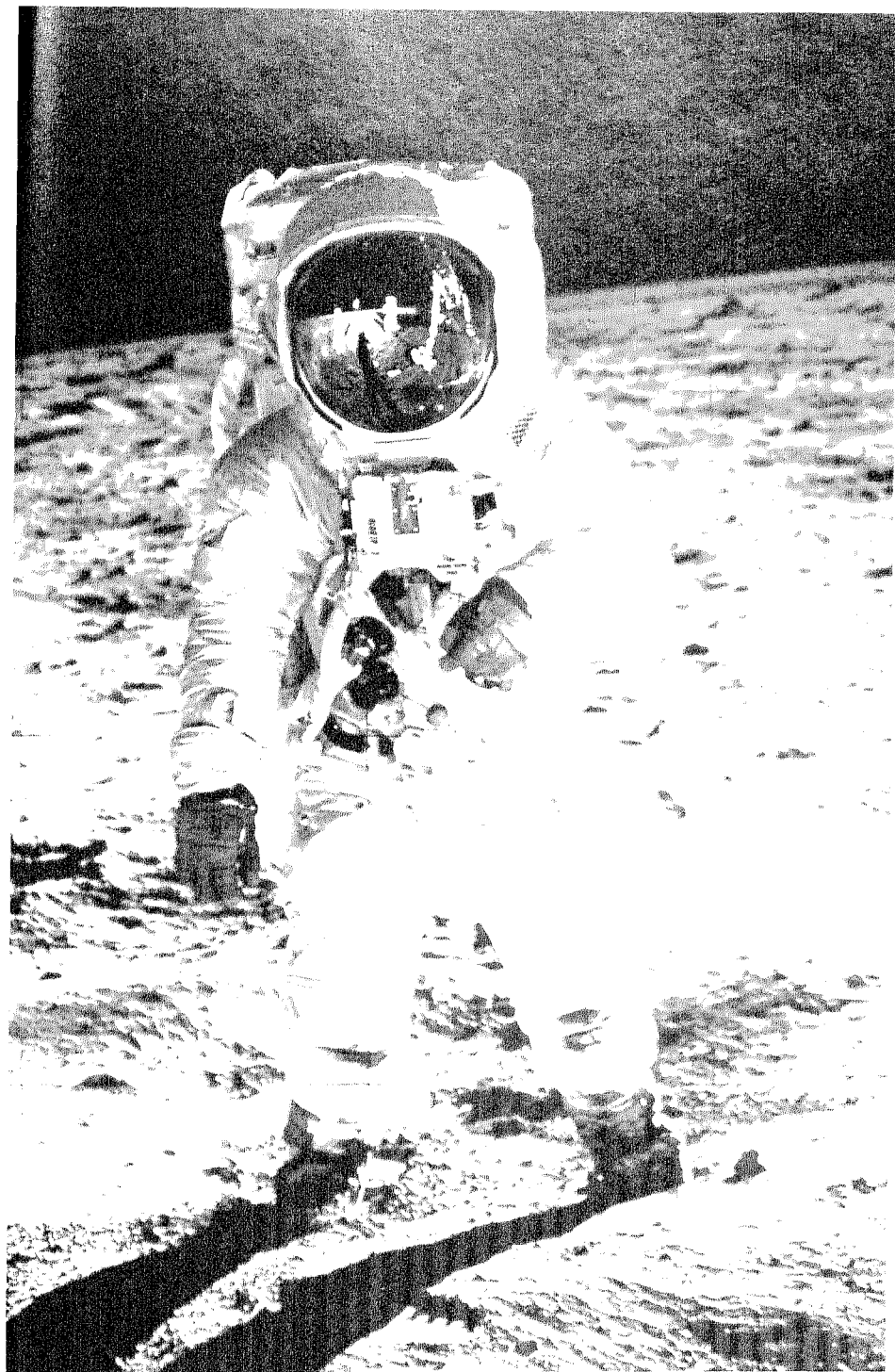
هناك محطة طي بحرية منتظمة لرحلات والتزوهات تؤمنها بدافع مخدعة كهاده التي تمر تحت جسم « فيرازانو- نارو » النيويوركي وطولها ٤٢٦٠ قدما (١.٢٩ كيلومتر) . ان الأمر يكفين بفساوان الحركة والتحرر من جداول المواعيد وقيدها . وهم يقطعون بالسيارات طريقا طولها ١٤٠٠ مليون كيلومتر كل سنة .





حب النقل التقليدي لدى الأمريكيين أدى إلى ابتكار وسائل سفر متزايدة السرعة أبدا . فوق : القطار
التوربيني الحديث يسير بسرعة ٢٧٤ كيلومترا (١٧٠ ميلا) في الساعة . وتحت : طائرة البرينج الثمانية الفخمة
٧٤٧ . التي تصنع لـ ٣٠٠ راكب وتطير بسرعة ألف كيلومتر (٦٢٥ ميلا) في الساعة .



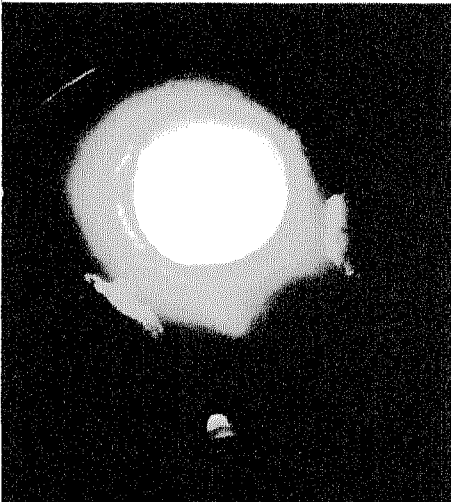
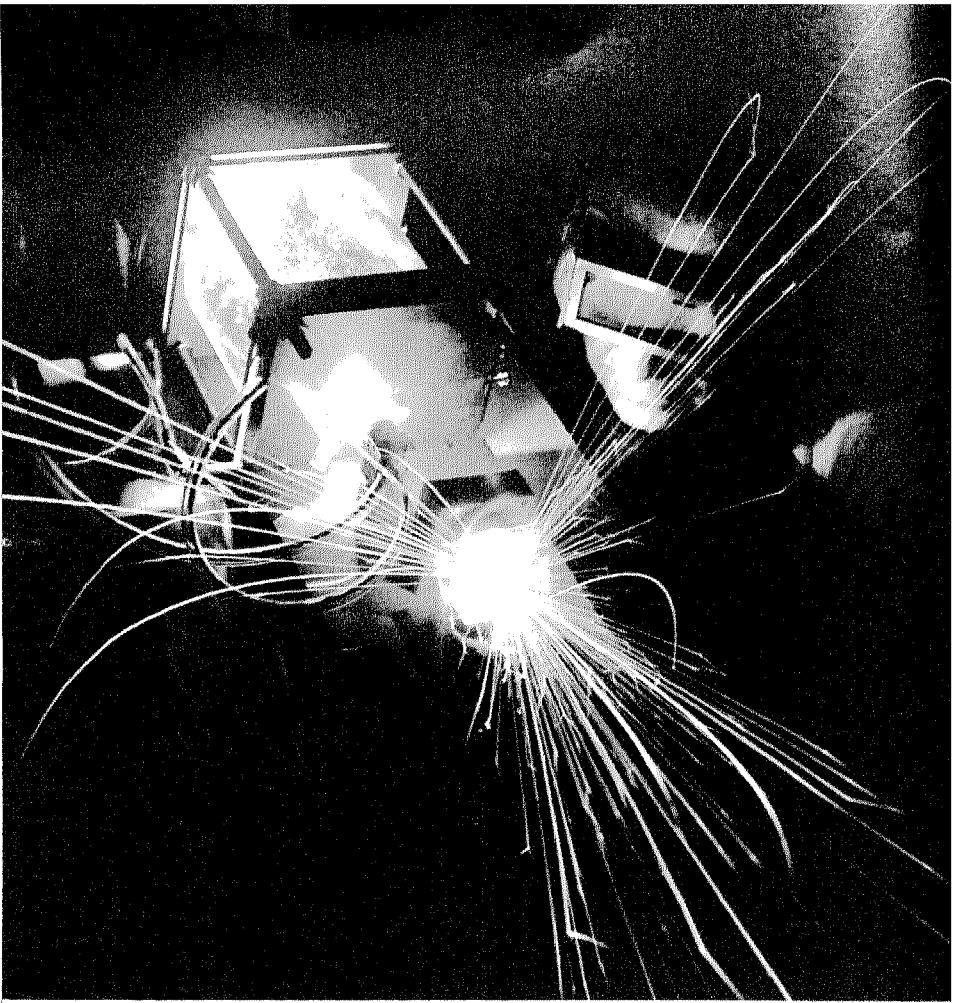


استطاع الإنسان أن يمشي على سطح القمر، مختلفاً بذلك الحلم الذي راود الإنسانية زمناً طويلاً...



غواص يهبط إلى مسكن الأعماق في مشروع «تيكتايت» للبقاء ٦٠ يومًا والقيام باستكشافات عميقة.



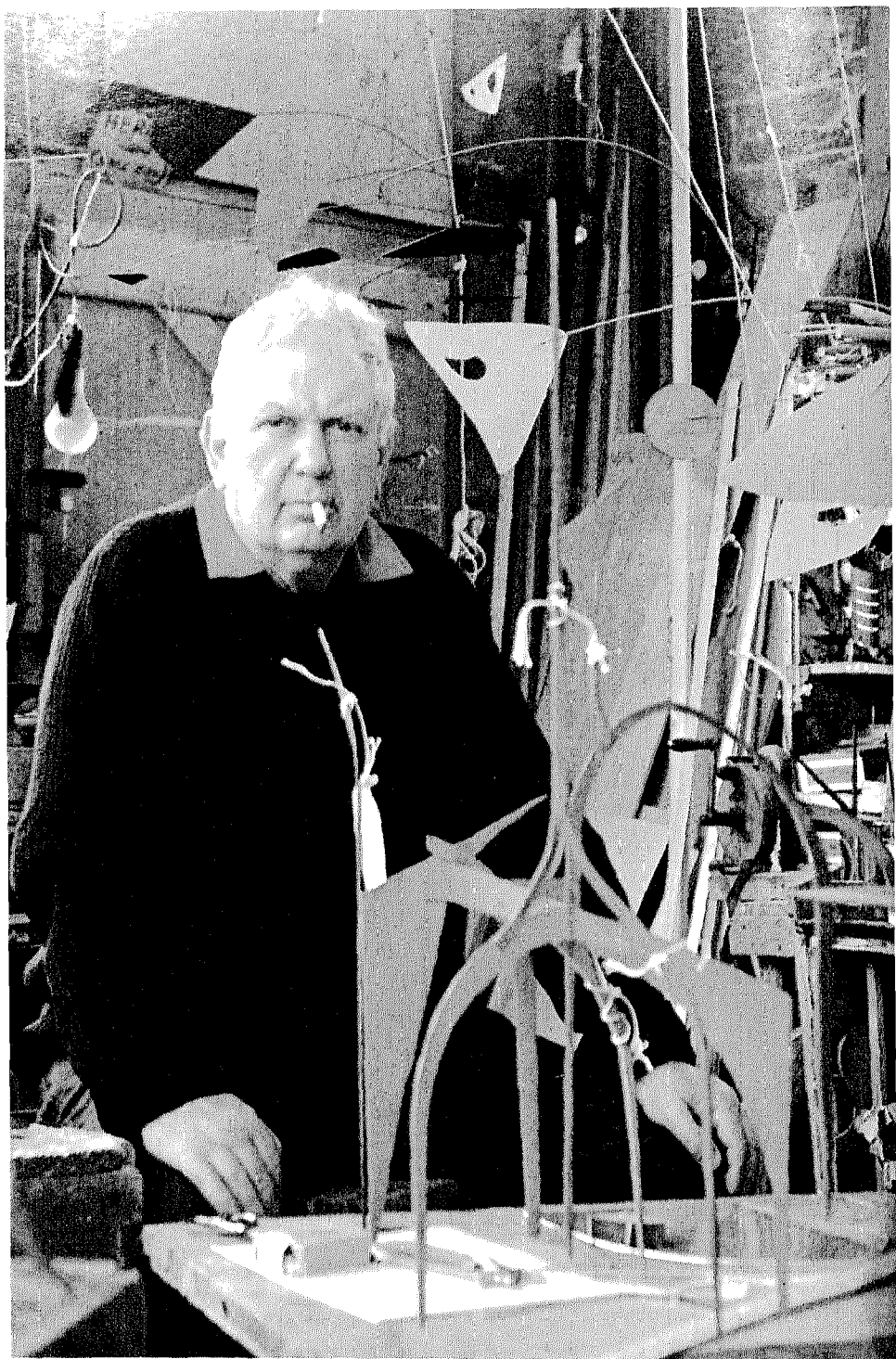


إذا كان ثمة نشاط يمثل هذا القرن ، فما هو إلا البحث العلمي . ان ثماره تتجلى في كل مكان ، والكثير من المنجزات العلمية قد انبثقت من برنامج الفضاء . من ذلك تطوير عقول الكترونية دقيقة للمساعدة في انزال انسان على سطح القمر (كما نرى في مركز هيوستن الى اليمين) ، وللاستعمالات الطبية المتقدمة . في الصورة العليا الى اليمين ، تجري مراقبة حالة المريض باستمرار بينما يتعاون الجراح والأطباء للقضاء على خلايا المخ المصابة . وفوق شعاع ضوئي مركز بواسطة الليزر يلحم قطعتين معدنيتين ، ويستعان بأشعة الليزر أيضاً لمعالجة شبكية العين المصابة . وإلى اليسار فن يحول المواد إلى وقود يستخدم في المفاعلات النووية للتجارب أو لانتاج الكهرباء .

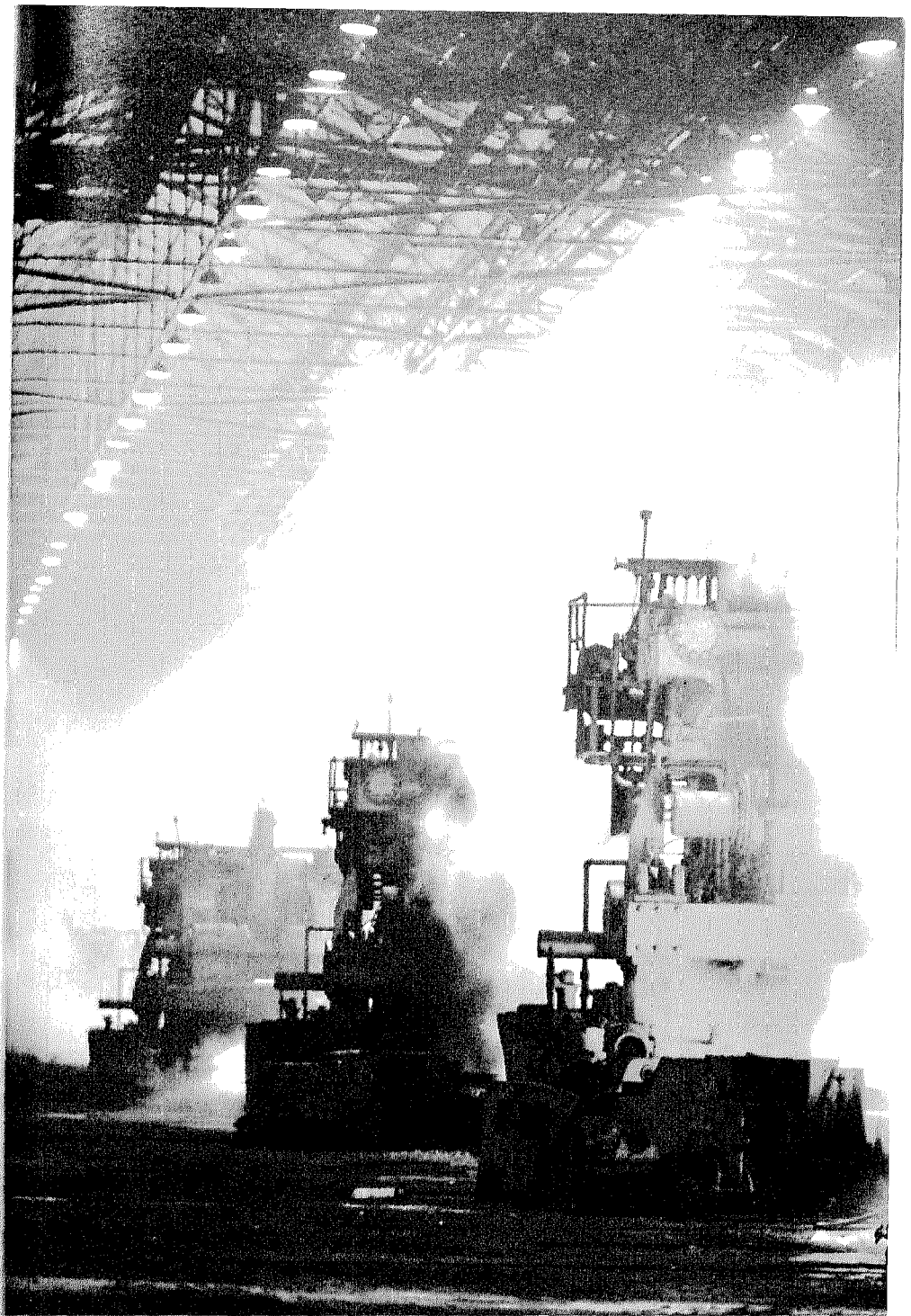


بواسطة الدمج غير الاعتيادي للثؤثرات الفنية والملابس المسرحية ، يستخدم « الوين نيكوليس » الفن القديم للرقص كي يستكشف الحاضر والمستقبل . تحت : في سنة ١٧٧٦ ، ظهر شكل مسرحي جديد نسبياً يحول صفحة من صفحات الماضي إلى مسرحية موسيقية تروي قصة « اعلان الاستقلال » .

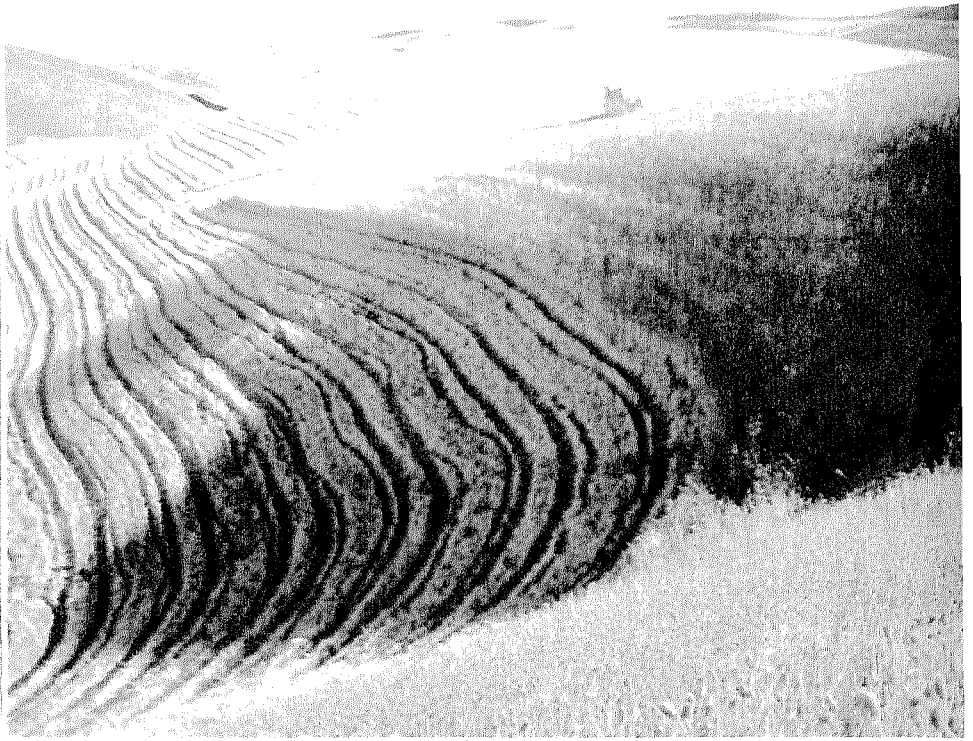




التناؤل الغريب الذي اشتهر به الفنان الكسندر كالدر أعطى الفن أشكالاً متحركة وثابتة .



بريق ودخان أفران الصهر المكشوفة ، يعطيان ألواناً ساحرة لعمليات تحويل الحديد إلى صلب .



الرخاء الزراعي يتجلى في حقول القمح المترامية ، وفي مخازن التوزيع « السوبر ماركت » التي تزخر
 بشتى الأغذية . ورغم ان البرامج الحكومية تساعد على منع تراكم الفائض المتلاف من
 الخواصيل ، فقد كان هذا الفائض في حد ذاته بمثابة حياة وغوث لكثير من المناطق المنكوبة .





بعد وقت قصير من انتخابه رئيسا للبلاد ، تحدث رونالد ريغان لأعضاء الكونغرس خارج مبنى المجلس .

وعلى السكان أنفسهم أن يقرروا انضمامهم للاتحاد كولايات للرقيق أو ولايات حرة . وقد اتهم التساليون دوجلاس باستحذاء الخطوة لدى الجيوب كي يفوز برئاسة الجمهورية في عام ١٨٥٦ . وقد تميز المشروع بالمناقشات الصاخبة التي صاحبت عرضه ، وعارضته صحف الأحرار معارضة قاسية . وحمل عليه رجال الدين من الولايات الشمالية ، وانقلب رجال الأعمال عليه فجأة بعد أن طلوا حتى ذلك الحين يظهرود الود لأهل الجنوب . ومع ذلك ففي صباح يوم من شهر مايو ، وافق مجلس الشيوخ على هذا القانون على طلاقات المدافع التي أطلقها الحوييون المتحمسون . ولكن سالون ب . تشيز ، وهو أحد زعماء حركة مناهضة الرق ، تكهن في الوقت نفسه « بأنهم اليوم يحتفلون بنصرهم ولكن لن يهدأ الصدى الذي احدثوه حتى تندثر العبودية نفسها » . وعندما زار دوجلاس بعد ذلك مدينة شيكاغو مدافعاً عن نفسه ، نكست السفن أعلامها في المياه ودقت الكنائس أجراسها طوال ساعة ، وصاحت جموع من الناس بلغت عشرة آلاف نسمة صاخبة حتى لا يستطيع أحد أن يسمعه .

وكانت النتائج المباشرة لتدابير دوجلاس السيئة الحظ خطيرة جداً وهامة . فقد قضت على حزب « الويجم » الذي أيد مسألة التوسع في الرق ، وقامت بدلاً منه منظمة قوية جديدة هي « الحزب الجمهوري » الذي كان مطلبه الرئيسي هو إلغاء الرق في جميع المقاطعات .

وفي سنة ١٨٥٦ ، رشح عنه لرئاسة الجمهورية جون فريمونت الذي اكتسب شهرته عن جدارة واستحقاق نتيجة رحلاته الاستكشافية الخمس في أقصى مناطق الغرب . وعلى الرغم من أن الحزب خسر الانتخاب فقد اكتسح عدداً عظيماً من ناخبي الشمال وضمهم إليه . وعظم نفوذ زعماء الأحرار أمثال تشيز ووليم سيوارد وظهر معهم محام طويل القامة من إلينوى هو إبراهيم لنكولن . وقد أدّى تدفق ملاك العبيد ومناهضو الرق الى كنساس الى نشوب نزاع مسلح ، وسرعان ما سميت الأرض الجديدة ، « كانساس الدائمة » . وثمة حوادث أخرى قربت الأمة من الصراع المحتوم ، كان أبرزها قرار المحكمة العليا المشهور في قضية دريد سكوت في سنة ١٨٥٧ .

وكان سكوت عبداً في ميسوري أتى به سيده منذ حوالي ٢٠ عاماً ليعيش في مقاطعتي إلينوى ووسكنسن حيث كان الرق محظوراً . ولما عاد الى ميسوري لم يرض بحاله فرفع دعوى تحرير مستنداً الى اقامته على أرض حرة . وقد فصلت المحكمة التي يسيطر عليها الجنوبيون في الدعوى قائلة إنه يعودته مختاراً الى ولاية للعبيد ، فقدّ كل حق يملكه في الحرية . وحكمت أيضاً بأن أية محاولة للكونجرس لمع الرق في المقاطعات لن تحدي . وقد أحدث هذا القرار اضطراباً عظيماً في جميع أنحاء الشمال ، ولم يسخط الناس على القضاء في يوم من الأيام مثلما سخطوا عليه حينذاك . ومن الناحية الأخرى كان ذلك القرار بالنسبة للديموقراطيين من أهل الجنوب نصراً عظيماً ، لأنه أقر شرعية النظرية التي تحبذ الرق في المقاطعات .

لنكولن يشدد حملته على الرقيق

كان ابراهام لنكولن دائماً يعتبر الرق شراً . وقد اعلن في خطبة ألقاها في بيوريا ، بولاية إلينوى ، سنة ١٨٥٤ ، ان كل تشريع وطني ينبغي ان يصاغ على أساس المبدأ الذي يقول ان الرق يجب حصره والحد منه وفي النهاية الغاءه . وعلن ايضاً ان مبدأ السيادة الشعبية كان زائفاً ، لان الرق في المناطق الغربية كان يشغل نال السكان لا في هذا الاقليم فحسب ، بل في الولايات المتحدة بأسرها . وقد كانت هذه الخطبة سبباً في شهرته في انحاء الغرب كله .

وفي سنة ١٨٥٨ ، نافس لنكولن ستيمن دوجلاس في انتخابات مجلس الشيوخ عن إلينوى . وفي الفقرة الاولى من الخطاب الذي افتتح به حملته الانتخابية ، في ١٧ يونيو سنة ١٨٥٨ ، ضرب لنكولن على الوتر الحساس في التاريخ الأمريكي للسنوات السبع التالية ، فقال : « إن بيتاً منقسماً على نفسه لا يستطيع البقاء . وإنني أعتقد أن هذه الحكومة لن يكتب لها بقاء أو استمرار ما دام نصفها أرقاء والنصف الآخر أحراراً . إنني لا أتوقع أن تنفصم عرى الاتحاد ولا أن ينهار البيت من أساسه ، ولكني أرجو أن يوضع حد لانقسامه » .

واشتبك لنكولن مع دوجلاس في مظاهرات سبع خلال الصيف والخريف من سنة ١٨٥٨ . وكان السناتور دوجلاس الذي عرف بـ « المارد الصغير » ، يُحسد على شهرته كخطيب مفوه ، غير انه وجد نظيره في لنكولن الذي تحدى ببلاغة متناهية مفهوم السيادة الشعبية . وفي النهاية ، وعلى الرغم من إعادة انتخاب دوجلاس بفارق بسيط من الأصوات ، فقد فاز لنكولن بمركزه كشخصية وطنية . واحتدم الصراع الحزبي مرة أخرى ، وفي ليلة ١٦ أكتوبر ١٨٥٩ استولى جون براون الذي كال للرق ضربة قاصمة في كنساس قبل ذلك بثلاث سنين ، بمساعدة نفر من مؤيدي الالغاء المتطرفين ، على الترسانة الحكومية في هاربرز فيري في ما يعرف الآن بولاية فرجينيا الغربية وعندما طلع الفجر ، تدفق سكان المدينة وهم مسلحون إلى القرية وبدأوا هجومهم المضاد بمساعدة بعض فرق الميليشيا . وأسر براون والأحياء من رجاله .

وسرى الخبر في أنحاء البلاد . وقد أثنت محاولة براون للكثيرين من أهل الجنوب أن أقسى ما كانوا يخشونه قد تحقق ، بينما نادى المتحمسون من معارضي الرق بأن جون براون شهيد مخلص لقضية عظمية . ولكن غالبية أهل الشمال نفروا من ثورته لأنهم لمسوا فيها اعتداء على القانون وعلى النظام والأساليب الديمقراطية لبلوغ التقدم الاجتماعي المنشود . وقد حوكم براون بتهمة التآمر والخيانة والقتل ، وشق في ٢ ديسمبر سنة ١٨٥٩ معتقداً حتى النهاية أنه آلة تسيرها يد الخالق .

وفي انتخابات الرئاسة سنة ١٨٦٠ قرر الحزب الجمهوري ترشيح ابراهام لنكولن . وقد بلغ التضامن الحزبي أقصاه عندما اعلن زعماءه انهم لن يسمحوا للرق بالانتشار

أبعد من حدوده الحالية . ووعده الحزب أيضاً بفرض تعريف جمركية لحماية الصناعة ، وتعهد بأن يس قانوناً يمنح الأراضي دون مقابل للمستوطنين الذين يساعدون في فتح القطاع الغربي . وقد ساعد تفكك الديموقراطيين المعارضين بقيادة ستيفن ودوجلاس ، ساعد الحزب الجمهوري على الفوز في الانتخابات .

وكان المعروف من قبل أن كارولينا الجنوبية ستفصل عن الاتحاد إذا انتخب إبراهيم لنكولن رئيساً ، فطالما ترقبت هذه الولاية فرصة توحيد فيها الجنوب ضد القوى المناهضة للرق . وما ان تأيدت نتائج الانتخاب حتى أعلن مجلس كارولينا الجنوبية الذي انعقد بدعوة خاصة القرار التالي : « إن الاتحاد القائم بين كارولينا الجنوبية وباقي الولايات تحت اسم ، الولايات المتحدة الأمريكية ، قد انحل بهذا القرار » . وحدث حذوها ولايات جنوبية أخرى في الحال ، وفي ٨ فبراير سنة ١٨٦١ ألقت جميعها جامعة الولايات الأمريكية .

بداية الحرب الأهلية

وفي ٤ من مارس سنة ١٨٦١ ، أي قبل أن ينقضي شهر على ذلك ، احتفل رسمياً بتنصيب إبراهيم لنكولن رئيساً للولايات المتحدة . وقد رفض لنكولن في خطابه الافتتاحي الاعتراف بذلك الانفصال إذ اعتبره « باطلاً من الناحية القانونية » وختم خطابه بكلمات بليغة مؤثرة مطالباً بإعادة روابط الاتحاد السالفة . ولكن الجنوب لم يستجب لهذا النداء . وفي ١٢ أبريل أطلقت المدافع نيرانها على ميباء فورت صمتر في شارلستون ، بكارولينا الجنوبية . وزال كل شك كان يساور الشماليين . ولبى أهل الولايات السبع المنفصلة نداء رئيسهم جيفرسون ديفز ، وكان الطرفان ينتظران في قلق تحديد موقف ولايات العبيد ، تلك الولايات التي ظلت حتى تلك اللحظة على ولائها . وفي ١٧ أبريل اتخذت فرجينيا خطواتها المشؤومة ، وسرعان ما تبعها أركنساس وكارولينا الشمالية . ولم تشعر ولاية من الولايات التي هجرت الاتحاد مثلما شعرت فرجينيا من المرارة ، فلم يقد زعمائها بدور عظيم الأهمية في نيل الاستقلال وصياغة مواد الدستور فحسب ، بل إنها أنجبت أيضاً خمسة رؤساء للجمهورية . وبانفصال فرجينيا انفصل أيضاً الكولونيل « روبرت لي » الذي اعتذر عن قيادة جيش الاتحاد وفاء منه لولايته . وكانت تقع بين جامعة الجنوب وبين أرض الشمال الحرة ، تلك الولايات الحدودية التي أثبتت على غير انتظار ولاءها للوطن وأبقت على الرابطة بينهما وبين الاتحاد .

وخاض أفراد الشعب من الطرفين غمار الحرب ، تملأ نفوسه الآمال الكبيرة في نصر حاسم سريع . كان الشمال يتميز بثروته المادية تميزاً ظاهراً ، إذ كان يتألف من ثلاث وعشرين ولاية مجموع سكانها ٢٢ مليون نسمة مقابل إحدى عشرة ولاية في

الجنوب يسكنها تسعة ملايين . وكان تفوق الشمال في الصناعة يفوق ما يتميز به من ازدياد في عدد سكانه . وكانت لدى الولايات الشمالية تسهيلات وافرة لصناعة الأسلحة والدخائر والملابس والمهمات الأخرى ، وبالمثل ساعد ازدياد انتشار السكك الحديدية في الشمال على نجاح الاتحاد العسكري .

معارك دموية ضارية في الشرق والغرب

كانت البحرية كلها تقريباً في بداية الصراع في أيدي الشمال ، ولكنها كانت مبعثرة وضعيفة . وسرعان ما أعاد وزير البحرية « حيدون ويلز » تنظيمها وتقويتها ، ثم أعلن لنكولن صرب الحصار على الشواطئ الجنوبية . وعلى الرغم من أن هذا الحصار لم يؤد إلى نتائج كبيرة في بادئ الأمر ، فقد عمل في سنة ١٨٦٣ على الحيلولة دون شحن القطن إلى أوروبا واستيراد الدخائر والملابس والأدوات الطبية التي كان الجنوب في أشد الحاجة إليها . وفي تلك الأثناء بزغ نجم القائد البحري النابه « ديفيد فاراجوت » الذي قاد معركتين عظيمتين . ففي الأولى سير أسطولاً للشمالين في خليج الميسيسيبي وأرغم الجنوبيين على تسليم مدينة من أكبر مدن الجنوب هي نيو أورليانز . وفي المعركة الثانية شق طريقه عبر المدخل الحصن لخليج « موبيل » واستولى على سفينة مصفحة من سفن الجنوب وأقفل الميناء .

وفي وادي الميسيسيبي احزرت قوات الاتحاد عدة انتصارات متصلة . فقد بدأت باختراق خط الجنوب عند تينيسي ، ومهدت بذلك السبيل لاحتلال معظم الجزء الغربي من الولاية . وباستيلاء قوات الشمال على ميناء « ممفيس » الهام الواقع على الميسيسيبي أصبح في وسعها التقدم مسافة ٣٢٠ كيلومتراً في قلب الجنوب . وبوجود الجنرال يوليسيس جرانث القوي التكيمة على رأس القيادة ، شنت قوات الاتحاد هجوماً مفاجئاً على « شيلوه » الواقعة على الحاجز المشرف على نهر تينيسي ، وقد صمدت محافظة على مواقعها حتى وصل المدد الذي مكنها من رد العدو على أعقابها . ثم تقدمت قوات جرانث في ببطء وثبات نحو الجنوب وهدفها الاكبر السيطرة التامة على الميسيسيبي الذي كان الجزء الأدنى منه قد اخلي من الجنوبيين باستيلاء فاراجوت على نيو اورليانز . وكان جرانث قد حوصر مدة في فكسبرج ، حيث تحصن الجنوبيون على قمم الشاطئ العالية التي لا تستطيع البحرية ضربها . وفي سنة ١٨٦٣ ، بدأ حرائت الزحف إلى أسفل وحول فكسبرج ، وحاصر ذلك الموقع ستة أسابيع . وفي ٤ يوليو استولى على المدينة وعلى أقوى جيش جنوبي في الغرب . وأصبح النهر كله الآن في قبضة الاتحاد . وبهذا فصل الجنوبيون الى قسمين ، وأصبح من المستحيل تقريباً جلب المؤن من ولايتي تكساس وأركنساس .

وفي فرجينيا ، من الناحية الأخرى ، مني الشماليون بهزائم متتالية . فنشبت

سلسلة من المعارك الدامية حاول الشماليون فيها الاستيلاء على ريتشموند ، عاصمة الجنوب ، ولكنهم كانوا يردون على أعقابهم ، فقد كان الجنوبيون يتمتعون بمزيتين عظيمتين معاقل دفاعية قوية بفضل المجاري المائية العديدة التي تقطع الطريق بين واشنطن وريتشموند ومقدرة القائدين روبرت لي وتوماس ستونوول جاكسون اللذين كانا يفوقان قواد الشمال الأولين . وقد قام قائد الشمال جورج ماكليان بمحاولة يائسة لاحتلال ريتشموند ، ولكن في معارك الأيام السبعة من ٢٥ يونيو إلى أول يوليو سنة ١٨٦٢ ، ارتدت قوات الشمال على أعقابها بعد أن تكبد الطرفان خسائر فادحة .

المدة يبلغ ذروته ثم ينحسر

وفي الأول من يناير عام ١٨٦٣ ، اصدر الرئيس لنكولن اعلان التحرير الذي قضى بتحرير العبيد في الولايات المتمردة ودعوتهم للانضمام الى القوات المسلحة في الشمال . وقد جاء الاعلان بالتالي ليؤكد الغاء الرق كهدف للحرب بالإضافة الى هدف انقاذ الاتحاد .

واستمر أهل الشمال يواجهون ظروفًا صعبة ويقاسون الهزائم . وكان التقدم الى ريتشموند عن طريق البر ما زالت تحف به الصعاب . وفي تشانسيلورفيل تفهقصر الشماليون بعد معركة دامية ، ولكن الجنوب دفع ثمن ذلك النصر غالباً فقد كلفه حياة ستونوول جاكسون .

ومع ذلك فإن أياً من هذه الانتصارات التي أحرزها الجنوب لم يكن حاسماً . وأخذت حكومة الشمال تجند القوات من جديد ، واستأنف القتال . وفي يوليو سنة ١٨٦٣ ، حدثت نقطة التحول في الحرب ، فقد تقدم الجنرال لي نحو الشمال وهاجم بنسلفانيا معتقداً أن الفرصة قد سنحت بعد هزيمة تشانسيلورفيل الساحقة ، وكاد جيشه يصل الى العاصمة . ولكن جيشاً شمالياً قوياً اعترض سيره عند جيتسبورج . وهناك في معركة دامت ثلاثة أيام قام الجنوبيون بمحاولة ناسلة لاختراق خطوط الاتحاد ولكنهم أخفقوا . وتفقهق جنود الجنرال لي الى نهر بوتوماك بعد أن تكبدوا خسائر فادحة . وكانت قوات جرانت في تلك الأثناء تدخل فيكسبورج على الميسيسيبي وأصبح حصار السواحل الجنوبية نطاقاً حديدياً لم تستطع اختراقه سوى سفن قليلة . وكانت موارد الجنوبيين توشك ان تنضب . وبدت الولايات الشمالية من ناحية اخرى اكثر رخاء من أي وقت مضى ، فمطاحنها دائرة الرحي ومصانعها تعمل بكل طاقتها ، ومزارعها تصدر كميات عظيمة من المحصولات إلى أوروبا ، وعدد رجالها يتجدد بسبب الهجرة المستمرة .

وكان تقدم جرانت البطيء والحاسم الى ريتشموند سنة ١٨٦٤ ينذر بالهياة ، فقد أطبقت القوات الشمالية من جميع الجهات ، وفي أول فبراير سنة ١٨٦٥ بدأ جيش الجنرال شيرمان الغربي زحفه نحو الشمال ، من جورجيا . وفي ١٧ فبراير انسحب

الجويون من كولومبيا عاصمة كارولينا الجنوبية ، وسقطت تشارلستون في قبضة أسطول الاتحاد دون قتال عندما قطع الحط الحديدي الذي يصلها بالداخل . وفي تلك الأثناء أصبح موقف الجنوبيين في بيترزبورج وريثشموند غاية في الحرج ، وفي ٢ أبريل سنة ١٨٦٥ انسحب الجنرال « لي » منه وبعد أسبوع وجد نفسه في أوماتوكس في فرجينيا يحاصره العدو ولا مناص له من التسليم .

كانت شروط التسليم سمحة تتسم بالشهامة ، وعندما عاد جرانت من الاجتماع هذاً مظاهرات جنده وصخبهم مذكراً بإههم « بأن الثوار عادوا لنا مواطنين » وأصبحت حرب الجنوب لئيل الاستقلال « قضية خاسرة » . وكان بطل تلك « القضية الخاسرة » هوروبرت لي الذي أثار الإعجاب ببراعته في القيادة ، وبعظمته في الهزيمة . .

كذلك انجبت هذه الحرب للشمال بطلاً أعظم هو ابراهام لنكولن . رجل كان اهتمامه الأكبر ، وقبل أي شيء آخر ، هو ان يجمع الامة ثانية في اتحاد لا بالقوة والقمع وانما بالسماحة والمشاعر الكريمة والدفع . وعلى الرغم من انه استخدم سلطات جديدة لم يسبقه اليها غيره من الرؤساء ، سواء في الحرب ام في السلم ، فلم يحاول ان يخالف في وقت من الاوقات مبادئ الديمقراطية وحكمها الذاتي . وفي سنة ١٨٦٤ اعيد انتخابه لرئاسة الجمهورية

« بعيداً عن الحقد والحسد ... »

اختتم لنكولن خطابه التنصيصي الثاني بهذه الكلمات : « فلنجاهد في سبيل اتمام العمل الذي بدأناه ، جهاداً بعيداً عن الحقد والحسد ، متوباً بالعطف على الناس والصلابة في الحق ، الحق الذي وهبنا الله القدرة على معرفته وادراكه ، لنضمد جراح هذه الأمة . لنعتن باولئك الذين خاصوا غمار المعركة ، وبأراملهم وابتاهمهم . ولنعمل كل ما يؤدي الى السلم الدائم العادل فيما بيننا وبين انفسنا وفيما بيننا وبين سائر الأمم » . وبعد ثلاثة أسابيع ، اي بعد يومين من تسليم الجنرال « لي » القى لنكولن خطابه العام الأخير الذي كشف فيه عن سياسة انشائية كريمة .

وفي ليلة الخميس ١٣ أبريل ، كانت مدينة واشنطن مضاءة بالانوار الساطعة احتفاء بتسليم الجنرال « لي » ، وكان هتاف الفرع ينبعث من الجماهير المحتشدة التي تموج بها الطرقات . وفي اليوم التالي عقد الرئيس ما قدر له ان يكون آخر اجتماع لمجلس وزرائه . في تلك الليلة حضر لنكولن - مع زوجته وضييفين لهما - احدى التمثيليات في مسرح فورد . وكان جالساً في مقصورة الرئاسة ، وقتل بيدي ممثل متهور أحمق يدعى جون ويلكز بوث ، الذي وثب من المقصورة الى المسرح وفر هارباً . وبعد ايام اعتقل بوث في محزن للحبوب في ريف فرجينيا . ومات لنكولن في عرفة نوم في بيت يقع مقابل مسرح فورد ، صباح يوم ١٥ ابريل .

وقد قال الشاعر راسل لورويل : « لم يحدث قبل ذلك الصباح المضطرب من إبريل

أن ذرفت مثل هذه الجموع الغفيرة الدمع الهتون لموت رجل لم تره قط ، فكأن شيئاً عزيزاً قد انتزع من حياتها تاركاً إياها أشد برودة وظلمة . وكانت تلك النظرة الصامتة التي يتبادلها العرباء في ذلك اليوم حيناً تلاقوا وما تحمله من أسى ولوعة ، هي خير تكريم وأكبر عزاء تعبر به النفس البشرية عند فقد عزيز . فقد فقدت الرجولة التي تجمع بينهم رجالاً تربطهم به صلة الرحم » .

وكانت المهمة الكبرى الأولى التي واجهت الشمال المنتصر - تحت قيادة نائب الرئيس ، اندرو جونسون ، الآن - هي مسألة تقرير حالة الولايات المنفصلة . ولقد كان لنكون قد أعد العدة لها . وكانت وجهة نظره التي تمسك بها تقول ان الولايات الجنوبية لم تنفصل بصفة قانونية في يوم من الأيام ، وانه غرر بها مواطنون خونة تحدوا سلطة الاتحاد . وعلى هذا تكون الحرب عملاً فردياً . وفي هذه الحالة يجب ان تقتصر الحكومة من هؤلاء الأفراد وليس من الولايات كلها . وعملاً بهذه النظرية أعلن لنكون في بلاغ صدر سنة ١٨٦٣ ، انه يعترف بشرعية حكومة أية ولاية يؤلف فيها عشرة في المائة من ناخبي سنة ١٨٦٠ ، حكومة تخضع للدستور وتطيع قوانين الكونجرس وقرارات الرئيس . ورفض الكونجرس هذا المشروع وتحدى حق لنكون في معالجة هذه المسألة دون الرجوع اليه .

ورغم ذلك أقام لنكون ، حتى قبل ان تنتهي الحرب فعلاً ، حكومات في ولايات فرجينيا ، وتينيسي ، وأركنساس ، ولوزيانا . وقد عارض بعض أعضاء الكونجرس هذا القرار ، وطالبوا بفرض عقوبات رادعة على جميع الولايات المنفصلة . وكان أحد هؤلاء الأعضاء ثاديوس ستيفنز ، زعيم الحزب الجمهوري في مجلس النواب ، الذي طالب بان يظل مزارعو الجنوب تحت الحكم العسكري فترة من الزمن .

ومن أجل معالجة إحدى المسائل الرئيسية التي كانت تشغل اهتمامه وهي حالة الزوج المحررين - انشأ الكونجرس في مارس ١٨٦٥ مكتب التحرير الذي كان عليه ان يتولى الوصاية على المواطنين الزوج وتوجيههم نحو اعادة انفسهم بانفسهم . وفي ديسمبر من ذلك العام صدق الكونجرس التعديل الدستوري الثالث عشر الذي ألغى الرق .

آراء متعارضة حول سياسة التعمير

خلال صيف سنة ١٨٦٥ ، بدأ جونسون في تنفيذ مشروع لنكون للتعمير مع شيء من التغييرات الطفيفة . فعين بقرار منه حاكماً لكل ولاية من الولايات الجنوبية ، وأعاد الحقوق السياسية ثانية لكثير من أهل ولايات الجنوب عن طريق استخدام سلطته في إصدار العفو .

وفي الوقت المناسب عقدت المؤتمرات في كل ولاية من الولايات الجنوبية السابقة لالغاء قرارات الانفصال ورفض ديون الحرب ، ووضع دساتير جديدة . وفي النهاية انتخب أهل كل ولاية حاكماً ومجلساً تشريعياً ، وكان كلما وافق المجلس التشريعي في أية

ولاية على التعديل الثالث عشر، اعترف بقيام الحكومة المدنية فيها واعتبرت الولاية انها قد انضمت تانية الى الاتحاد .

وفي نهاية عام ١٨٦٥ ، تمت هذه العملية مع شيء من الاستثناء اليسير . ولكن الولايات المسحقة لم تكن قد استعادت تماماً مركزها السابق في الاتحاد لان الكونجرس لم يكن قد سمح بعد بادخال شيوخها ونوابها ، الذين كانوا يعدون الآن الى وشنطن لأخذ مكانهم في المجلس التشريعي الاتحادي ، الى المجلس .

وكان كل من لنكولن وجونسون قد توقعوا بان يكون للكونجرس الحق في حرمان نواب الجنوب مقاعدهم فيه وذلك بموجب فقرة في الدستور تقول : « إن كل مجلس هو الحكم على مؤهلات أعضائه » . وقد حدث ذلك عندما رفض أولئك الذين رأوا معاقبة أهل الجنوب - بزعامة ثاديوس ستيفنز من بنسلفانيا - إجلاس شيوخ ونواب الجنوب المنتخبين في مقاعدهم . وفي الشهور التالية أخذ الكونجرس في وضع خطة لتعمير الجنوب تختلف اختلافاً تاماً عن تلك التي بدأها لنكولن واستكملها جونسون .

مخلفات الحرب

وتزايد تدريجياً التأييد الشعبي الواسع للمتطرفين من اعفاء الكونجرس الذين نادوا بوجوب منح الزنجي جميع حقوق المواطنة كاملة . وفي يوليوسنة ١٨٦٦ سن الكونجرس قانون الحقوق المدنية واقام مكتب الحررين الجديد - وكلاهما كان الغرض منهما الحيلولة دون اقرار التمييز العنصري من قبل مجالس الجنوب التشريعية . وقد تلا ذلك اقرار الكونجرس التعديل الدستوري الرابع عشر الذي ينص على أن « جميع الأفراد الذين ولدوا في الولايات المتحدة أو تجنسوا بالجنسية الأمريكية وخضعوا لتشريعاتها هم مواطنو الولايات المتحدة ويعتبرون مواطنين للولايات التي يقيمون فيها » .

وقد رفضت جميع المجالس التشريعية في الولايات الجنوبية التصديق على هذا التعديل ما عدا ولاية تينيسي . وصوتت بعض هذه الولايات ضده بالاجماع . فبدا لبعض الجماعات في الشمال انه اصبح من الضروري التدخل لحماية حقوق الزوج في الجنوب . وفي قانون التعمير الصادر في مارس ١٨٦٧ ، قسم الكونجرس - متجاهلاً الحكومات المدنية التي تأسست في الولايات الجنوبية - الجنوب الى خمس مناطق وضعها تحت الحكم العرقي . ونص القانون ايضاً على امكان التخلّص من الحكومة العسكرية الدائمة ، للولايات التي استطاعت تشكيل حكومات مدنية او اقسمت يمين الولاء ، ووافقت على التعديل الرابع عشر ، ومنحت الزوج حق الانتخاب .

وفي يوليوسنة ١٨٦٨ تم التصديق على التعديل الرابع عشر . وفي السنة التالية صادق الكونجرس على التعديل الخامس عشر ، وأقرته المجالس التشريعية سنة ١٨٧٠ ، وقد نص هذا التعديل على « أن حق مواطني الولايات المتحدة في التصويت لن تستطيع أية ولاية أخرى إنكاره أو تعديله بسبب العنصر ، أو اللون ، أو حالة العبودية السابقة » .

ولما كان قانون التعمير يعد بمثابة هزيمة للرئيس جونسون فقد عمد الكونجرس إلى العمل على إقراره بهمة لا تعرف الملل ، إذ بلغ نفور الكونجرس من جونسون حداً جعله لأول مرة في التاريخ الأمريكي - يتخذ التدابير لإقالة الرئيس من منصبه . وكانت أخطر التهم التي وجهها إليه الكونجرس هو أنه « شغل الوظائف » ، قد أقصى من مجلس وزرائه أحد « مؤيدي الكونجرس » ، وهو وزير الحربية ولكن عندما حوكم أمام مجلس الشيوخ أثبت الرئيس بالبرهان القاطع أنه التزم حقوقه في إقالة الوزير . وهكذا سقطت التهمة وبقي جونسون في منصبه حتى انتهت مدة رئاسته .

وطبقاً لقانون التعمير قبل الكونجرس ، في صيف سنة ١٨٦٨ ، انضمام ولايات أركنساس ، كارولينا الشمالية ، وكارولينا الجنوبية ، ولورينا ، وجورجيا ، وألباما ، وفلوريدا إلى الاتحاد . ويمكن الحكم على مدى تمثيل تلك الحكومات السبع الجديدة ، من حقيقة أن أغلبية الحكام ، وأعضاء مجلس النواب ، والشيوخ المنتخبين كانوا راجلاً من أهل الشمال نزحوا إلى الجنوب بعد الحرب جرياً وراء المجد السياسي . وقد سيطر الزنوج تماماً على المجالس التشريعية في لويزيانا وكارولينا الجنوبية والميسيسيبي .

وقد لجأ بعض الجنوب - يدفعهم شعورهم باليأس - إلى وسائل غير مشروعة معتقدين أن حضارتهم القديمة أصبحت مهددة وأنه لا يوجد سبيل قانوني لوقف مجرى الأحداث . فتكرر استخدام العنف ، وأدت أعمال العنف والتطرف والاضطرابات التي كانت تزداد يوماً بعد يوم إلى إقرار « قانون التنفيذ » سنة ١٨٧٠ ، وهو القانون الذي فرص عقوبة شديدة على كل من يحاول حرمان الزنوج من حقوقهم المدنية .

وعلى توالي الأيام أصبح واضحاً أن مشاكل الجنوب لن تحل بالقوانين الصارمة واستمرار النزاع مع المتحالفين السابقين . وفي مايو سنة ١٨٧٢ أقر الكونجرس قانون العفو العام الذي أعاد للجميع حقوقهم السياسية باستثناء خمسمائة شخص تقريباً من أنصار التحالف . وبدأت الولايات الجنوبية - الواحدة في إثر الأخرى - وبالتدرج تنتخب أعضاء الحزب الديمقراطي لشغل الوظائف . حتى إذا كانت سنة ١٨٧٦ لم يبق للجمهوريين نفوذ إلا في ثلاث من ولايات الجنوب فقط . وبرهن انتخاب ذلك العام - وهو أعنف انتخاب شهده التاريخ الأمريكي وأكثره اضطراباً - على أن الجنوب لن يستقر له قرار حتى تسحب منه الجيوش الشمالية . وعلى ذلك سحب الرئيس رذرفورد هايس هذه الجيوش في العام التالي ، واعترف بعشل سياسة التعمير « الراديكالية » .

وانتهى حكم الشماليين في الجنوب ، ولكن الجنوب كان حينذاك بقاعاً خربتها الحرب وأثقلت أهلها الديون بسبب فساد الحكم ، ودفعت بها الحرب العنصرية إلى الانحلال الخلقي . وبعد اثني عشرة سنة من التعمير « الزائف » من سنة ١٨٦٥ إلى سنة ١٨٧٧ ، بدأت الجهود الحقيقية تبذل لتعمير الجنوب من جديد .

عهد التوسع والإصلاح

« يجب ان نلغي كل شيء نشتم منه رائحة التمييز »

وودرو ويلسن

في رسالة الى الكونجرس ، ٨ أبريل ١٩١٣

بلغت

الولايات المتحدة الأمريكية سس الرشد بين حريين عظميين ،
لحرب الأهلية والحرب العالمية الأولى . ففي أقل من خمسين سنة تحولت من جمهورية
ريفية الى دولة مدنية ، ولم يعد للحدود أثر . وانتشرت في أرجاء البلاد معامل عظيمة ،
ومصانع للصلب ، وخطوط حديدية عبر القارة ، ومدن مزدهرة ، ومزارع شاسعة ،
ولكن ذلك النمو اقترن ببعض المساوئ . فقد أخذ الاحتكار ينمو ، وساءت أحوال العمل
في المصانع ، وبلغ من سرعة نمو المدن وتقدمها أنها عجزت عن إيواء عدد السكان المتزايد
ولم تستطع أن تنظم شؤونهم . وزاد إنتاج المصانع على الاستهلاك في بعض الأحيان .
وجاء رد الفعل لهذه العيوب من جانب الشعب الأمريكي وزعمائه السياسيين -جروفر
كليفلاند ، ووليم ج. بريان ، وثيودور روزفلت ، وودرو ويلسن فإن إصلاحاتهم
الواضحة القوية المثالية في فلسفتها والواقعية في تنفيذها ، قد تمشت مع احتياجات
البلاد . والواقع أن الأعمال التي أنجزت في عهد الإصلاح قد أدت فعلاً الى تصحيح
الأخطاء التي ارتكبت في عهد التوسع السريع .

ويقول أحد الكتاب « إن الحرب الأهلية كانت جرحاً بليغاً في تاريخ البلاد ، وكان
نشوبها إيذاناً بتحقيق التغيرات التي لاح طيفها في السنوات العشرين أو الثلاثين السابقة » .
وقد نشطت مستلزمات الحرب العظيمة الصناعات وعملت باتخاذ طريق اقتصادي كان
من دعائمه الأساسية استغلال الحديد ، والبخار ، والقوة الكهربائية ، والتقدم السريع
الذي أحرزه العلم والاختراع .

وقد بلغ عدد براءات الاختراع التي منحت للأفراد قبل سنة ١٨٦٠ ، ستة وتلاثين
ألفاً . وخلال الثلاثين سنة التالية منحت ٤٤٠,٠٠٠ براءة . وفي الربع الاول من القرن
العشرين ارتفع عددها الى ما يقارب المليون . وفي سنة ١٨٤٤ اتقن صمويل
ف. ب. موريس التلغراف الكهربائي وسرعان ما اتصلت أجزاء القارة

الثانية بشبكة من الأعمدة والأسلاك . وفي سنة ١٨٧٦ عرض ألكسندر جراهام بل آلة التليفون . وخلال نصف قرن أصبح في البلاد ١٦ مليون جهاز تليفوني عجلت في تقدم حياة الأمة الأمريكية من الناحيتين الاجتماعية والاقتصادية . ولقد ساعد على سرعة نمو الأعمال اختراع الآلة الكاتبة في سنة ١٨٦٧ ، وآلة الجمع في سنة ١٨٨٨ ، وآلة تسجيل الحسابات في سنة ١٨٩٧ . وبفضل آلة صف الحروف المطبعية (الليوتيب) التي اخترعت في سنة ١٨٨٦ أصبح من اليسور طبع ٢٤٠,٠٠٠ نسخة من جريدة ذات ثمانى صفحات في ساعة واحدة . ورودت المصابيح الكهربائية التي اخترعها أديسون ملايين من المنازل . كذلك بلغ الحاكي حد الكمال على يد أديسون الذي اخترع الصور المتحركة بالتعاون مع جورج إيستمان . وكان من نتيجة تطبيق العلم والبراعة في هذه المحاسلات وغيرها كثير ، بلوغ مستوى عال من الإنتاج في شتى الميادين تقريباً .

وفي الوقت نفسه كانت صناعة الحديد والصلب - وهي الصناعة الأساسية في البلاد - تسير سيراً حثيثاً بحماية تعريف جمركية عالية . وبعد أن كانت صناعة الحديد متجمعة فيما مضى على مقربة من مصادرها في الولايات الشرقية امتدت غرباً بعد أن كشف علماء الجيولوجيا مصادر جديدة لها هناك . ومن المناجم التي تستحق الذكر مناجم حديد ميزابي العظيمة عند رأس بحيرة سوويرير التي أصبحت من أعظم مناطق إنتاج الحديد الخام في العالم . وقد وجد الحديد الحام في طبقات الأرض السطحية مما جعل عملية التعدين سهلة ورحيصة . وقد سهل نقاؤه من الشوائب الكيميائية تحويله إلى صلب جيد النوع بسعر يعادل عشر سعره السابق .

نمو الحركة الصناعية

كان أندرو كارنيجي أعظم شخصية في تاريخ صناعة الصلب ، واليه يعود معظم الفصل في التقدم الباهر الذي تم في ميدان إنتاجه . وكان أندرو في الثانية عشرة من عمره حين جاء من أسكتلندا إلى أمريكا وقد ارتقى من عامل على الأنوال في مصنع للقطن إلى موظف في أحد مكاتب البرق ، ثم في شركة سكك حديد بنسلفانيا . وقبل أن يبلغ الثلاثين ، استمر بما أوتي من ذكاء وبعد نظر بعض الأموال التي تركزت في صناعة الصلب عام ١٨٦٥ . وفي مدى سنوات قلائل أسس كارنيجي ، أوساهم في تأسيس شركات لصنع الجسور الحديدية وقضبان السكك الحديدية وقاطرها . وبعد عشر سنوات أصبح مصنعه الذي أقامه على نهر « المونونجاهيلا » في بنسلفانيا أعظم مصانع البلاد .

وأخذت أعمال كارنيجي التجارية تنمو وتزدهر سنة بعد أخرى ، فلم يكتف بسيطرته على المصانع الحديدية بل أخذ يسط نفوذه أيضاً على مصادر الفحم الخشبي والحجري والحديد الخام الذي يستخرج من بحيرة سوويرير . واقتنى أسطولاً من السفن التجارية يبحر البحيرات العظمى ، وشيد ميناء على بحيرة إيري ، ومد السكك الحديدية

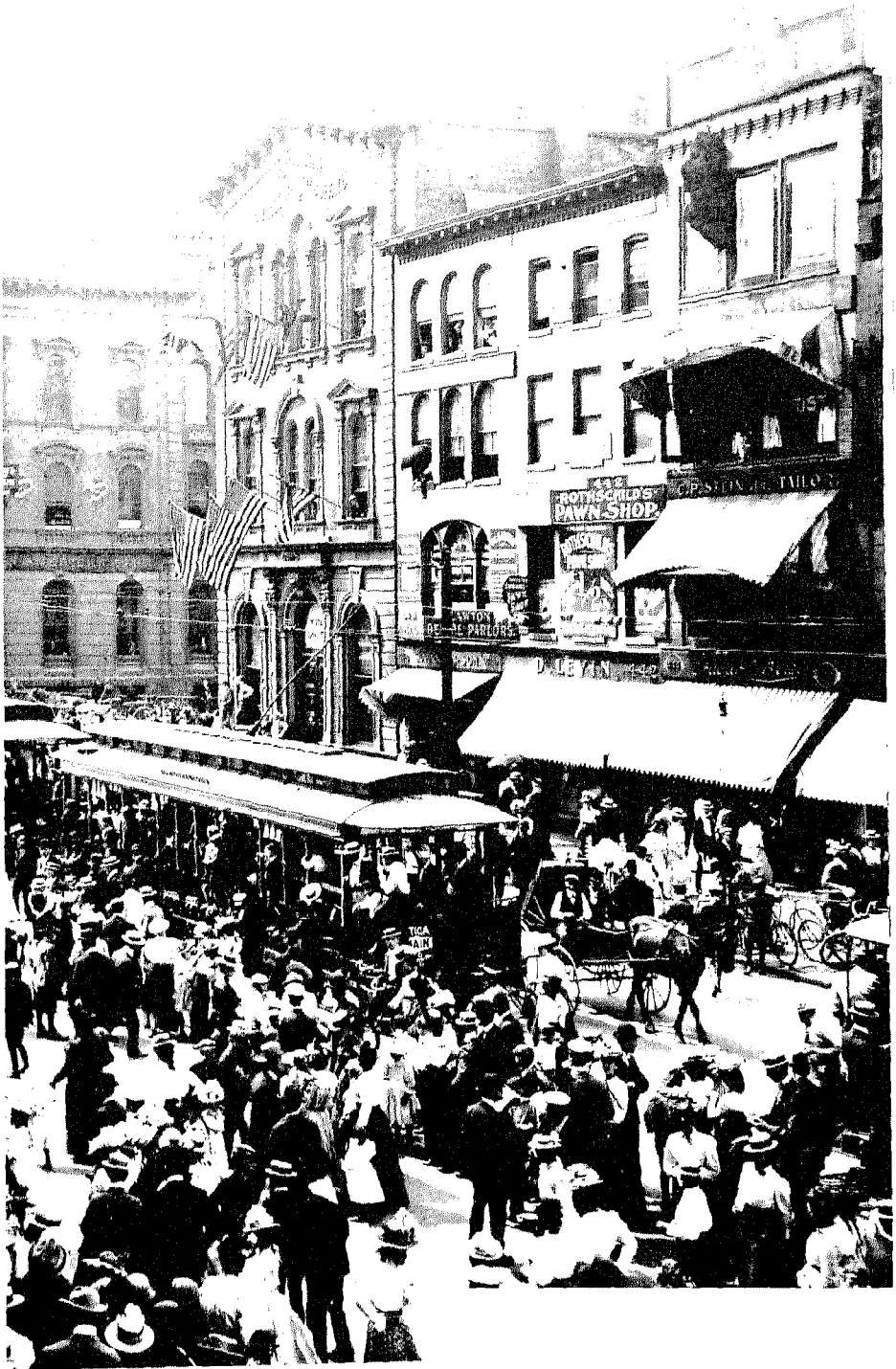


عرض قوات الاتحاد في شارع بنسلفانيا ، بالعاصمة ، جاء إيذاناً بنهاية الحرب الأهلية .
في منتصف القرن التاسع عشر ، بدأت الكاميرا تسجل التاريخ ، وتلقط بعدستها
ما قد يكتب عنه الآخرون بعدما أخذت الأمة تتوغل غرباً بأعداد متزايدة لبناء
المدن الممتدة ، وزراعة السهول ، واستخراج المعادن من التلال ، وإنشاء الصناعات .



التقاء خطي السكك الحديدية في نقطة
« برومونتوري بوينت » (الى أسفل اليسار) في
سنة ١٨٦٩ أمن الاتصال بين الساحل الشرقي والساحل
الغربي . ولا يقل عن ذلك أهمية
أن هذا الالتقاء حقق للمستوطنين ، أمثال أولئك
الذين تراءهم في العربات والذين رحلوا من
كانزاس في سنة ١٨٧٢ ، خط اتصال مع المدن .
وسرعان ما أخذت مزارع الغرب المزدهرة
تحتاج الى معدات ضخمة ، كالتي تظهر
في الصورة فوق . تحصد المحاصيل وتدرسها .

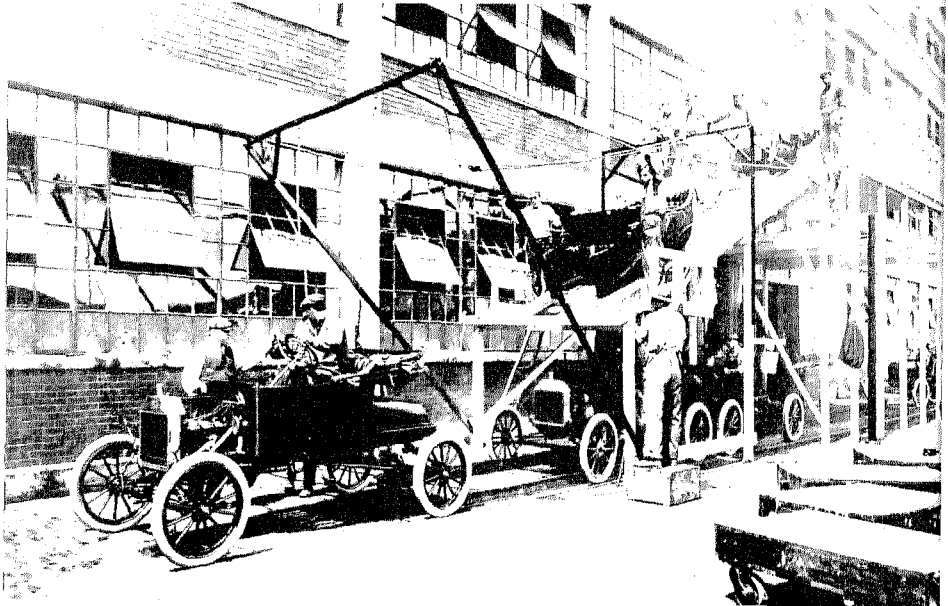




حشود المتزهين في أيام الأعياد سنة ١٩٠٦ دليل قديم على انتقال الناس من القرى الى المدن .

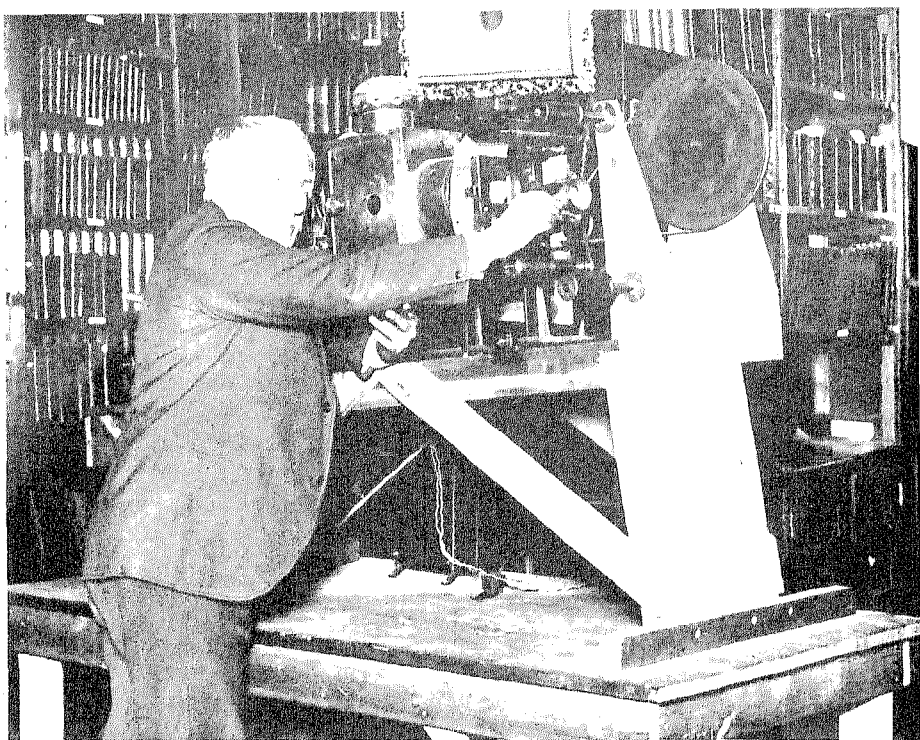


عرفت أمريكا سيارة هنري فورد في سنة ١٩٠٨ . لم تكن لعبة ، انما غدت بمثابة خادام الإنسان . وفي سنة ١٩١٣ أنشأ فورد خطوط التجميع المتحركة (فوق وتحت) لكي ينتج في ٩٣ دقيقة فقط ما كان يتطلب ١٤ ساعة . ومن حسنات الانتاج بالجلسة ومزاياه أنه يقلل من التكاليف و يبيع بذلك الأسعار ويزيادة البيع .

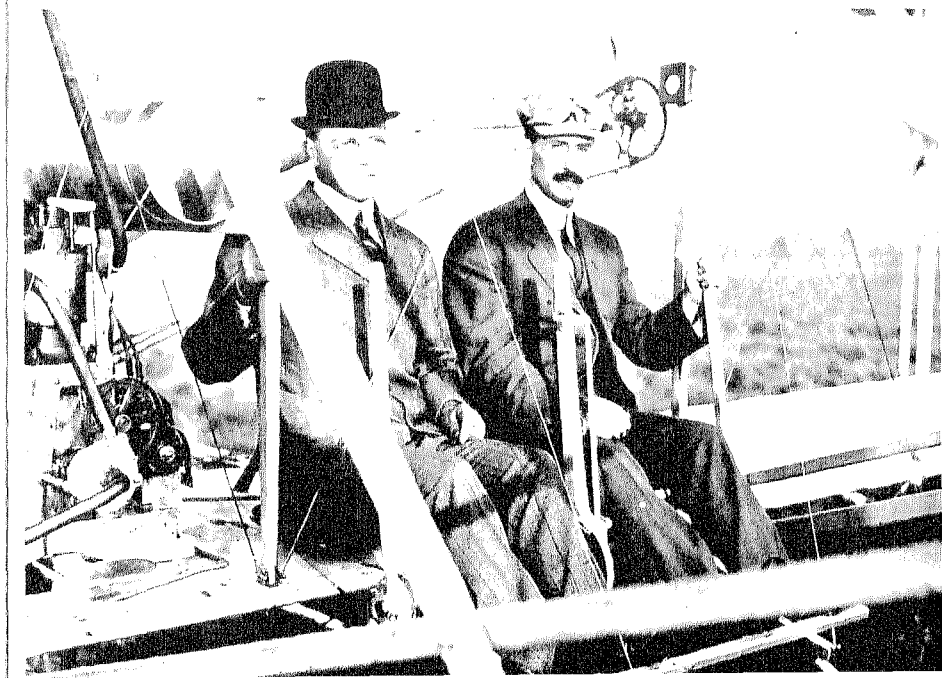




لعله ما من اختراع تأثر
به كثيرون مثل التليفون . لقد
ابتكره بيسل في ١٨٧٦
وفي ١٩٠٠ بلغ عدد مستعمليه
مليون شخص .



في فترة الانتقال من القرن التاسع عشر الى القرن العشرين ، نشئت في أمريكا حصى الاختراع . في تسعينات القرن الماضي ابتكر توماس اديسون كاميرا الصور المتحركة وجهازاً العرضها (فوق) ؛ وبنجاح الأخوين رايت في الطيران لأول مرة ، ولمدة ٥٩ ثانية في سنة ١٩٠٣ ، وبدأ في العالم الحديد عصر جديد للسفر والتجريب .





في ١٩٠٧ . تادق على نيويورك سيل من
المهاجرين بلغ عددهم ١.٣ مليون شخص .
جاء كثيرون منهم سعيًا وراء مزارع أفضل .
وآخرون - ربما مثل تلك العائلة - من أجل
العسل في المراكز الصناعية بالساحل الشرقي .



لتربط أحزاء ممتلكاته . وقد ارتبط في عمله هذا باثني عشر عملاً آخر . وكان يحصل على شروط مناسبة من شركات سكك الحديد وخطوط الملاحة . وساعده رأس ماله الوفير على التوسع في العمل وتشغيل عدد كبير من العمال . والواقع أن أمريكا لم تشهد من قبل مثيلاً لهذا التوسع الصناعي الكبير

ورغم أن كارنيجي سيطر على صناعة الصلب ربما طويلاً إلا أنه لم يوفق تماماً في احتكار المصادر الطبيعية . ووسائل النقل ، والخطط الصناعية المتصلة بصناعة الصلب وقبيل انقضاء القرن التاسع عشر تأسست بعض الشركات الحديدية المنافسة ، فضايق كارنيجي بهذه المنافسة ذرعاً ، وهدد بتأسيس صناعات أصخم . ولكن نظراً لإجهاده وكبر سنه تراجع وقبل الاقتراحات التي عرضت عليه بإدماج ممتلكاته في المؤسسة الحديدية التي استولت على معظم صناعات الصلب والحديد ومشآئها في الولايات المتحدة .

وبفضل شركة الصلب الأمريكية التي تمحص عنها هذا الاندماج في سنة ١٩٠١ نشأ تطور في ميدان الصناعة كان قد بدأ نموه منذ ثلاثين عاماً ، وهو انضمام الشركات الصناعية المستقلة بعضها الى بعض وتكوين شركات اتحادية أو مركزية . وقد بدأ هذا التطور أيام الحرب الأهلية وبلغ غاية قوته بعد العقد السابع . إذ ثبت لرجال الأعمال أنهم إذا استطاعوا أن يدبجوا البيوت التجارية المنافسة في شركة واحدة ، أمكنهم الإشراف على الإنتاج والأسواق . وقد قامت الشركات الكبرى وشركات الاحتكار لتحقيق هذه الغاية .

وهذه الشركات ، القادرة على استخدام رأس مال ضخم وعلى اعطاء المشروعات التجارية صفة الاستمرار مع دوام الرقابة والأشراف ، اجتذبت المستثمرين بالأرباح الكبيرة المتوقعة وبالخسارة المحدودة التي قد تلحق بهم في حال فشل المشروع . أما شركات الاحتكار ، التي كانت في الواقع مزيجاً من الشركات الكبرى التي يودع المساهمون فيها أسهمهم في أيدي الأوصياء الذين يديرون أعمال تلك الشركات جميعها ، فقد يسرت الاندماج على نطاق واسع كما سهلت الإدارة والرقابة المركزية والمشاركة في امتيازات الاستثمار . وبفضل مصادرها المالية ورأسامها ، كانت أقدر على التوسع ومنافسة الشركات الأجنبية ومساومة العمال الذين كانوا قد بدأوا ينظمون صفوفهم بصورة فعلية . وكذلك كانت قادرة على أن تفرض الشروط التي تنفق ومصالحتها على السكك الحديدية وأن تتمتع بفوز كبير في الماحية السياسية .

وقد تأسست بعد شركة ستاندارد أويل - وهي إحدى أقوى الشركات الكبرى الأوائل - شركات احتكار أخرى تتعامل في زيت بذرة القطن ، والرصاص ، والسكر ، والتبغ ، والمطاط . وأخذ بعض رجال الأعمال الأقوياء يرسون لأنفسهم مناطق نفوذ صناعية . تم أسس أربعة من أشهر أصحاب مصانع اللحوم شركة تتجر في لحوم العجول ، وكان من بينهم فيليب أرمر وجوستافوس سويفت . وأحرز ماكورميك تفوقاً كبيراً في صناعة آلات الحصاد . وقد أظهرت الإحصاءات التي أجريت في سنة ١٩٠٤ ، أن

أكثر من خمسة آلاف شركة مستقلة قد اندمجت في نحو ثلاثمائة من شركات الإحتكار الصناعية .

وهذا الاتجاه نحو الدمج بدا واضحاً في ميادين أخرى كالنقل والمواصلات خاصة . وتبع شركة وسترن يونيون للتلغراف - وهي من أقدم المصنوعات الكبيرة - شركة تليفون بل ، ثم تأسست بعد ذلك شركة التلغرافات والأمريكية . ولقد رأى كورنيليوس فاندربيلت أن حسن إدارة السكك الحديدية يستدعي توحيد خطوطها فقام في العقد السابع من القرن السابع عشر بربط ثلاثة عشر خطاً حديدياً منفرداً في خط حديدي واحد يصل بين نيويورك ومدينة فلو التي تبعد عنها بنحو ٣٨٠ كيلومتراً . وفي خلال السنوات العشر التالية أصبح يمتلك خطوطاً جديدة تصل إلى شيكاغو وديترويت ، وبذلك ظهرت سكك حديد نيويورك سنترال الى حيز الوجود وفي نفس الوقت كان يجري الاعداد لخطوط اخرى . وسرعان ما نظمت الخطوط الحديدية في أمريكا حتى أصبحت خطوطاً رئيسية يديرها نفر قليل من الرجال .

تكاثر المدن والمشاكل

بهذا النظام الصناعي الحديد أصبحت المدينة هي عصب البلاد . وتركزت داخل المدن جميع القوى الاقتصادية الهائلة مثل تجمع رؤوس الأموال الضخمة ، والمؤسسات التجارية والمالية ، وأفنية السكك الحديدية المنتشرة ، والمصانع ، وجيوش من الأفراد الذين يقومون بالأعمال اليدوية والكتابية . وبين عشية وضحاها نمت القرى فتحوّلت إلى بلدان ، والبلدان إلى مدن نتيجة لتجمع السكان من الريف ومن البلاد الأخرى فيما وراء البحار . وكانت نسبة من يعيشون في جماعات يبلغ تعدادها ٨,٠٠٠ أو أكثر هي ١ إلى ١٥ في سنة ١٨٣٠ ، تم ١ إلى ٦ تقريباً في سنة ١٨٦٠ . وفي سنة ١٨٩٠ ارتفعت هذه النسبة الى ٣ / ١٠ . وحتى عام ١٨٦٠ لم يكن عدد سكان أية مدينة يزيد على مليون نسمة ، ولكن بعد ثلاثين سنة بلغ عدد سكان مدينة نيويورك مليوناً ونصف ، وزاد عدد سكان كل من شيكاغو وفيلادلفيا عن المليون . وفي خلال هذه السنوات الثلاثين تضاعف عدد سكان فيلادلفيا وبلتيمور ، وبلغ أربعة أمثاله في مدينتي ديترويت وكانساس ، وستة أمثاله في كليفلاند ، وعشرة أمثاله في شيكاغو . وزاد التعداد خمسين مرة أو أكثر في بعض المدن التي كانت مجرد قرى صغيرة عند قيام الحرب الأهلية ، مثل مينابوليس وأوماها وغيرها .

وادرك جروفر كليفلاند ، الديمقراطي الذي انتخب لمنصب رئاسة الجمهورية في سنة ١٨٨٤ ، حقيقة القوى التي كانت تعمل على تغيير أحوال البلاد ، فبذل بعض الجهد لضبطها والسيطرة عليها . ففي مسألة الطرق الحديدية مثلاً ، احتاج الأمر الى إعادة تنظيمها نظراً لما ظهر فيها من عيوب ومساوئ ، نخص بالذكر منها التفرقة بين كبار تجار الشحن وصغارهم بتخفيض أجور كبارهم . هذا بالإضافة الى أن بعض شركات السكك

وفي خلال هذه الفترة اتجه اهتمام الرأي العام نحو شركات الاحتكار بحطى مطردة ، ولم تصح الشركات الضخمة التي تعرضت حتى العقد الثامن لهجمات المصلحين القاسية من أمثال هري جورج وإدوارد بلامي ، هدفاً للسخط فحسب بل أصبحت قضية سياسية أيضاً . وفي سنة ١٨٩٠ صدر « قانون شيرمان » لمناهضة شركات الاحتكار وكان يهدف الى تحطيم الاحتكار قبل أي شيء . فحرم كل اتحاد للشركات التي تحول دون تبادل التجارة بين الولايات ، ونص على كثير من وسائل التنفيذ بالإضافة إلى العقوبات الشديدة . ولكن القانون لم يؤد الى نتيجة كبيرة فور صدوره ، ذلك لأنه صيغ في لغة عامة غير محددة . غير أنه لما تولى تيودور روزفلت الرئاسة بعد ذلك بعشر سنوات ، نفذ القانون تنفيذاً فعالاً حتى أطلق على روزفلت اسم « محطم الاحتكار » .

ورغم هذه الاتجاهات الواضحة ، كانت الصورة السياسية العامة في تلك الحقبة صورة سلبية . وقد كتب أحد المؤرخين المبرزين يقول : « لم يكن هناك من التشريعات الاتحادية التي سنت بين عامي ١٨٦٥ و ١٨٩٧ ما أثار اهتمام أولئك المواطنين سوى القوى السياسية التي تؤدي الى تعديل جوهر في العلاقات الانسانية » . فلقد تركزت حيوية الشعب الأمريكي خلال هذه السنين في نقطة أخرى . وربما وضع انعكاس هذه الصورة جلياً في تاريخ الولايات الغربية . ففي سنة ١٨٦٥ امتدت الحدود على وجه العموم على طول الحدود الغربية للولايات المحاذية لنهر المسيسيبي وتقدمت بحيث أصبحت تشمل الأجزاء الشرقية من ولايتي كانساس ونبراسكا . وكانت وراء هذه المزارع الأولى الضيقة أراض واسعة غير مستعمرة ثم البراري غير المحدودة التي امتدت إلى السهول الفسيحة الأرجاء التي تصل إلى سفوح جبال روكي . وعلى امتداد ١٦٠٠ كيلومتر تقريباً تقوم سلاسل الجبال الضخمة الغنية في معظمها بالفضة والذهب وغيرهما من المعادن . وبمحاذاة المحيط الهادي انبسطت إذ ذاك مساحات جديدة من السهول والصحارى الممتدة إلى الغابات الساحلية وإلى المحيط . وبالإضافة إلى المقاطعات الآهلة بالسكان في كاليفورنيا والمراكز المبعثرة كانت المنطقة الداخلية الشاسعة الأرجاء آهلة بالهنود فقط .

توفر الفروص في الغرب

وبعد مضي ربع قرن أصبح معظم هذه الجهات منقسماً إلى ولايات ومقاطعات . وقد شجع حركة الاستعمار « قانون الإستهيطان » الذي صدر في سنة ١٨٦٢ ، إذ منح دون مقابل ضياعاً تبلغ مساحة الواحدة منها ١٦٠ فداناً للمواطنين الذين يقيمون في الأرض ويصلحونها . ولم تأت سنة ١٨٨٠ حتى تم توزيع حوالي ٥٦,٠٠٠,٠٠٠ فدان بين الأفراد بموجب هذا القانون . وانتهت الحروب التي دارت رحاها مع الهنود ، وانتشر المعدنون في المنطقة الجبلية من البلاد وأخذوا ينقبون في الأرض ويقيمون كجماعات صغيرة في ولايات نيفادا ، ومونتانا ، وكولورادو . وقد ادعى مربو الماشية

الذين استغلوا المراعي الواسعة ملكية المنطقة الواسعة التي تمتد من ولاية تكساس إلى مابع نهر الميسوري . وكذلك شق الرعاة طريقهم إلى الأودية ومنحدرات الجبال ، تم اندفع المزارعون زرافات متعاقبة إلى السهول والأودية وسدوا الثغرة بين الشرق والغرب ، حتى إذا حلت سنة ١٨٩٠ كانت الحدود قد اختفت ، واشتغل خمسة أو ستة ملايين من الرجال والنساء حينذاك بزراعة الأراضي التي كانت ، قبل عقدين فقط ، ترعى فيها قطعان الجاموس .

وقد ساعدت الطرق الحديدية على سرعة استعمار هذه البلاد . وفي سنة ١٨٦٢ وافق الكونجرس على إصدار قانون يمنح « شركة يونيون باسفيك » للسكك الحديدية امتيازاً مدت بموجبه خطاً نحو الغرب من مدينة كاونسل بلفس ، بولاية ايوا . وفي الوقت نفسه أخذت شركة سنترال باسفيك تمد الخطوط الحديدية شرقاً من ساكرامنتو ، في ولاية كاليفورنيا . ولقد اهتزت البلاد لاقترب هذين الحطيين الحديدين شيئاً فشيئاً ثم اتصلاهما في آخر الأمر في نقطة برمون تري ، في ولاية يوتا ، في ١٠ مايو سنة ١٨٦٩ . فأصبحت المرحلة الشاقة التي كان المسافر يقطعها في شهر بين المحيط الأطلسي والمحيط الهادي لا تستغرق إلا وقتاً يسيراً . ولقد نمت شبكة الخطوط الحديدية عبر القارة نمواً مطرداً . فما حلت سنة ١٨٨٤ حتى كانت أربعة خطوط حديدية عظيمة قد ربطت منطقتي أواسط وادي المسيسيبي بالمحيط الهادي .

واجتذبت المناطق الجبلية أول مجموعة عظيمة من السكان اندفعت نحو أقصى الغرب . إذ اكتشف الذهب في كاليفورنيا سنة ١٨٤٨ ، وفي كولورادو ونيفاذا بعد ذلك بعشرين ، وفي مونتانا وويومنج في العقد السابع ، وفي التلال السوداء بداكوتا في العقد الثامن . وفي جميع أرجاء هذه المساحات استكشف المعدنون البلاد ، وأقاموا المجتمعات ، وأسسوا المستعمرات الدائمة ، وبينما كان القوم يقبون في التلال أدرك بعضهم أن الزراعة ميسورة وتربية الماشية ممكنة في تلك المنطقة . وقد استمرت جماعات قليلة تشتغل بالتعدين وتكاد تنقطع له ، ولكن ظهر في النهاية أن ثروة مونتانا وكولورادو وويومنج وإيداهو - كما كانت الحال في كاليفورنيا - تتركز في الزراعة والرعي .

وأصبحت تربية الماشية التي كانت منذ عهد طويل صناعة هامة في ولاية تكساس ، أكثر ازدهاراً بعد الحرب ، عندما أخذ المغامرون يدفعون مواشيهم ذات القرون الطويلة عبر الأراضي الحكومية حتى إذا ما وصلت محطات السكك الحديدية في كانساس حيث تعد للتصدير ، كانت أكبر وأسلم مما كانت عليه قبل الرحلة ذلك لأنها كانت ترعى أينما سارت . وسرعان ما أصبحت هذه الرحلة الطويلة شيئاً عادياً ، حتى أن المرء يرى مئات الكيلومترات من الطرق وقد قطعها الماشية في سفرها صوب الشمال . وانتشرت تربية الماشية انتشاراً سريعاً عبر منطقة ميسوري ، كما انتشرت المراعي الفسيحة في كولورادو ، وويومنج ، وكانساس ، ونبراسكا ، وفي منطقة داكوتا ، وازدهرت المدن الغربية باعتبارها مراكز لذبح الحيوانات وإعداد اللحوم .

ولقد أضافت تربية الماشية على البلاد لوناً جديداً من الحياة تميز فيه راعي البقر المشهور . ويقول تيودور روزفلت رئيس الولايات المتحدة الخامس والعشرون ، من ذكرياته الشخصية في داكوتا : « لقد عشنا عيشة حرة جافة بجيولنا وبنادقنا ، وعملنا تحت أشعة الشمس في منتصف فصل الصيف ، حين كانت السهول الفسيحة تتألق وتموج في حرارة القبط ، وعرفنا ألم البرد وقسوته حين كنا نمتطي جيادنا ونسجول حول الماشية بالليل في أواخر الخريف . ولكنا شعرنا بحرارة الحياة تسري في دمائنا ، وكانت حياتنا تتمثل في جلال العمل وبهجة العيش » .

وقد بلغ عدد الماشية التي نقلت من تكساس لقضاء الشتاء في أعالي سهول كولورادو وويومنج ومونتانا ، بين سنتي ١٨٦٦ و ١٨٨٨ ، ستة ملايين رأس ، وبلغت تربية الماشية ذروة ازدهارها حوالي سنة ١٨٨٥ . وكانت المنطقة ، قد أنهكها الرعي حتى لم تعد تصلح « للرحلة الطويلة » ، وكانت قد بدأت السكك الحديدية تشققها . وعلى مقربة من الرعاة علا صوت عربات المزارعين تحمل نساءهم وأطفالهم ، وأصوات خيول الجر ، والأبقار والخنازير . وبمقتضى قانون الإسيطان حدد المزارعون الأراضي التي ادعوا ملكيتها ، وأحاطوها بالأسلاك الشائكة ، وأقصوا الرعاة عن الأراضي التي استولوا عليها دون أن يكون لهم حق فيها . وسرعان ما فقد « الغرب الموحش » ملامحه الرومانتيكية .

العلم والآلة في خدمة المزارع

ورغم الخطوات الضخمة التي حطتها الصناعة ، فقد ظلت الزراعة المهنة الأساسية التي احترفها السواد الأعظم من السكان في انحاء البلاد . وكما هي الحال بالنسبة الى الصناعة التي نمت وترعرعت في السنين التي تلت الحرب ، كانت الزراعة كذلك تمر في طور انقلاب فانتقلت من زراعة تعتمد على العمل اليدوي ، الى زراعة ميكانيكية ، ومن زراعة تهدف الى سد حاجات البلاد ، الى زراعة تجارية . وبين سنتي ١٨٦٠ و ١٩١٠ زاد عدد المزارع في الولايات المتحدة الى ثلاثة امثال ما كان عليه ، بحيث ارتفع من مليونين الى ٦ ملايين . وارتبت المساحة المرووعة على ضعف ما كانت عليه فزادت من ٤٠٠ مليون فدان الى ٨٨٠ مليون فدان .

وحلال الفترة بين سنتي ١٨٦٠ و ١٨٩٠ فاق انتاج بعض المحاصيل الأساسية مثل القمح ، والذرة ، والقطن ، كل الأرقام السابقة في الولايات المتحدة . وفي نفس هذه الفترة زاد عدد سكان البلاد عن الضعفين وكانت معظم الزيادة في المدن . غير ان المزارع الأمريكي زرع كميات كافية من الحبوب والقطن ، وقام بتربية اعداد كافية من الأبقار والخنازير ، وانتج ما يكفي من الصوف لا لسد حاجة العمال الأمريكيين وعائلاتهم فحسب بل وكذلك لتكوين فائض متزايد ابداً .

وتمة عوامل عديدة قد أدت الى هذا العمل العظيم . أحد هذه العوامل هو التوسع نحو الغرب ، وعامل آخر هو استخدام الآلات في العمليات الزراعية . فالزارع الذي

كان في سنة ١٨٠٠ يستعمل منجل الحصاد اليدوي لم يكن يتوقع ان يحصد اكثر من نصف فدان من القمح في اليوم . وباستخدامه ، بعد ٣٠ سنة ، آلة الحصاد تمكن من ان يحصد فدانين في اليوم الواحد . وفي سنة ١٨٤٠ حقق سايرس ماك كورميك معجزة ، هي حصد خمسة فدادين أوسنة في اليوم الواحد باستخدام الآلة العجيبة التي استغرق صنعها عشر سنوات . وقد هداه بعد نظره إلى أن يتجه صوب الغرب إلى شيكاغو الناشئة في البراري حيث أنشأ داراً لصناعة آلات الحصاد الميكانيكية ، حتى إذا كانت سنة ١٨٦٠ بلغ عدد آلات الحصاد التي باعها ربع مليون آلة .

وسرعان ما تولى اختراع الآلات الزراعية الأخرى ، مثل المحصدة الآلية والدراسة وأخرى للحصاد والتذرية . وظهرت كذلك آلات لزراعة الذرة ، وأخرى لقطعها وتقشيرها ، وآلة فرز القشدة ، وآلة نثر السماد ، وآلة زراعة البطاطس ، وآلة تجفيف الحشائش ، وجهاز التمرغ ومئات أخرى من الاختراعات .

ولم تكن النهضة العلمية بأقل أهمية من الآلات في الثورة الزراعية . وبمقتضى قانون موريل الذي صدر في سنة ١٨٦٢ ، خصص الكونجرس من أراضي الدولة مساحة لكل ولاية لتقيم عليها الكليات الزراعية والصناعية . وكانت هذه المعاهد بمثابة مؤسسات تعليمية ومراكز للأبحاث في فنون الزراعة العلمية ، ثم اعتمد الكونجرس بعد ذلك الأموال اللازمة لإنشاء محطات للتجارب الزراعية في جميع أرجاء البلاد ، كما منح وزارة الزراعة ما يلزم من الأموال للأبحاث . فاشتغل العلماء في مستهل القرن الجديد في العديد من المشروعات الزراعية في أنحاء البلاد .

أحد هؤلاء العلماء ، وهو مارك كارلتون ، أوفدته وزارة الزراعة إلى روسيا ، وهناك وجد نوعاً من القمح الشتوي الذي يقاوم العفن والجفاف فاستورده ، وشكل محصول هذا القمح أكثر من نصف مجموع إنتاج القمح في الولايات المتحدة . وتمتد عالم آخر هو ماريون دورست الذي تغلب على كوليرا الخنازير المخيفة ، وتغلب جورج مولر على الحمى القلاعية المخية . وحمل أحد هؤلاء الباحثين بعض أنواع الذرة الوافرة المحصول « كفير » من شمال أفريقيا إلى أمريكا . واستورد باحث آخر من تركستان نبات البرسيم الحجازي ذا الزهرة وأنتج لوثر بيرنانك ، في كاليفورنيا ، عينات من أنواع الفاكهة والخضروات الجديدة . وفي ولاية ويسكونسن اخترع ستيفن بابكوك آلة لاختبار الدسم وتقدير نسبته في اللبن . وفي معهد تسكيحي في ألباما ، اكتشف العالم الزنجي العظيم جورج وشنط كارر مئات من المنافع الجديدة للقول السوداني ، والبطاطس الحلوة ، وفول الصويا .

فترات عصيبة تواجه المزارع

وعلى الرغم من هذا التقدم الرائع تعرض المزارع الأمريكي لفترات عصيبة خلال القرن التاسع عشر وقد اشتركت في ذلك عدة عوامل جوهرية ، كاستنفاد خصوبة

التربة ، وتقلبات الطبيعة ، والاسراف في إنتاج المحاصيل الزراعية الرئيسية ، وهبوط مستوى الاكتفاء الذاتي ، ونقص التشريعات الملزمة التي تهدف الى حماية المزارعين ومساعدتهم . فقد انهكت التربة في الجنوب مدة طويلة نتيجة لزراعة التبغ والقطن بصفة دائمة مستمرة ، أما في الغرب وفي السهول فقد اجتاحت الأراضي الزوايع ، وأتلفها جرف المياه للتربة ، والآفات التي سببها انتشار الحشرات .

ولم تكن سرعة استخدام الآلات الزراعية على نطاق واسع غربي المسيحي خيراً كلها ، إذ شجعت كثيرين من كبار المزارعين على زيادة رقعة الأراضي التي يملكونها سلا روية ، كما شجعتهم على تركيز اهتمامهم في المحاصيل الأساسية ، وأتاحت لهم تفوقاً ملحوظاً على صغار المزارعين ، وكانت عاملاً في تطور استئجار الأراضي وفلاحة الأرض على نطاق واسع . وكان لا بد من أن تبقى هذه المشكلات قائمة لعدة سنوات حتى أصبحت الأساليب الحديثة في المحافظة على خصوبة التربة أمراً معترفاً به ومقبولاً .

وكانت مشكلة الأسعار أشد تعقيداً من هذا كله ، ومع ذلك فقد كانت أكثر منها قابلة للحل ، وأسرع استجابة لتدابير العلاج . فبينما كان الفلاح يبيع حاصلاته في السوق العالمية حيث المنافسة على أشدها كان يشتري حاجاته ومؤنه وادواته من السوق المحلية التي فرضت الضرائب لحمايتها من المنافسة . فكان الثمن الذي يحصل عليه لقاء ما يصدره من قمح وقطن ولحوم يخضع للمنافسة في الأسواق العالمية . بينما كان الثمن الذي يجب عليه أن يدفعه ليحصل على الآلات والأسمدة ، والأسلاك الشائكة تحت رحمة شركات الاحتكار التي كانت محمية بالتعريفات الجمركية . وبين سنة ١٨٧٠ وسنة ١٨٩٠ أخذت أسعار معظم المتوجات الزراعية تهبط بدون انتظام ، ولم تزد قيمة المحاصيل الزراعية الأمريكية إلا ٥٠٠ مليون دولار في الوقت الذي زادت فيه قيمة السلع المصنوعة بمقدار ستة بلايين دولار .

وقد كان فقدان التوازن الاقتصادي سبباً في تكوين المنظمات الزراعية لبحث الأسباب العامة للشكوى واقتراح وسائل العلاج . وقد شكلت معظم هذه المنظمات على غرار منظمة جرينج التي تأسست في سنة ١٨٦٧ . وفي خلال سنوات قلائل كانت هناك منظمات في كل ولاية تقريباً ، يزيد عدد الأعضاء المشتركين فيها على ٧٥٠ ألف نسمة . وقد بدأت هذه الجماعات غالباً كمؤسسات اجتماعية ترمي الى تخفيف عزلة الفلاح ، بيد أنه لم يكن هناك مفر من اتجاه الأعضاء الى المناقشات في شؤون عملهم وفي السياسة . وسرعان ما انشأت هذه المنظمات مؤسسات تعاوية لخدمة الأسواق ومخازن تعاونية بل ومصانع أيضاً . وفي بعض الولايات الوسطى الغربية أنجب منهم أعضاء للمجالس التشريعية .

على أن الحركة بعثت من حديد في صورة اتحادات للمزارعين كانت تصم بحلول عام ١٨٩٠ نحو مليوني عضو . وبالإضافة الى البرنامج التعليمي الضخم تقدمت هذه الجماعات بطلبات ترمي الى سن قوانين للإصلاح السياسي . تم لم تلبت هذه الاتحادات

أن تطورت الى جماعة يدين أعضاؤها بمبادئ سياسية . وعارضت هذه الجماعة - التي عرفت باسم الحزب الشعبي - الحزبين الديمقراطي والجمهوري معارضة عنيفة .

الحماس للحزب الشعبي

ولم يعرف تاريخ السياسة الأمريكية شيئاً يشبه هذا الحماس للحزب الشعبي الذي اجتاحت الراري ومناطق القطن . فكان الفلاحون يحتشدون زوجاتهم وأولادهم في مركباتهم الصغيرة بعد فراغهم من عملهم اليومي الشاق إلى مكان الاجتماع حيث يقابلون خطب زعمائهم العاطفية الحارة بالاستحسان . وقد أسفرت انتخابات سنة ١٨٩٠ عن تولي هذا الحزب الجديد زمام السلطة في اثني عشرة ولاية من الولايات الجنوبية والغربية ، وأرسلت عشرين شيخاً ونائباً الى الكونجرس . ووضع الشعبون السدين شجعهم هذا النجاح برنامجاً تقدماً ، وطالبوا بتحقيق إصلاحات عامة تشمل ضريبة الدخل ، ونظماً وطنياً للسلفيات الزراعية ، وتأمين السكك الحديدية ، وتحديد ساعات العمل بـثاني ساعات يومياً ، وزيادة النقد وذلك بسك نقود فضية بدون تحديد .

وقد ظهرت قوة الحزب الشعبي واضحة جلية في الغرب والجنوب ، في انتخابات سنة ١٨٩٢ ، ولكن بالرغم من ان مرشح الحزب للرئاسة قد نال أكثر من مليون صوت ، كان المرشح الديمقراطي ، جروفر كليفلاند ، هو الذي انتخب . وبعد ذلك بأربع سنوات اتحد أعضاء الحزب الشعبي الناشئ ، مع الحزب الديمقراطي في كل مكان تقريباً . وتوصلوا الى التأثير على زعماء الديمقراطيين الجدد لانتخاب من مشكلة العملة قضية سياسية رئيسية .

كانت الولايات المتحدة الأمريكية تسير ، منذ تأسست ، وفق نظام نقدي معدني مزدوج فكانت الحكومة مقيدة بسك جميع كميات الذهب أو الفضة التي يمكن أن ترد إلى دارسك النقود إلى دولارات . وقد أعاد الكونجرس تنظيم العملة في سنة ١٨٧٣ وألغى فيما ألغى الدولار الفضي من قائمة النقود الرسمية للدولة ولم يسترع هذا القانون كثيراً من الانتباه في ذلك الوقت نظراً لندرة معدن الفضة . ولم تكن هناك في الواقع دولارات فضية متداولة لمدة أربعين سنة ، ولكن الأمر تغير فجأة بكشف مناجم الفضة بالذات في المناطق الجبلية في الولايات الغربية وفي الوقت نفسه بطل في كثير من البلاد الأوروبية التعامل بالفضة وأصبحت المقادير الضخمة من الفضة في متناول الأيدي .

واذ كانت البلاد تقاسي من الركود الاقتصادي بادر اصحاب الأراضي في الغرب والجنوب الى المطالبة بالعودة إلى سك العملة الفضية دون تحديد ، وعاونتهم في هذا الطلب جماعات العمال في المراكز الصناعية الشرقية ، ذلك لأنهم جميعاً يعتقدون أن متاعبهم نتيجة لقلّة العملة المتداولة ، كذلك اعتقد هؤلاء أن زيادة كمية النقود المتداولة تؤدي بطريق غير مباشر الى ارتفاع أسعار المحاصيل الزراعية ورفع مستوى الأجور في

الصناعة ، كما زعموا أن ذلك الإجراء سوف يساعد على الوفاء بالديون . بينما اقتنع المحافظون من ناحية أخرى بأن مثل هذه السياسة تسبب كارثة مالية ، إذ لو حدث ارتباك مالي فلن يمكن وقفه ويتهي الأمر بالحكومة حينئذ إلى الإفلاس . وأكدوا أن الذهب وحده هو الذي يؤدي الى ثبات الأسعار .

وقد وجد أنصار العملة الفضية - من الديمقراطيين والحزب الشعبي القديم - قائداً لهم في شخص وليم جينسجز بريان ، من براسكا ، فرشحوه للرئاسة في انتخابات سنة ١٨٩٦ غير أن حربه كان منقسماً على نفسه في الوقت الذي كان فيه خصومه أقوىاء ، ففاز وليام ماكنلي بالرئاسة وتغوق عليه نصف مليون صوت . ومع ذلك فقد أصبحت حملة بريان الانتخابية قصة عجيبة يتناقلها الناس . وإذا نحن استثنينا سياسته المالية ، وجدنا أن أغلب آراء الشعبين والديموقراطيين الزراعيين قد أصبحت بعد ذلك تتريعباً . وكذلك دلت هذه الحملة الانتخابية بالدليل القاطع على التماسك الذي وصل إليه الاتحاد بين الولايات منذ الحرب الأهلية . ومع ان مظالم المزارعين لم تكن في جوهرها أقل أهمية من مظالم أصحاب العبيد ، فلم يتر أحد شيئاً عن مسألة الالغاء أو الانفصال .

اسبانيا تخسر الحرب والمستعمرات

وقد تحلت الوحدة القومية بصورة أكثر وضوحاً في أثناء الحرب مع اسبانيا في عام ١٨٩٨ . اذ استمرت اسبانيا تحكم جزيرة كوبا - الواقعة الى جنوب شبه جزيرة فلوريدا - التي ازدهرت تجارتها اذ ذاك مع الولايات المتحدة . وفي سنة ١٨٩٥ انفجر غضب أهل كوبا في حرب لنيل الاستقلال .

وراقبت الولايات المتحدة مجرى الثورة في اهتمام بالغ ، إذ كان معظم الأمريكيين يعطفون على الكوبيين في حركتهم الاستقلالية . ولكن الرئيس كليفلاند كان قد عقد العزم على البقاء على الحياد . على أنه بعد ثلاثة أعوام في عهد رئاسة ماكنلي حطمت السفينة الحربية « مين » التابعة للولايات المتحدة بينما كانت راسية في ميناء هافانا ، وقتل ٢٦٠ رجلاً من بحارتها ، فأدى ذلك الى اشتداد الحماس القومي وانفجاره . وقد حاول ماكنلي الاحتفاظ بالسلام الى حين ولكنه رأى بعد بضعة أشهر أنه لا جدوى من المماطلة والتأخير فأوصى بالتدخل المسلح

وكانت الحرب مع اسبانيا سريعة وحاسمة ، وخلال الأربعة أشهر التي استغرقتها لم تهزم أمريكا هزيمة واحدة تذكر . فبعد اعلان الحرب بأسبوع قدم الكومودور جورج ديوي ، الذي كان حينئذ في هونج كونج ، الى الفلبين على رأس اسطوله المؤلف من ست سفن . وكانت اوامره تقضي بمنع الاسطول الاسباني الراسي هناك من القيام بأعمال حربية في المياه الأمريكية . وانطلق يدمر الاسطول الاسباني بأسره دون ان يقتل

أمريكي واحد . وفي ذلك الوقت نزلت الى البر الكوبي قوات من الجيش قرب سانتياجو حيث انتصرت في سلسلة معارك واطلقت نيرانها على المياه ، فخرجت من مياه خليج سانتياجو اربع مدمرات اسبانية ، وما لبثت ، بعد ساعات قليلة ، ان تحولت إلى هياكل محطمة .

ومن بوسطن إلى سان فرانسيسكو أطلقت الصواريخ ورفرت الاعلام حين وصلت الأنباء بسقوط سانتياجو . وأسرع الصحف فبعثت بمراسليها إلى كوبا والفلبين وأنشاد هؤلاء المراسلون بأبطال الأمة الحدد الذين اشتهر بينهم جورج ديوي ، بطل مانيل ، وتودور روزفلت قائد « الفرسان العتا » وهم كتيبة من الحيلة المتطوعين الذين جندهم للخدمة في كوبا . وقبل مضي زمن طويل طلبت أسبانيا الصلح ، ف وقعت في ١٠ ديسمبر سنة ١٨٩٨ ، المعاهدة التي بمقتضاها سلمت أسبانيا كوبا الى الولايات المتحدة لتحتلها مؤقتاً ، تمهيداً لاستقلالها . وبإضافة الى ذلك تخلت اسبانيا عن بورتوريكو وجوام مقابل تعويضات الحرب ، كما تركت الفلبين مقابل ٢٠ مليون دولار

وبعد أن استقرت الولايات المتحدة في الفلبين عقدت أمريكا كثيراً من الأعمال في القيام بتجارة واسعة النطاق مع الصين ، فمنذ هزمت اليابان الصين في سنة ١٨٩٤ - ١٨٩٥ استولى عدد من الأمم الأوروبية على القواعد البحرية واستأجرت الأراضي ، وأنشأت هناك مناطق النفوذ . ولم يكن احتكار التجارة هوكل ما حصلت عليه من كسب فحسب بل إنها اكتسبت فوق ذلك انفرادها باستئثار رؤوس أموالها في إنشاء السكك الحديدية واستغلال المناجم في المناطق المجاورة .

وكانت الحكومة الأمريكية تتمسك دائماً في علاقاتها الدبلوماسية مع الشرق بالمساواة في الامتيازات التجارية التي تمنح لجميع الدول ، ولكي تحتفظ بهذا المبدأ كان لا بد من أن تنتهج سياسة جريئة . وفي سبتمبر سنة ١٨٩٩ وجه وزير الخارجية جون هاي للدول التي يعينها الأمر مذكرة دورية ، فاتفقت كلها على « مبدأ الباب المفتوح » لجميع الأمم في الصين - بمعنى أن تتكافأ الفرص التجارية بما في ذلك المساواة في التعريف الجمركية ، ورسوم الموانئ ، وأجور السكك الحديدية في جميع المناطق التي تشرف عليها تلك الدول .

ولكن الصينيين ثاروا في وجه الأجانب في سنة ١٩٠٠ ، وفي شهر يونيو استولى الثوار على بينج وحاصروا المفاوضات الأجنبية هناك . وفي الحال أعلن « هاي » لجميع الدول بأن الولايات المتحدة سوف تقاوم أي إخلال بحقوق الصين الإقليمية أو بسياسة « الباب المفتوح » . وبعد قمع الثورة تطلب الموقف كل ما يملك الوزير من براعة وحذق لتنفيذ البرنامج الأمريكي وحماية الصين من دفع التعويضات الفادحة . وفي أكتوبر من تلك السنة أعلنت بريطانيا وألمانيا مرة أخرى تمسكهما بسياسة « الباب المفتوح » والحفاظة على استقلال الصين ، وتبعتهما الأمم الأخرى على الفور .

وفي ذلك الوقت أعطت انتخابات الرئاسة سنة ١٩٠٠ الشعب الأمريكي فرصة

للحكم على حكومة ماكنلي ، خصوصاً فيما يتعلق بسياسته الخارجية . وقد عبّر الجمهوريون في اجتماع فيلادلفيا عن سرورهم واعتباطهم بما أحرزوه من فوز في الحرب ضد أسبانيا ، واستعادة الرحاء وما بذلوه من جهد للحصول على أسواق جديدة عن طريق سياسة « الباب المفتوح » . وكان انتخاب ماكنلي للرئاسة مع تيودور روزفلت نائباً للرئيس ، حاتمة المطاف . ولكن الرئيس لم يعيش طويلاً ليتمتع بالنصر . ففي سبتمبر سنة ١٩٠١ وبينما كان يشاهد معرضاً في بفالو بنيويورك أطلق عليه أحد القتلة الرصاص فخر صريعاً ، ورفع موت ماكنلي تيودور روزفلت إلى كرسي الرئاسة

عهد النقد الاجتماعي

وصاحب اعتلاء روزفلت كرسي الرئاسة ظهور عهد جديد في حياة أمريكا السياسية في الشؤون الداخلية والخارجية جميعاً . فقد أصبحت البلاد آهلة بالسكان وزالت الحدود وتطورت الأمة من جمهورية صغيرة مناصرة الى دولة من الدول العظمى . وصمد نظامها السياسي لتقلبات الحروب الأهلية والخارجية كما تحملت تقلبات الرخاء والأزمات . وتقدمت الزراعة والصناعة وتحققت الى حد كبير أمية التعليم المجاني ، كما ظلت حرية الصحافة وحرية العبادة تسيران وفق المثل العليا . ومع ذلك كله فإن الأمريكيين المفكرين لم يرضوا عن الحالة الاجتماعية ، والاقتصادية ، والسياسية ، إذ توطلت الأعمال الكبيرة بشكل لم يسبق له مثيل ، وكان زمام الحكومة المحلية والبلدية غالباً في أيدي سياسيين مرتشين ، فانتشرت روح المادية في جميع مرافق المجتمع .

وعلا الاحتجاج الصارخ في وجه هذه المساوئ واستطاع أن يصبغ التفكير الأمريكي والسياسة الأمريكية بصغته الخاصة من سنة ١٨٩٠ إلى الحرب العالمية الأولى تقريباً . ومنذ مستهل الانقلاب الصناعي كان المزارعون في نضال مع المدن وفي كفاح مع الفئة الجديدة من أصحاب الصناعات البارزين . ومنذ العقد السادس من القرن التاسع عشر بدأ المصلحون يهاجمون بالنقد المرن نظام المحسوبة الشائعة حيث كانت الشخصيات السياسية الناجحة توزع على أنصارها المناصب الحكومية . وبعد نضال دام ثلاثين سنة نجح المصلحون في إقرار قانون بدلتون الخاص بموظفي الحكومة في سنة ١٨٨٣ .

وكان هذا القانون الذي دعم نظم الكفاية في وظائف الحكومة ، بداية الاصلاح السياسي . كذلك احتج عمال المصانع على ما يعانونه من مظالم ، وارتفع عدد أعضاء جمعية « فرسان العمل » التي تأسست في سنة ١٨٦٩ لحماية انفسهم الى ٧٠٠ الف عضو حوالي عام ١٨٨٥ . وبعد هذا التاريخ تردت هذه المنظمة ولكن سرعان ما حل محلها اتحاد العمال الأمريكي الذي ضم نقابات من ارباب الحرف والصناعات . وبحلول سنة ١٩٠٠ أصبح العمال قوة لا يستهان بها .

وتكاد كل شخصية من الشخصيات البارزة في هذه الفترة سواء في السياسة ، أو

الفلسفة ، أو العلوم ، أو الأدب ، تستمد جزءاً من شهرتها من اتصالها بحركة الإصلاح وكان كل إبطال هذه الفترة مصلحين يعبرون عن احتجاجهم الشديد على الأساليب والمب الموروثة عن الجمهورية الريفية في القرن الثامن عشر التي لم تعد تناسب مع دولة مدنية القرن العشرين . وشهدت الفترة ما بين سنة ١٩٠٢ وسنة ١٩٠٨ ، أعظم نشاط اصلا عرفته البلاد . وقبل ذلك سنوات ، عرض مارك توين ، في سنة ١٨٧٣ ، بالمجته الأمريكي في نقده الدقيق في مجلة « جيلد ايج » ثم ظهرت مقالات لاذعة عن الشركة والشؤون المالية ، والأطعمة الفاسدة ، والسكك الحديدية . في الصحف اليومية ، مجلات معروفة مثل « ماكلورز » و « افري بوديز » و « كوليرز » . ولجأ ابا سنكلير إلى القصة كوسيلة للتعبير ، فنشر قصة تسمى « العابة » اظهر بها سوء الاحو الصحية في مصانع تعبئة اللحوم الكبرى بشيكاغو ، وتحدث فيها عن سيطرة شرك اللحوم الاحتكارية على تموين الأمة باللحوم . وقد سهلت قصتا تيودور دريزر وهم « الفينانسير » و « التيتان » فهم سير دولاب العمل في المشروعات الكبيرة . وأوضح قصة فرانك نورس « الحفرة » كثيراً من مظالم المزارعين . وكتفت قصة لنكولن ستية المسماة « محاري المدن » عن الفساد السياسي . وكان لهذا « العرض الأدبي » تأث حيوي في حفز الناس على العمل .

وقد دفعت أكثر أعمال الكتاب المتطرفين وبقظة الشعب ، السادة السياسيين اتحاد تداير عملية . وأخذت عدة ولايات تس قوانين تهدف الى تحسين أحوال النا في معيشتهم وعملهم . فدعمت مثلاً قوانين العمل الخاصة بالأطفال ، وسنت قوانين جديدة رفعت الحد الأدنى للسكن ، وأنقصت ساعات العمل ، وقيدت العمل الليلي وألزم إرسال الأطفال إلى المدارس .

اصلاحات تستهدف تحسين أحوال الناس

وفي ذلك الوقت كانت معظم المدن الكبرى وأكثر من نصف الولايات قد قررو اعتبار العمل اليومي ثمانى ساعات في الأعمال العامة . كذلك غني أولو الأمر بقوان التعويض الخاصة بالعمال مما جعل أصحاب الأعمال مسؤولين قانوناً عما يصيب العما من أضرار في أثناء تأدية أعمالهم . وسنت أيضاً قوانين جديدة للدخل فرصت عـ الشركات ، وعلى الدخل ، والممتلكات ، وأرباح الشركات الكبرى ، بهدف إلقاء أعب الحكومة على الأغنياء من أفراد الشعب .

وقد اتضح للكثيرين - والرئيس ثيودور روزفلت بنوع خاص - أنه ليس م الممكن حل معظم المشكلات التي واجهها المصلحون ما لم تعالج على نطاق قومى وقد بدأ روزفلت ، الذي كان شديد التحمس للإصلاح ومصمماً على ان يقـد للشعب عهداً عادلاً ، سياسته الخاصة بزيادة الرقابة الحكومية ، بتنفيذه للقوانين المناهض لشركات الاحتكار . وكان امتداد مثل هذه الرقابة على سكك الحديد من أبرر الأعما

التي تمت في عهده ، وقد أطلق هو نفسه على مشكلة تنظيم السكك الحديدية اسم « القضية العظمى » واعتمد قانونين هامين لأغراض التنظيم وقد نص أحدهما وهو قانون الكنز الذي صدر في سنة ١٩٠٣ ، على أن تكون التعريفات الرسمية هي المعيار القانوني السدي يعمل به ، كما جعل التجار والطرق الحديدية مسؤولين سواء بسواء من استرجاع جزء من أجور الشحن . ونجحت الحكومة بمقتضى شروط هذا القانون في أن تقاضي الشركات التي تحيد عن جادة الصواب .

واسرت شخصية تيودور روزفلت الفذة ، وجهاده في مناهضة شركات الاحتكار ، عقل رجل التنازع . وتعدى صدى استحسان تدابير الإصلاحية التقدمية نطاق حزبه . وادى الرخاء الكبير الذي نعمت به البلاد في عهده الى انتشار شعور الرضى والتأييد للحزب الحاكم ، مما ضمن له الفوز في انتخابات سنة ١٩٠٤ .

وتشجع روزفلت بالصر الكاسح الذي احرزه في الانتخابات فعاد الى منصبه بعزم جديد على أن يسير بقضية الإصلاح قدماً . وقد طالب في رسالته السوية الأولى باتخاذ تدابير أشد صرامة ضد انظمة السكك الحديدية . وفي يونيو سنة ١٩٠٦ أقر قانون هيبورن ، الذي اعطى « لجنة التجارة بين الولايات » سلطة حقيقية في تنظيم الأسعار ووسع سلطاتها التشريعية وارغم الخطوط الحديدية على التخلي عن نصيبها في خطوط الملاحة وشركات الفحم .

كذلك دعمت الإجراءات البرلمانية الأخرى مبدأ إشراف الحكومة الاتحادية وكان من أثر حملة الإصلاح أن حرم « قانون الطعام البقي » الذي صدر في سنة ١٩٠٦ استعمال أي « عقار مضر » سواء كان كيمياوياً أو وقائياً في تحضير الأدوية الجاهزة أو الأطعمة . وقد دعم هذا القانون قانون آخر ينحول حكومة الاتحاد سلطة الإشراف على الشركات المشتغلة ببيع اللحوم بين الولايات .

في هذا الوقت كان الكونجرس قد انشأ مصلحة جديدة للتجارة والعمل بمتلها عضو في الوزارة . وكان لأحد مكاتبها سلطة تحري شؤون الشركات التجارية الكبرى ، فاكتمشت في سنة ١٩٠٧ ان شركة تكرير السكر قد احتالت على الحكومة بمبلغ كبير من الضرائب الخمرية لم تدفعها ، وادت الاجراءات القانونية التي ترتبت على ذلك إلى استرداد أكثر من ٤ ملايين دولار وسجن كثيرين من موظفي الشركة . وفي نفس العام اتهمت شركة استاندرد اويل في انديانا لأنها تلقت حسمومات سرية على مصاريف الشحن على خطوط شيكاغو والتون الحديدية . وقد انعكست روح العصر في الغرامات التي فرضت عليها والتي بلغت قيمتها ٢٩,٢٤٠,٠٠٠ دولار عن ١٤٦٢ مخالفة .

روزفلت يعمل على انقاذ موارد الدولة

كانت صيانة موارد الأمة الطبيعية ووقف استغلال مصادر المواد الخام واستصلاح مساحات كبيرة من الأراضي البور المهمة في بعض المناطق ، من أهم الأعمال التي تمت في

عهد روزفلت . وقد طالب روزفلت في رسالته الأولى التي ألقاها في الكونغرس ١٩٠١ بوضع برنامج كامل بعيد المدى للري وصيانة الأرص . وإصلاحها . وأضاً إلى الغابات التي تركها الرؤساء السابقون ، والتي بلغت مساحتها ٤٧ مليون فدان منطقة تبلغ مساحتها ١٤٨ مليون فدان ، وبدأ جهوداً منظمة لاتقاء حرائق الغابات وإعاً زراعة الأشجار في المناطق الجرداء . وفي سنة ١٩٠٧ عيّن لجنة للطرق المائية الداخلي لبحث موضوع الأنهار ، والتربة ، والغابات ، وتوليد القوى المائية والنقل المائي . جميع الوجوه . وقد كانت توصيات هذه اللجنة سبباً في عقد مؤتمر قومي لبحث مشك الصيانة ، ووجه المؤتمر انتباه الامة الى الحاجة الماسة للصيانة . وفي البيان الذي أصدرته اللجنة بالمبادئ الخاصة التي تسترشدها اكدت اهمية صيانة الغابات ، والمياه والمعادن اهتمامها بمشاكل تآكل التربة ، والري أيضاً . وقد تضمنت توصياتها تنظيم عملية قطع الأخشاب من الأراضي التي يمتلكها الأفراد ، وتحسين الأنهار الصالحة للملاحة ، وصياً مستجمعات المياه . وقد ترتب على ذلك أن ألفت عدة ولايات لجاناً للصيانة . وفي سنة ١٩٠٩ تألفت الرابطة القومية للصيانة بقصد توسيع ثقافة الشعب في هذا الموضوع وفي سنة ١٩٠٢ صدر قانون الاستصلاح الذي أعطى للحكومة الحق في إقامة عدد من السدود والخزانات الكبيرة .

ولما اقتربت حملة انتخابات سنة ١٩٠٨ كان روزفلت قد وصل إلى ذروة الشهر الشعبية ، ولكنه تردد في تحدي التقليد الذي نص على أن لا ينقل شخص واحد منصب الرئاسة أكثر من مرتين . فآثر أن يؤيد ولم هوارد تافت الذي فاز بالرئاسة ورغب في الاستمرار على نهج روزفلت فقام بخطوات أخرى ، واستمر في مناهضة شركات الإحتكار ، ودعم لجنة التجارة الداخلية بين الولايات ، وأسس صندوق ادخار البريد . ونظام إرسال الطرود بالبريد ، وزاد عدد الموظفين المدنيين وأيد تشريعاً لتعديلين أدخل على دستور الإتحاد . وخول التعديل السادس عشر سلطة فرض ضريبة دخل للإتحاد وحل التعديل السابع عشر الذي اعتمد في سنة ١٩١٣ ، محل ما يتطلبه الدستور لانتخاب أعضاء مجلس الشيوخ عن طريق الهيئات التشريعية في الولاية ، فأقر انتخابه مباشرة عن طريق الشعب .

ولكن تافت قبل سن تعريفه الحماية التي أثارته سخط الرأي العام الحر كما أثارته معارضته إنضمام ولاية أريزونا الى الاتحاد بسبب دستورها الحر ، ثم لاعتماده الشديد على جناح حزبه المحافظ المتطرف .

وبحلول سنة ١٩١٠ انقسم حزب تافت على نفسه ، وبأغلبية ساحقة عاد الديمقراطيون الى سيطرتهم على الكونغرس . وبعد ذلك بستين رشح وودرو ويلسون حاكم ولاية نيوجرسي ، نفسه في انتخابات الرئاسة ضد تافت الجمهوري ، وضد روزفلت الذي نظم ، بعد ان رفض المؤتمر الجمهوري ترشيحه ، حزباً ثالثاً باسم « التقدميين » وخاض الانتخابات على أساسه .

على ان ويلسون هزم كلا المنافسين في حملة حاططة ، فأخذ الكونجرس الجديد ، تحت زعامته ، يضع منهجاً « تشريعياً » كان - من حيث مده وأهميته - من أعظم البرامج البارزة في التاريخ الأمريكي . وكان العرض الأول إعادة النظر في نظام التعريف . وقال ويلسون : « يجب تعيير ضرائب التعريف ، ويجب أن يلغى كل شيء يحمل حتى طابع الامتياز » . وقد أقرت « تعريفة أندروود » التي وقعت في ٣ أكتوبر سنة ١٩١٣ ، تخفيضاً جوهرياً في الرسوم الجمركية على المواد الأولية الهامة ، والمواد الغذائية ، والقطن ، والصوف ، والحديد والصلب ، كما أرادت الضرائب المفروضة على أكثر من مائة مادة أخرى . ورغم أن القانون قد احتفظ بعدة إجراءات للحماية ، إلا أنه كان محاولة صادقة لخفض تكاليف المعيشة .

وكانت الخطوة الثانية في برنامج الديموقراطيين إعادة تنظيم نظام البنوك والعمله الذي عانت البلاد كثيراً من عدم مرونته والذي اعتمد طويلاً على تسريعات خاصة سمح بموجبها للبنوك الوطنية باصدار عملة طوارئ . وقد قال ويلسون : « يجب ان تكون الرقابة عامة لا خاصة ، ويجب ان توضع في يد الحكومة نفسها حتى تصبح البنوك وسيلة للأعمال وللمشروعات الفردية والمبادرة ، وليس للسيطرة عليها » . وقد قام قانون الإحتياط للإتحاد الذي صدر في ٢٣ ديسمبر سنة ١٩١٣ بإجابة هذه المطالب ، وفرض هذا القانون على البنوك القائمة نظاماً جديداً من المراقبة ، وقسمت البلاد الى إثني عشر قسماً لكل منها بنك احتياطي تابع للإتحاد ، ويشرف عليها جميعها مجلس اتحادي للاحتياط . وكانت هذه البنوك بمثابة مستودعات للمال الاحتياط للبنوك التي اشتركت في هذا النظام . ولتحقيق مرونة أكثر في زيادة تداول النقود ، نص القانون في احدى موادها على اصدار أوراق مالية احتياطية اتحادية لمواجهة مطالب الأعمال التجارية .

وكانت المهمة الثانية هي تنظيم الشركات الإحتكارية والتحقيق في مخالفات الشركات وقد أدت التجارب الى اتخاذ نظام للمراقبة مماثل لنظام اسراف لجنة التجارة الداخلية بين الولايات ، على السكك الحديدية . وقد حولت لجنة اتحادية للتجارة سلطة اصدار الأوامر التي تقضي « بتحريم الوسائل غير المشروعة في المنافسة » التي تلجأ إليها الشركات فيما يخص بالتجارة بين الولايات الداخلية . وثمة قانون ثان هو قانون كلايتون المناهض لشركات الإحتكار الذي حرم كثيراً من أعمال الشركات التي لم تنص عليها القوانين السابقة بشكل خاص وهي إدارة عدة شركات ، والتفرقة في الأسعار بين المشترين وملكية الشركة الواحدة لأسهم شركات أخرى مماثلة .

كذلك لم يغفل شأن العمال والفلاحين ، فسهل قانون التسليف الزراعي الاتحادي للمرارعين الحصول على القروض بفوائد مخفضة . وحرّم أحد نصوص قانون كلايتون بصفة خاصة استصدار أوامر من المحاكم للتدخل في منازعات العمال . كذلك نص قانون البحارة الذي صدر في سنة ١٩١٥ على تحسين أحوال المعيشة والعمل للبحارة الذين يعملون على السفن التي تسير في المحيطات وفي البحيرات والأنهار . كما نص قانون

تعويض العمال الإتحادي الذي صدر في سنة ١٩١٦ ، على منح مكافآت مالية للمستخدمين الذين يصابون بعاهاات في أثناء العمل . وفي السنة نفسها سن قانون آدمسن الذي قضى بأن يشتغل عمال السكك الحديدية ثماني ساعات في اليوم .

وعلى الرغم من ان هذا السجل للاصلاح مبعثه زعامة الرئيس ويلسون مباشرة ، فان مكانة ويلسون في التاريخ لم يكن سببها تكرسه الشديد للاصلاح الاجتماعي ، بقدر ما كان ذلك القَدْرُ العجيب الذي دفع به ليكون الرئيس في الحرب ، والمهندس الذي عهد اليه بتنظيم فترة السلام القلقة التي أعقبت الحرب العالمية الأولى .

الصراع في الخارج والنظور الاجتماعي في الداخل

« يتحتم على الولايات المتحدة
ان تصبح ترسانة عظمى للديموقراطية » .

فرانكلين روزفلت

من رسالته إلى الكونجرس ، ٦ يناير ١٩٤١

كان

اشتعال الحرب في أوروبا في عام ١٩١٤ ماثلة صدمة عنيفة للشعب الأمريكي . وكان يلوح منذ البداية أن الصراع كان بعيداً عن مشاغل الحياة الأمريكية ، بيد أنه سرعان ما لمست البلاد آثاره في كلا المجالين الاقتصادي والسياسي . وبحلول عام ١٩١٥ كانت الصناعة الأمريكية التي كانت قد سجلت من قبل هبوطاً طفيفاً ، تزدهر مرة أخرى نتيجة للطلبات الواردة من الحلفاء الغربيين على شراء المهمات الحربية . وتأثر الشعب الأمريكي بالدعاية التي روجها كلا الجانبين ، كما أن الأعمال التي قام بها البريطانيون والألمان ضد التجارة والسفن في عرض البحار جعلت حكومة الرئيس ويلسون ترسل الاحتجاج الشديد تلو الآخر وبمرور الزمن أصبح الخلاف بين القادة الأمريكيين والقادة الألمان حقيقة ملموسة شيئاً فشيئاً .

في فبراير سنة ١٩١٥ أعلن القادة الحربيون الألمان أنهم سيغرقون كل سفينة تجارية في المياه القريبة من الجزر البريطانية . ولكن الرئيس ويلسون أندري الحمال بأن الولايات المتحدة الأمريكية لن تتخلى عن حقها التقليدي في التجارة في عرض البحار ، وأعلن أن الشعب الأمريكي سيحاسب ألمانيا « حساباً عسيراً » إذا أدى هذا الإجراء إلى خسارة في السفن أو الأرواح الأمريكية . وفي ربيع عام ١٩١٥ ثار الرأي الأمريكي غضباً حينما أغرقت السفينة البريطانية ، « لوزيتانيا » وغرق معها حوالي ١٢٠٠ شخص من بينهم ١٢٨ أمريكياً .

ولم يستطع الرئيس ويلسون أن يتبع سياسة ثابتة بسبب شدة الانفعال الذي كان يعاني منه أثناء الحرب . فعلى الرغم من انه لم تنعم الولايات الأمريكية برئيس أمريكي أكثر إخلاصاً منه لقضية السلام ، كان على يقين أيضاً وهو يراقب قوة الألمان وخاصة في حرب

الغواصات ، بأنه إذا ما تحقق الظفر للألمان في هذه الحرب فإن ذلك يعني سيطرة النزوة الحربية في أوروبا وتهديد الأمن الأمريكي بالخطر .
وفي ٤ مايو سنة ١٩١٦ ، تعهدت الحكومة الألمانية بأن تحصر حرب الغواصات وفقاً للمطالب الأمريكية ، وبدأ أن المشكلة أصبحت محلولة واستطاع ويلسون أن يفوز في انتخابات الرئاسة في ذلك العام وكان السبب في فوزه الى حد كبير ذلك الشعار الذي تغنى به حزبه ألا وهو : « لقد جعلنا تنفادي للدخول في الحرب » . وفي يناير سنة ١٩١٧ نادى في خطاب القاه أمام مجلس الشيوخ بوجود تحقيق « سلم غير مقرون بنصر » ، سلم لا يمكن لغيره أن يكتب له البقاء .

أمريكا تخوض الحرب العالمية الاولى

وبعد مرور تسعة أيام أرسلت الحكومة الألمانية اشعاراً بأنها ستستأنف حرب غواصات غير محدودة . وفي الثاني من ابريل سنة ١٩١٧ ، وبعد اغراق خمس سفن أمريكية ، توجه ويلسون الى الكونجرس يطالب باعلان الحرب على المانيا . وفي الحال تأهبت الحكومة الأمريكية للعمل على تعبئة مواردها الحربية ، والصناعية ، والعمالية ، والزراعية . وفي اكتوبر سنة ١٩١٨ كان عدد الجيش الأمريكي في فرنسا يربو على ١,٧٥٠,٠٠٠ جندي .

وقامت البحرية الأمريكية بعمل جليل وحاسم في مساعدة البريطانيين في اختراق حصار الغواصات الالمانية . وفي صيف عام ١٩١٨ ، أثناء هجوم الماني مرتقب منذ فترة طويلة ، قامت قوات أمريكية جديدة بدور حاسم في المعارك التي دارت رحاها على البر . وفي شهر نوفمبر من ذلك العام ساهم جيش أمريكي يزيد على المليون جندي وضابط بدور فعال في الهجوم الذي شنّه الحلفاء في منطقة ميز-ارجون والذي نجم عنه انهيار حط هندنبرج المنيع .

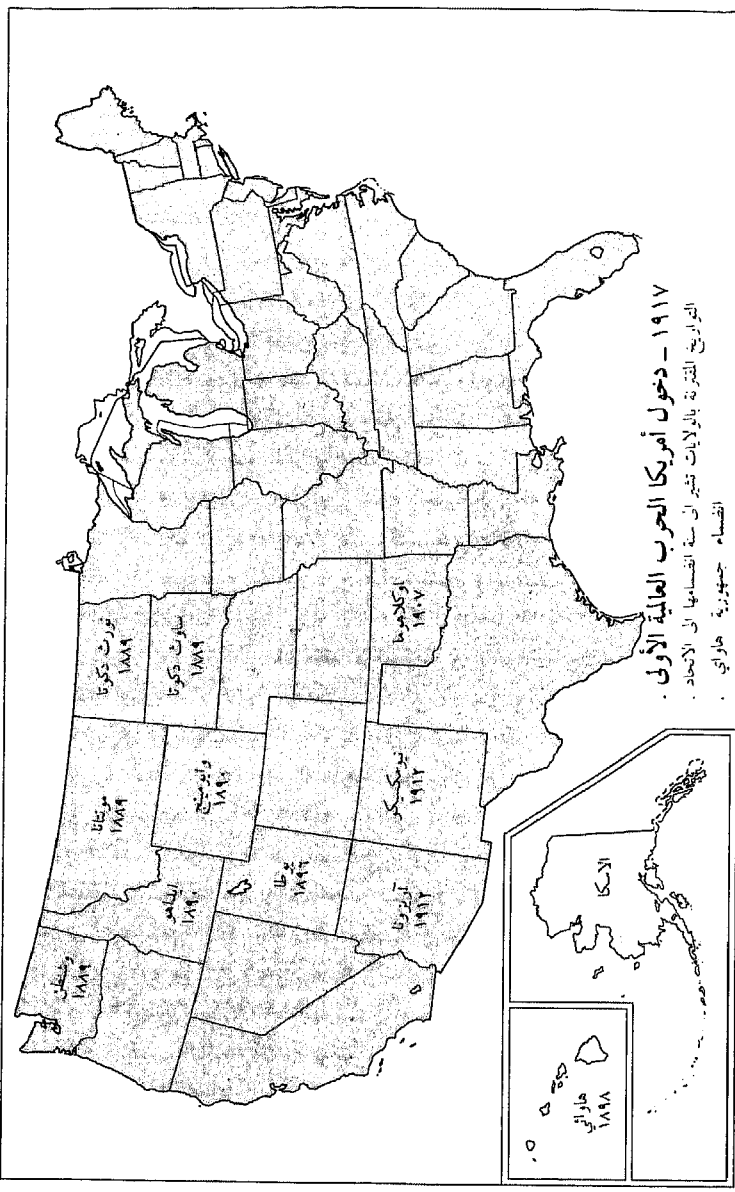
وكان تحديد ويلسون للبلوغ لأهداف الحرب للحلفاء ، وتأكيده أن الحرب ليست موجهة ضد الشعب الألماني ، وإنما ضد حكومته الاستبدادية ، من أعظم ما ساهم به من أعمال مجيدة من أجل وضع نهاية مبكرة لهذه الحرب . وفي الرسالة التي وجهها لمجلس الشيوخ في يناير ١٩١٨ ، والمتضمنة مبادئه الأربعة عشرة المشهورة كأساس لسلم عادل ، دعا الى نيل المعاهدات السرية الدولية ، وضمان حرية البحار ، وإزالة الحواجز الاقتصادية بين الأمم ، وخفض التسلح الوطني ، وتنظيم المطالب الاستعمارية وفقاً لمصالح سكان المستعمرات . كما وضع مبادئ أخرى لتأكيد حقوق الحكم الذاتي ، والنمو الاقتصادي الحر للقوميات الأوروبية . وجعل ويلسون من مبدئه الرابع عشر حجر الزاوية في السلام - ألا وهو تكوين رابطة من الأمم لتوفير « الضمانات المتبادلة لتحقيق الاستقلال السياسي والسلامة الإقليمية لجميع الدول كبيرها وصغيرها على السواء » .

التعليق : الساحة الجيولوجية الأمريكية .

١٩١٧ - دخول أمريكا الحرب العالمية الأولى .

التواريخ المقتربة بالولايات تشير إلى سنة انضمامها إلى الاتحاد .

القسام جمهورية هاواي .



وفي صيف سنة ١٩١٨ - حينما تفهقرت الجيوش الألمانية - استغاثت الحكومة الألمانية بالرئيس ويلسون للتفاوض على أساس المبادئ الأربعة عشر. وبعد أن تحقق ويلسون بنفسه أن هذا الطلب قد صدر من جاب ممثلي الشعب وليس من حانب العصاة العسكرية ، تبادل الرأي مع الحلفاء فقبلوا الاقتراح الألماني . وعلى هذا الأساس عقدت الهدنة في ١١ نوفمبر سنة ١٩١٨

سياسة العزلة تعقب الصلح

لقد كان الرئيس ويلسون يطمح في أن تكون معاهدة الصلح النهائية بين الحلفاء والألمان ذات طبيعة تتسم بسلام يقوم على التفاوض ، ولكنه خشي أن تجعل الآلام التي خلقتها الحرب حلفاءه يقومون بتقديم مطالب قاسية . وفي هذا كان الرئيس ويلسون صائباً . وإذا كان مقتنعاً بأن أعظم أمل لديه من أجل سلام عالمي ، وهو عصبة الأمم ، لا يمكن تحقيقه أبداً ما لم يرضخ لمطالب الحلفاء فإنه ساوم بالمبادئ الواحد تلو الآخر في مفاوضات الصلح في باريس . ومن بين النقاط السلبية التي قام ويلسون بانجازها إنكاره لمطالبة إيطاليا بإقليم فيوم ، ومعارضته لمطلب كليمنصو في فصل إقليم الراين عن ألمانيا ، وممانعته لفرنسا في ضم حوض السار ، وإحباطه لمشروع بتكليف ألمانيا بتحمل جميع نفقات الحرب .

وفي النهاية ، لم يتبق من مقترحاته الإيجابية سوى القدر اليسير لتحقيق سلام شريف دائم باستثناء عصبة الأمم ذاتها . وهكذا كان على الرئيس ويلسون أن يتحمل التهكم النهائي المتمثل في رؤية بلاده ترفض الاشتراك في عضوية عصبة الأمم . وكان هذا نتيجة خطأ سياسي ارتكبه في إحجابه عن اصطحاب عضو بارر من الحرب الجمهوري المعارض إلى باريس في مهمته من أجل السلام . وعندما عاد إلى الولايات المتحدة ليناشد الأمريكيين التمسك بعصبة الأمم رفض حتى مجرد قبول الحلول المعتدلة التي كانت ضرورية للغوز بالتصديق من جانب مجلس الشيوخ تسوده أكثرية تابعة للحزب الجمهوري . ولما فشل في كسب المؤيدين لقضيته في واشنطن أخذ يستميل الشعب إليها في رحلة قام بها في طول البلاد وعرضها .

وفي ٢٥ سبتمبر سنة ١٩١٩ انهارت قواه الجسمانية بسبب قساوة الأعباء المتعلقة بحبه للسلام ومنصب الرئاسة أثناء الحرب ، فأصيب بشلل وهو بمدينسة بوبيلو ، بولاية كولورادو ، ولم يراً منه أبداً . وفي شهر مارس سنة ١٩٢٠ ، رفض مجلس الشيوخ في التصويت النهائي معاهدة فارساي وميثاق عصبة الأمم . وهكذا حكمت الولايات المتحدة على نفسها بسياسة العزلة سنين عديدة ، كما اختفت بوفاة الرئيس ويلسون من مسرح السياسة الأمريكية فترة من فترات الخلق المثالي وحلت محلها حقبة من اللامبالاة . وفي المعركة الانتخابية للرئاسة في سنة ١٩٢٠ رشح حزب ويلسون لهذا المنصب

الحاكم جيمس كوكس ، من ولاية أوهايو ، الذي لم يكن على صلة بارزة بأعضاء حكومة الرئيس ويلسون . وكان الفور الساحق الذي حظي به المرشح الجمهوري وارين ج . هاردنج بمثابة دليل قاطع على النفور العام من سياسة ويلسون . وبالرغم من أن الرئيس هاردنج كان قد رفض التورط جلياً بقضية عصابة الأمم أثناء الحملة الانتخابية إلا أن سياسته وسياسة من خلفه من الرؤساء الجمهوريين ، كانت بصفه عامة تتوخى المسير على الخط الانعزالي .

وكانت هذه المعركة الانتخابية أول معركة اشتركت فيها النساء في طول السلاسل وعرضها بالإدلاء بأصواتهن لانتخاب مرشح لرئاسة الجمهورية . ففي أثناء الحرب كان الرئيس ويلسون قد بدأ يناصر فكرة إجراء تعديل في قانون الاتحاد يخول النساء حق التصويت ، لأن المساهمات العظيمة التي قمن بها في ميدان المحيود الحربي أبرزت بصورة حيوية قدرتهن المدنية وحققهن في الاقتراع . وفي شهر يونيو سنة ١٩١٩ قدم الكونغرس التعديل التاسع عشر إلى الولايات لإقراره ، وبالفعل أقرته الولايات في وقت مناسب أتاح للمرأة فرصة الاشتراك في الانتخابات في العام التالي .

الاتجاه نحو فلسفة المحافظين

وشجعت فترة الرخاء الشامل الذي ساد ، على الأقل ، المناطق الحضرية من البلاد ، على أن يكون ميل سياسة الحكومة الأمريكية أثناء العشرينات من هذا القرن متجهاً نحو فلسفة المحافظين الى حد كبير . وكان ذلك الميل قائماً على الاعتقاد بأنه إذا ما عملت الحكومة كل ما في وسعها لتشجيع المشروعات الخاصة فإن الرفاهية ستسرب إلى جميع صفوف السكان .

كذلك كانت سياسات الجمهوريين ترمي الى خلق أكثر الظروف ملائمة في مجال الصناعة الأمريكية . فقوانين التعريفة التي صدرت بين عامي ١٩٢٢ و ١٩٣٠ كان من شأنها أن زادت من حدة الحواجز المفروضة على التعريفة الحمركية وبذلك ضمنت للمنتجين الأمريكيين في ميدان بعد الآخر احتكراً للسوق المحلية . وكانت التعريفة الحمركية الثانية ، المتمثلة في قانون سموت - هاولي لعام ١٩٣٠ ، تشمل على رسوم مرتفعة جداً بحيث قام أكثر من ألف من رجال الاقتصاد الأمريكيين بإرسال مذكرة الرئيس هوفر يطالبون فيها برفضها ، كما اثبتت الأحداث التالية صحة تكهنهم بأن ذلك القانون سينتج عنه اتخاذ إجراءات انتقامية ناهضة من جانب الدول الأخرى . وفي نفس الوقت قامت الحكومة الفيدرالية بتنفيذ برنامج يرمي إلى تخفيض الضرائب عن كاهل السكان عاكسة بذلك رأي وزير المالية أندرو ميلون بأن فرض ضرائب مرتفعة على الدخول ستحول دون استثمار الأغنياء لأموالهم في المشروعات الصناعية الجديدة ، وقد استجاب الكونغرس في عدد من القوانين وافق عليها في الفترة بين عام ١٩٢١ وعام

١٩٢٩ ، استجابة حسنة على المقترحات التي قدمها والتي مؤداها أن الضرائب التي تحبى أثناء الحرب ، وضريبة الأرباح الزائدة ، وضريبة الشركات يجب أن تلغى إلغاء تاماً أو تخفض تخفيضاً كبيراً .

أما المشروعات أو الأعمال الخاصة فقد أخذت الدولة في تشجيعها تشجيعاً حيواً أثناء العشرينات من هذا القرن بما في ذلك توفير القروض الإنشائية ، والعقود المربحة الخاصة بنقل البريد ، وغيرها من المساعدات المالية غير المباشرة الأخرى . وكانت قوانين المواصلات التي صدرت في عام ١٩٢٠ ، قد أعادت الى الإدارة الخاصة شبكة السكك الحديدية التي كانت تسيطر عليها الحكومة سيطرة تامة خلال سنوات الحرب ، كما قامت الدولة ببيع الاسطول التجاري الذي كانت تملك معظمه وتقوم بتسييره من عام ١٩١٧ الى عام ١٩٢٠ . غير ان الفرعين التنفيذي والتشريعي في الحكومة ، كانا على خلاف في ميدان القوة الكهربائية . فقد كانت الحكومة قد انشأت أثناء الحرب مصنعين كبيرين لانتاج الترات عدد شلالات « موصل شولز » ، واقامت ٥٩ كيلومتراً من المنحدرات في نهر تينيسي ، وكذلك سلسلة من السدود على طول النهر لتوليد الكهرباء . ووضع قانون لتوليد الكهرباء وبيعها من قبل الشعب ، اقره مجلسا الشيوخ والنواب في عام ١٩٢٨ ، غير ان الرئيس هوفر رفضه مستخدماً حق الاعتراض . وفي عهد الرئيس روزفلت أقيم مشروع وادي تينيسي النموذجي مكان مشروع « موصل شولز » .

وفي هذه الفترة واجهت سياسات حكومة حزب الجمهوريين نقداً متزايداً في ميدان الزراعة . ذلك أن المزارعين كانوا يمثلون الفئة التي استفادت بأقل قدر من الرفاهية التي سادت العشرينيات من القرن . وكانت الفترة ما بين عام ١٩٠٠ وعام ١٩٢٠ فترة رخاء شامل بالنسبة للمزارعين حققوا خلالها أماناً مرتفعة في منتجاتهم الزراعية ، ووفرت الطلبات التي لم يسبق لها مثيل أثناء الحرب على المنتجات الزراعية الأمريكية المحفزات على الإنتاج ، فقام المزارعون باستغلال أراض مجربة أهملت ، ولم تفلح من قبل . ولما وصلت قيمة المزارع الأمريكية إلى ضعفي ما كانت عليه ، وفي بعض المناطق الى ثلاثة أضعاف ، راح المزارعون يشترون بضائع وآلات لم يكن في ميسورهم شراءها من قبل قط . وفي نهاية عام ١٩٢٠ ، وتوقف طلبات الحرب فجأة ، هبطت المنتجات الزراعية التجارية الضرورية للمعيشة من حيث قيمتها إلى حالة سيئة . وهكذا فعندما جاءت فترة الكساد الشاملة في العقد الرابع من القرن العشرين لم تزد الحالة الراهنة إلا سوءاً

أمريكا في العشرينات

كانت هناك عوامل عديدة ادت إلى وقوع فترة الكساد في مجال الزراعة الأمريكية ، ولكن أهم هذه العوامل كان فقدان الأسواق الأجنبية . فالزارعون الأمريكيون لم

يستطيعوا بيع منتجاتهم بسهولة في مناطق لم تكن الولايات المتحدة تستطيع بدورها شراء منتجاتها ، وذلك بسبب التعريف الجمركية التي فرضتها على السلع المستوردة ، وهكذا أعلقت تدريجياً السوق العالمية أمام البضائع الأمريكية

وأضفى تحديد الهجرة خلال العشرينات تغييراً كبيراً على السياسة الأمريكية . في أثناء السنوات الخمس عشرة الأولى من القرن العشرين قدم الى الولايات المتحدة أكثر من ١٣ مليون مهاجر . غير أنه لفترة من الزمن . كان الشعور العام ضد الهجرة غير المحدودة الى الولايات المتحدة أخذاً في التزايد . ولم تعد الولايات المتحدة تعتقد كالسابق بأن لديها إمكانيات داخلية عظيمة للاستعمار وبالتالي لم تعد راغبة في قبول أعداد كبيرة من المهاجرين . ونتيجة لذلك صدر عدد من القوانين لتنظيم الهجرة أهمها قانون الهجرة لعام ١٩٢٤ وقانون عام ١٩٢٩ . وقد حدد هذان القانونان المهاجرين إلى الولايات المتحدة سوياً بـ ١٥٠,٠٠٠ مهاجر من قوميات مختلفة وبنسب تتفق وعدد المهاجرين من بني جلدتهم الموجودين في الولايات المتحدة في سنة ١٩٢٠ . وهكذا أصبحت الهجرة انتقائية ، وتقتضي قبول فئة مختارة من المهاجرين ، إذ ان معظم عدد المهاجرين الآن يتدفق من جنوب أوروبا وشرقها بدلاً من شمالها وغربها . وبتحديد أعداد المهاجرين بشكل صارم امكن وضع حد لحركة من أعظم حركات الهجرة في تاريخ العالم ، حركة يرجع عهدها الى ثلاثة قرون خلت .

وفي الوقت الذي انخفض فيه تدفق الهجرة الى الولايات المتحدة انخفاضاً كبيراً لم يهاجر من الأمريكيين الى أوروبا سوى عدد قليل ولكنهم كانوا ذا أثر هام . وهؤلاء المهاجرون كانوا من الكتاب والمفكرين الذين لم يرتضوا بالولايات المتحدة كموئل للأدب والفكر ، فتوجهوا بصفة خاصة الى باريس . وقد كانت الثقافة الأمريكية في نظر النقاد ، داخل الولايات المتحدة وخارجها ، ثقافة مادية وبيوريتانية ، وكان يرمز إلى بيوريتانية تلك الحقبة تحريم صنع الخمر وبيعها . وبعد حوالي قرن من الاثارة والاحتياج فرض هذا التحريم في النهاية في التعديل الثامن عشر للدستور ، عام ١٩١٩ وكان الهدف الذي يرمي اليه التحريم هو القضاء على حانات الخمر والسكر في أمريكا . ولكن التعديل بدلاً من ان يحقق ذلك خلق الآلاف من محلات بيع الخمر السرية وفتح آفاقاً مربحة في مجال العمل الاجرامي لمروجي الخمر .

وبالإضافة الى ذلك فإن بقاء قانون يخالف لدرجة كبيرة كهذه كان يعد نفاقاً من الناحية الخلقية ، فكان التحريم في نظر الكثيرين من الأمريكيين مشابهاً للفساد السياسي الذي انتشر في عهد هاردنج .

وهكذا أصبح النقد السمة السائدة في الأدب الأمريكي ، واشتهر في تلك الحقبة بالتنديد بالحياة الأمريكية والخلق الأمريكي صحنياً وناقداً هو ه. ل. مينكن ، كما برز بين الكتاب الآخرين الروائي الجاد سنكلير لويس الذي لقيت مؤلفاته رواجاً عظيماً بين الجمهور لا سيما قصته « مين ستريت » و « بابيت » اللتان انتقد فيهما حياة الطبقة

الوسطى الأمريكية وأصبحت تراثاً في مجال التوعية القومية . وإيه لمن سخرية القدر أن يصدر مثل هذا التنديد بأمريكا من قبل الأمريكيين أنفسهم في فترة من أعظم فترات الرخاء العام .

وكان يبدو في العشرينيات من القرن أن الرخاء سيظل مزدهراً إلى ما لا نهاية ، وحتى بعد انهيار سوق الأوراق المالية في خريف عام ١٩٢٩ ، كانت التكهّنات التفاؤلية لا تزال تصدر عن الأوساط العليا مؤيدة استمرار هذا الاتجاه . بيد أن الكساد أخذ يستفحل أمره . وفقد الملايين من المستثمرين مدخراتهم ، وأغلقت بيوت العمل والمصانع أبوابها ، وأفلست البنوك ، وأخذ الملايين من العاطلين يحومون الشوارع في بأس طلباً للعمل . ولم يحدث في تاريخ أمريكا كله ما يضاهي هذه الفترة من الكساد في ضراوتها سوى فترة الكساد التي حلت بالبلاد في العقد الثامن من القرن التاسع عشر والتي كانت قد أصبحت في طي النسيان .

روزفلت يكافح الأزمة الاقتصادية

ولما بدأ الشعب الأمريكي ينظم صفوفه عقب الصدمة ، وأحد الناس يُنعمون النظر في أسباب المتاعب التي يعانون منها شرعوا يدركون وجود تيارات غير سليمة لم يفتنوا إليها من قبل ، تحت سطح فترة الرخاء التي عمت البلاد في العشرينيات من هذا القرن . وكان جوهر المشكلة يتمثل في التناثر العظيم بين قوة البلاد الإنتاجية ومقدرة الشعب الأمريكي على الاستهلاك . لقد أدخلت اختراعات ضخمة على الأساليب الفنية الإنتاجية أثناء الحرب وبعدها ففتح عن ذلك ارتفاع كبير في منتجات الصناعة الأمريكية لا تستطيع استيعابه القوة الشرائية للعمال والمزارعين الأمريكيين . كذلك لقد كان من شأن الزيادة الكبيرة في مدخرات الأغنياء والطبقة الوسطى من الشعب زيادة لا يستطيع الاستثمار السليم استيعابها أن استخدمت هذه الأموال الفائضة في المضاربات الشديدة في سوق الأوراق المالية أو العقارات . وهكذا لم يكن انهيار السوق المالية سوى انفجار من عدة انفجارات أطاحت تماماً بهذا النظام السخيف من المضاربة .

وجاءت انتخابات الرئاسة في سنة ١٩٣٢ فتحولت إلى حلبة من الجدل والقاش بشأن الأسباب التي أدت إلى حدوث الأزمة الاقتصادية الكبرى والوسائل الممكنة لعلاجها . وكان الرئيس هيربرت هوفر - الذي كان من سوء طالعاه أن دخل البيت الأبيض لثمانية شهور من انهيار سوق الأوراق المالية - قد جاهد دون كلل لإعادة عجلة الصناعة ، الدوران ، لكنه لم يستطع أن يفعل في سبيل ذلك سوى ما خوله المبدأ التقليدي للدور مناسب للحكومة الفيدرالية التي لم تتمكن من اتخاذ إجراء فعال . وقد جادل منافسه الديمقراطي فرانكلين د. روزفلت ، الذي لمعت شهرته كحاكم لولاية نيويورك خلال الأزمة المتفاقمة ، بأن الكساد الاقتصادي إنما حدث نتيجة لأخطاء كامنة في الاقتصاد



محاربو الحرب العالمية الأولى يحتفلون بهذبة ١٩١٨ بإقامة عرض كبير رائع في مانهاتن .

مع أمل أن يكونوا قد شهدوا نهاية الحروب ، تحول الأمريكيون الى ريادة آفاق
جديدة في العلم والأدب والامتدادات الأرضية البعيدة . ولكن الغيب كان
يخفي للأمة الكساد المالي ، وعواصف الغبار المدمرة ، وكذلك حرباً عالمية أخرى



بدأ البريد الجوي بداية ضعيفة . إن صعوبات الطيران في سنة ١٩١٨ (الطيار فوق اعتمد على خريطة مثبتة على ساقه) تسببت في عدة وفيات . تحت : ريتشارد بيرد (قدمه على السلم) الذي تجرباً رغم تعدد كوارث الطيران ، على القيام بأول طيران ناجح فوق منطقة القطب الشمالي في مايو من سنة ١٩٢٦ .

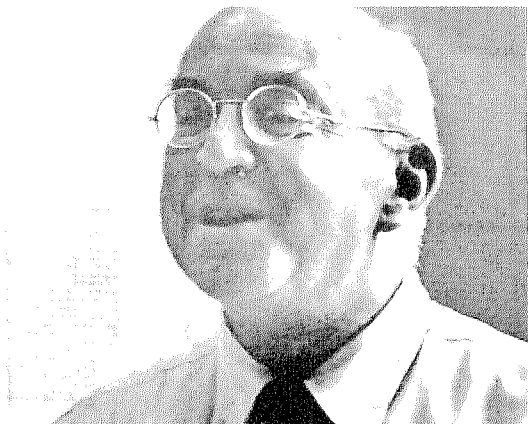


كان ذلك في سنة ١٩٢٧ - وكان طيار البريد الجوي الشاب
المسمى تشارلز ليندبرج على وشك أن يشتهر في العالم
بإقدامه على القيام بأول طيران عبر الاطلنطي بدون توقف .





یوجین اونیل

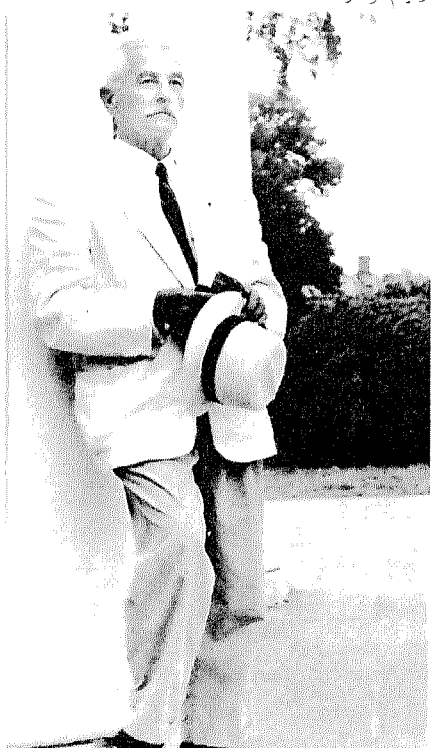


جون دوس پاسوس

ویلا کاتر



سٹیکلیر لوئیس



وليام فوكنر





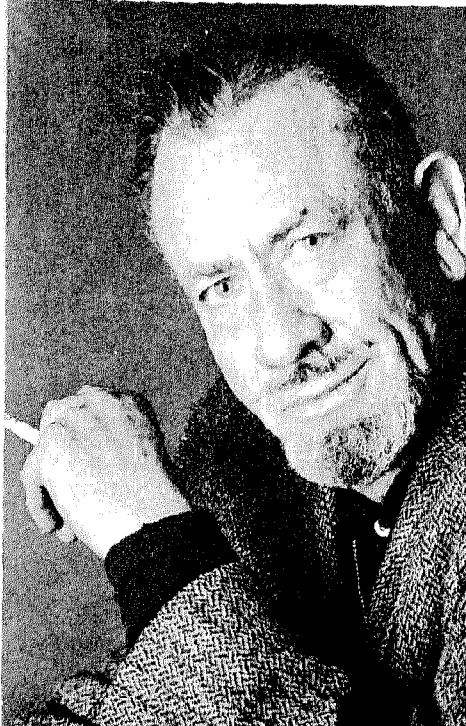
ارنست همنجواي



ل. م. مونتغمري

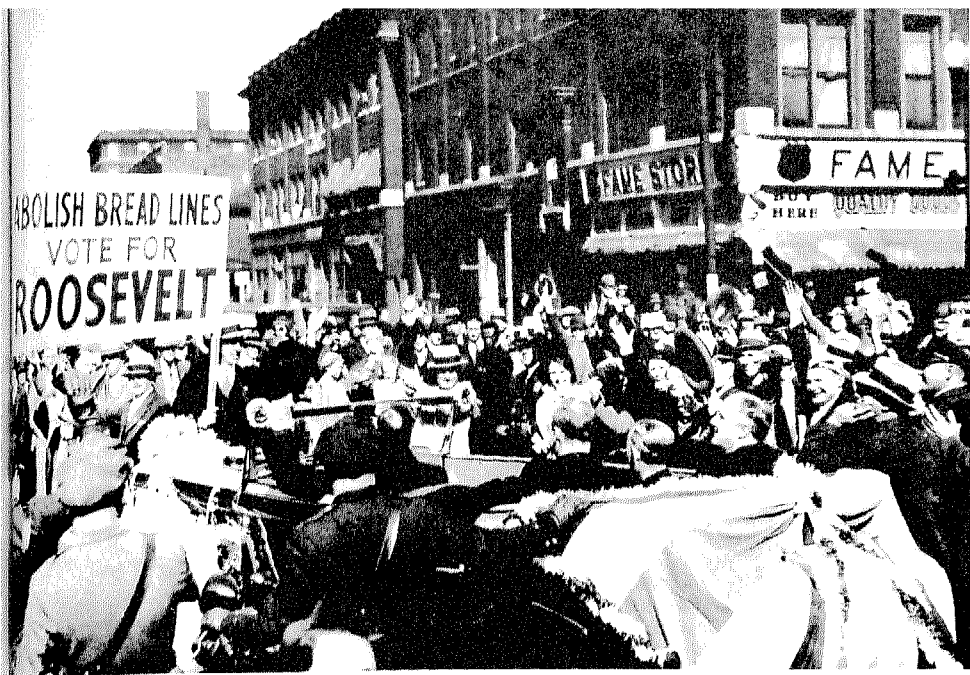
تشاطر كتاب هذا القرن الاهتمام العميق بالإنسان . وكل منهم يسأل بطريقته الخاصة عن طبيعة الإنسان ، وبعضهم يقدم الحلول والبعض الآخر لا يقدم شيئاً . لقد عني « همنجواي » بالشرف ، وتفحص أفعال الناس تحت وطأة الضغط . أما « شتاينبك » و« دوس باسوس » فقد انصب سخطهما على استغلال العمال . وهاجم « ميكن » النزعة الاقليمية الخلية . وانتقد لويس بكل شدة الرأى الاجتماعي . وتعرضت « ويلز كاتر » للروح الريدادية ، بينما أصبح « فينجرالد » يمثل العشرينات . وتعمق افوكدر « واويل » في النفس البشرية .

جون شتاينبك

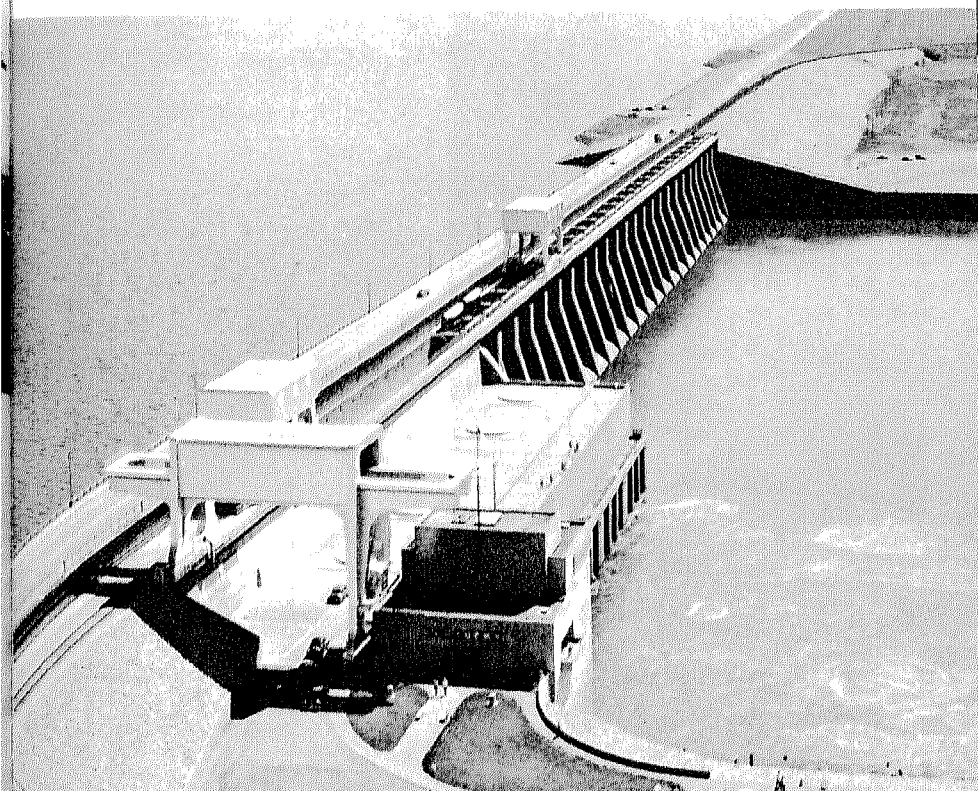


ف. سكوت فينجرالد



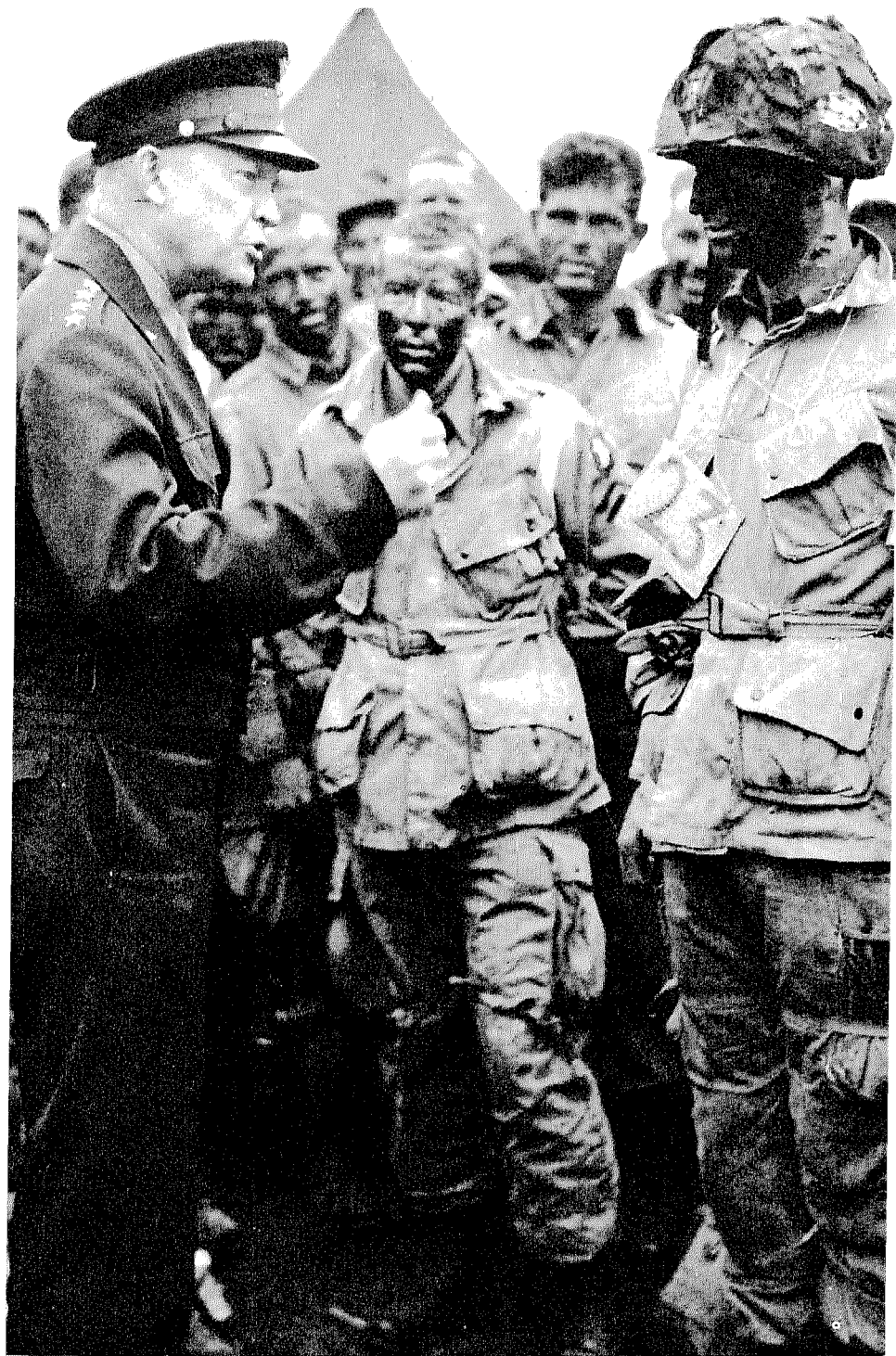


في حملته الانتخابية سنة ١٩٣٢ ، اجتذب فرانكلين د. روزفلت الكثيرين الذين تطلعون إليه للخلاص من الكساد. وكان من المشروعات الأولى التي صادق عليها مشروع انشاء هيئة وادي تيسسي الذي جاء بطلائع الازدهار للجنوب الشرقي .



الكثيرون من المزارعين الذين ناضلوا للتغلب على وطأة
الكساد المالي ، فقدوا كل شيء من جراء عواصف
الغبار التي دفت الجنوب الغربي في ١٩٣٦ ، وقضت
على المحاصيل ودفعت الناس إلى الترواح عن أراضيهم.





في عشية يوم الغزو ، زار الجنرال ايزنهاور القوات التي كانت على وشك أن تغزو « نورماندي » .

الصراع في الخارج والتطور الاجتماعي في الداخل

الأمريكي تفاقمت بسبب السياسات التي اتبعتها الرؤساء الجمهوريون في العشرينيات . ولكن الرئيس هوفر أجاب بأن الاقتصاد الأمريكي كان سليماً بصورة جوهرية وأنه إنما أصابه خلل بسبب انعكاسات لأزمة اقتصادية عالمية ترجع عوالمها الى الحرب العالمية الأولى . وكان يكمن وراء هذا النقاش مغزى واضح هو أن هوفر يجتهد لدرجة كبيرة الاعتماد في علاج الأزمة الاقتصادية على طرق الإنعاش الطبيعية بينما كان روزفلت على استعداد لاستخدام سلطة الحكومة الفيدرالية في توفير علاجات احتيائية جريئة لها . وهكذا أسفرت الانتخابات عن نصر ساحق لروزفلت الذي فاز بعدد من الأصوات بلغ ٢٢,٨٠٠,٠٠٠ صوت مقابل ١٥,٧٠٠,٠٠٠ صوت لمنافسه الرئيس هوفر .

برنامج « العهد الجديد »

وأضفى الرئيس الجديد على مشاكل الساعة جواً من الثقة المرححة ما لبثت أن حشدت صفوف الشعب تحت لوائه . فلم يمحض على توليه منصب الرئاسة سوى وقت قصير حتى كان عدد كبير من الإصلاحات العظيمة المتمثلة في مشروع « العهد الجديد » في سبيلها إلى التنفيذ . ويمكن القول إن « العهد الجديد » كان - من حيث أحد مغايزه - قد أدخل الى الولايات المتحدة عدداً متنوعاً من التشريعات الإصلاحية التي كانت مألوقة للشعب الإنجليزي ، والألماني ، والاسكتلندي لأكثر من جيل مضى . زد على ذلك فإنه يمكن أن يقال بأن « العهد الجديد » إنما كان يمثل الذروة في اتجاه بعيد المدى نحو التحلي عن سياسة « حرية العمل » التي يرجع عهدها الى تسريع قانون السكك الحديدية في ثمانينات القرن الماضي ، وقانون الفيضان والإصلاح القومي في عهد تيودور روزفلت - ويلسون . وكان أهم شيء يثير الدهشة في حركة « العهد الجديد » هو السرعة العظيمة التي فيها أنجزت من الإصلاحات ما لم ينجز في بلاد أخرى طوال أجيال . وكان هناك عدد من إصلاحات « العهد الجديد » تم وضعه بسرعة كبيرة ونفذ بسوء ادارة ، فحاء بعضها ماقضاً للآخر . وفي أثناء فترة « العهد الجديد » أكملها وبالرغم من السرعة العظيمة التي فيها صدرت القرارات وتم تنفيذها ، لم تنقطع أو تتوقف الطريقة الديمقراطية التي كان بواسطتها يوجه أفراد الشعب نقدهم أو يقومون بالمناقشة فيما بينهم . حقاً لقد أوجد « العهد الجديد » انتعاشاً حيواً من حيث الاهتمام بالحكومة من جانب المواطن الفرد .

وحينما أقسم الرئيس روزفلت يمين الولاء كان جهاز المصارف والاعتمادات في حالة شلل ، وسرعان ما فتحت البنوك للعمل على أساس سليم ونفذت سياسة تضخم مالي معتدل للمساعدة على رفع أسعار السلع وتقديم بعض العون للمدنيين . كذلك قامت الحكومة بتوفير تسهيلات سخية في القروض في ميدان الزراعة والصناعة عن طريق وكالات حكومية جديدة ، وصمان المدخرات في البنوك حتى مبلغ ٥,٠٠٠ دولار

للشخص الواحد ، وفرض القوانين الشديدة على الطريقة التي تباع بها الأسهم والسندات في سوق الأوراق المالية .

وفي ميدان الزراعة أنجزت إصلاحات ذات أهمية كبرى . وعلى أثر إلغاء المحكمة العليا لقانون التنظيم الزراعي بعد ثلاث سنين من إقراره ، أصدر الكونجرس قانوناً للإعانة الزراعية أكثر فاعلية ينص على أن تمنح الحكومة إعانات مالية للمزارعين الذين يخصصون جزءاً من أراضيهم لزراعة محاصيل تعمل على صيانة التربة أو المساعدة في تنفيذ الأهداف الزراعية البعيدة المدى . وبحلول عام ١٩٤٠ كان ما يقرب من ستة ملايين مزارع يتلقون المساعدات المالية من الحكومة الاتحادية بموجب هذا البرنامج . وتكفل القانون الجديد بمنح القروض مقابل المحاصيل الفائضة والتأمين على القمح ، وكفل كذلك نظاماً للتخزين لضمان وجود وفرة دائمة من الحبوب . وكان من أثر هذه الاجراءات أن ارتفعت أسعار المنتجات الزراعية ولاح في الأفق إمكان تحقيق استقرار اقتصادي للمزارعين .

وتمة هدف آخر لـ « العهد الجديد » هو توفير الاستقلال لمستأجري المزارع . وقد أنشأت الحكومة الفيدرالية إدارة الضمان الزراعي لتقديم العون المالي من أجل شراء المزارع لحساب المستأجرين بشروط سخية ، واعادت تمويل القروض الزراعية ، وبذلك امتدت أصحاب الرهونات الزراعية بالعون . وفي نفس الوقت كان وزير الخارجية كوردل هل ، يحاول إعادة فتح بعض الأسواق الخارجية بموجب اتفاقيات متبادلة تهدف الى القضاء على الاستبداد الاقتصادي الذي اوجدته التعريفات الجمركية المرتفعة . وقام الوزير هل ، مستنداً في ذلك الى قانون الاتفاقيات التجارية الصادر في يونيو سنة ١٩٣٤ ، بمفاوضات غير مشروطة لتبادل المعاهدات مع كندا ، وكوبا ، وفرنسا ، وروسيا ونحو ٢٠ دولة اخرى . وفي خلال سنة واحدة تحسنت التجارة الأمريكية تحسناً ملحوظاً ، وما أن جاءت سنة ١٩٣٩ حتى بلغ إيراد المزارع ضعف ما كان عليه قبل سبعة أعوام .

وفي السنوات الأولى لتسلم حكومة الرئيس روزفلت زمام السلطة في البلاد مر برنامج « العهد الجديد » للصناعة في مرحلة اختبارية . ففي سنة ١٩٣٣ أنشئت إدارة للإنعاش القومي بصفة رئيسية على أساس الفكرة بأن الأزمة الاقتصادية يمكن حلها عن طريق تحديد الإنتاج ووضع أسعار مرتفعة للمنتجات . ولكن حتى قبل اعلان المحكمة العليا ، في مايو سنة ١٩٣٥ ، عدم دستورية هذه الادارة ، كانت تعتبر غير ناجحة إلى حد كبير . وفي هذا الوقت كانت قد بدأت حركة نحو تحقيق الإنعاش بتحفيز من سياسات بعض الإدارات الأخرى ، وسرعان ما تراجعت إدارة الإنعاش القومي عن خططها وشرعت تعمل على أساس الافتراض أن الأسعار المحددة في بعض مجالات المشروعات والأعمال إنما تمثل عبئاً ثقيلاً على الاقتصاد القومي وحاجزاً يعترض سبيل الإنعاش . وباستمرار النجاح نحو تحقيق الانتعاش ، أنفقت الحكومة الفيدرالية آلاف الملايين

الصراع في الخارج والتطور الاجتماعي في الداخل

من الدولارات في مشروعات إغاثة العاطلين ، والأشغال العامة ، والمحافظة على المصادر القومية . وعن طريق هذه النفقات توافرت طلبات جديدة في الداخل على منتجات الصناعة الأمريكية .

وفي أثناء فترة « العهد الجديد » حققت العمالة المنظمة مكاسب أوفر مما حققتها في أي وقت مضى في تاريخ أمريكا . فقد ضمن القسم ٧ (١) من قانون إدارة الإنعاش القومي للعمال حق المساواة الجماعية ، وفي شهر يوليو سنة ١٩٣٥ - ولكي يتحقق استبدال النصوص الخاصة بالعمال في قانون إدارة الإنعاش القومي المنحلة - وافق الكونجرس على قانون العلاقات العمالية القومي الذي نص على إنشاء مجلس للعمال للإشراف على طريقة سير المساواة الجماعية ، وإدارة الانتخابات وضمان للعمال ، الحق في اختيار المنظمة التي تمثلهم في المعاملة مع أصحاب العمل .

غير أن اتحاد العمال الأمريكيين بما لديه من مهارات اتحادية كان بطيئاً في تنظيم العمال غير المنظمين . وبعض النقابات الجماهيرية غير الراضية عن الحالة ، انفصلت عن الاتحاد وأنشأت « مؤتمر المنظمات الصناعية » وقامت هذه المنظمة بتنفيذ حملة تنظيمية ناجحة جداً لاسيما في الصناعات الرئيسية مثل صناعة السيارات وصناعة الصلب مما حفز اتحاد العمال الأمريكيين على استعادة نشاطه وحيويته لكي يستطيع منافسة « مؤتمر المنظمات الصناعية » فارتفع عدد العمال المنظمين من ٤ مليون في سنة ١٩٢٩ الى ١١ مليون في سنة ١٩٣٩ و١٦ مليون في سنة ١٩٤٨ . وبازدياد الاهتمام العام بالسياسة بين العمال المنظمين ازداد كذلك نفوذ العمال ليس في الصناعة فحسب بل في التثؤن السياسية أيضاً . وكان العمال يمارسون نفوذهم هذا في إطار الحزبين الكبيرين القائمين ، ورغم أن الحزب الديمقراطي كان يحظى عادة بمساندة أكثر مما يحظى به الحزب الجمهوري بصفة عامة ، لم يظهر أي حزب عمالي إلى حير الوجود .

قوانين التأمين الاجتماعي

وأدى تفاقم مشكلة الشيخوخة ، والبطالة ، والعيالة - وهو موضوع طال النقاش فيه - إلى سن قانون التأمين الاجتماعي لعام ١٩٣٥ ، الذي كفل المعاشات المناسبة لفئات عديدة من العمال لدى بلوغهم سن الخامسة والستين . وقد أنشئ صندوق خاص لهذا الغرض بمساهمة من العمال وأرباب العمل . وعهد إلى الولايات بإدارة برنامج توفير المساعدات المالية في حالة البطالة للعمال العاطلين في جميع الأعمار ، على أن يمول باعتادات تجمع عن طريق فرض ضريبة فيديرالية إجبارية على المرتبات ، وما إن جاءت سنة ١٩٣٨ حتى كان لكل ولاية شكل من أشكال التأمين ضد البطالة .

وقد أدى تكرار الجذب والقحط خلال الثلاثينيات من هذا القرن إلى وضع قانون « ضبط الفيضان » الذي نص على إنشاء سلسلة من الخزانات الكبيرة وسدود القوة

الكهربائية وكذلك آلاف كثيرة من السدود الصغيرة . ومن أجل مكافحة تآكل التربة ، ولا سيما في سهول الغرب الأوسط ، الناجم عن سوء استعمال التروات الطبيعية الوفيرة ، اسرع المسؤولون في تنفيذ برنامج ضخم لصيانة التربة شمل زراعة اعداد كبيرة من الأشجار . ومن بين الأعمال الأخرى الهامة التي تم إنجازها تطهير الجداول من الأقدار ، وإشياء أماكن لتكاثر الأسماك والطيور وحيوانات الصيد ، والمحافظة على مستودعات ورواسد الفحم ، والبترو ، وصحور اليرت الحجري ، والغاز ، والصوديوم . والحليوم ، وعلق بعض المراعي ، وزيادة الغابات القومية زيادة كبيرة . ولعل الإجراء الوحيد الذي حظي بأهمية بالغة في المستقبل من بين جميع هذه الإجراءات كان يتمثل في إنشاء هيئة وادي تينيسي التي ما لست أن جعلت المشروع معملاً شاملاً للقيام بالاختبارات والتجارب الاجتماعية والاقتصادية . فبالإضافة إلى السدود الرئيسية الموجودة في ثلاث ولايات على طول نهر تينيسي ، اقيمت سلسلة من السدود الفرعية لا لتحسين الملاحة وضبط الفيضانات وإنتاج الترات فحسب ، بل وكذلك لتوليد القوى الكهربائية . وقد أنشأت الحكومة ما يقرب من ستة آلاف كيلومتر من خطوط الإرسال اللاسلكية كما باعت القوة الكهربائية إلى الشركات والمجتمعات المجاورة بأسعار مخفضة لكي تتيح انتشار الاستهلاك . وعملت مساعدة مالية لهيئة مشروع وادي تينيسي على دفع النفقات اللازمة لمناطق الريفية بالكهرباء . كذلك عملت الهيئة على الحيلولة دون زراعة الأراضي الواقعة على الحدود ، وعلى مساعدة المزارعين على العثور على أراض زراعية جديدة ، وقامت بالاختبارات والتجارب الزراعية لا سيما فيما يتعلق باستخدام سماد الفوسفات ، وحست وسائل الصحة العامة والمرافق الترفيهية .

برامج أخرى « للعهد الجديد »

وكانت جميع المشروعات في « العهد الجديد » تنفذ في ظل ضغط من النقد الشديد ليس من جانب الحزب الجمهوري فحسب بل وفي معظم الأحيان من داخل الحزب الديمقراطي ذاته . ومع ذلك فقد أسفرت انتخابات عام ١٩٣٦ عن فوز ساحق في صالح روزفلت على منافسه الجمهوري (وكان في هذه المرة الفرد لاندون من كنساس) فاق ما حصل عليه في عام ١٩٣٢ .

وفي الفترة ما بين عامي ١٩٣٢ و ١٩٣٨ احتدمت المناقشات العامة فيما تعنيه سياسات « العهد الجديد » في مجال الحياة السياسية والاقتصادية القومية . فقد بدا واضحاً ان التصور الأمريكي للحكم قد تغير ، وأن تمتع الحكومة بمزيد من المسؤولية لتحقيق رفاهية الشعب أصبح ينال القبول المتزايد . وشرع بعض نقاد « العهد الجديد » يجادلون بأن التوسع غير المحدود في الوظائف الحكومية لا بد من أن يؤول في النهاية إلى تقويض جميع الحريات التي يتمتع بها الشعب ، وقد أصر الرئيس روزفلت على أن الإجراءات

التي تكفل الرفاهية الاقتصادية ستعزز من شأن الحرية والديمقراطية .
وفي كلمة على الراديو ألقاها في عام ١٩٣٨ دُكر الرئيس روزفلت الشعب الأمريكي :
« إن الديمقراطية قد اختفت في عدة بلدان عظيمة أخرى ليس لأن شعوب هذه البلاد كرهت الديمقراطية بل لأنها سئمت البطالة والخطر الذي تراه يهدد أولادهم بالجوع بينما هم جالسون لا حول لهم ولا قوة في وجه ارتباط الحكم وضعف الحكومة بسبب الافتقار إلى القيادة في الحكم ، وفي النهاية لم يكن لهم من مناص وهم في بأسهم سوى أن يختاروا التضحية بالحرية في سبيل الحصول على لقمة العيش . ونحن هنا في أمريكا نعلم أن نظمنا الديمقراطية يمكن صيانتها وتحقيق أهدافها ، ولكن لكي نتمكن من المحافظة عليها نحتاج إلى أن نثبت أن الإدارة العملية للحكم الديمقراطي هي موازية لمهمة حماية التأمين الاجتماعي للشعب . إن الشعب الأمريكي ملتف في الرأي على الدفاع عن حرياته بأي ثمن وعلى أن الخط الأول لهذا الدفاع إنما يكن وراء حماية التأمين الاقتصادي » .
وقبل ان ينتهي روزفلت من اعداد حملته الانتخابية للرئاسة لدورة ثانية ، حجب برنامجه الداخلي خطر جديد لم يلاحظه الأمريكي العادي - يتمثل في خطط الحكومات الدكتاتورية التوسعية في اليابان وإيطاليا وألمانيا . وكانت اليابان قد وجهت ضربتها في أوائل العقد الرابع من القرن العشرين فقامت بغزو منشوريا في سنة ١٩٣١ وقضت على مقاومة الصينيين ، ثم أنشأت بعد ذلك بعام دولة مانتشوكو الصينية . وكانت إيطاليا قد رضخت للنظام العاشي فوسعت حدودها في ليبيا ثم قامت ، في الفترة بين عامي ١٩٣٥ و ١٩٣٦ ، بإخضاع إثيوبيا لحكمها . أما ألمانيا ، حيث قام أدولف هتلر بتنظيم حزبه الاشتراكي القومي والاستيلاء على مقاليد الحكم ، فقد احتلت منطقة الراين الثانية وشرعت تسلح نفسها على نطاق واسع .

الدكتاتوريات تشعل نيران الحرب العالمية الثانية

أخذ القلق يساور الأمريكيين حينما وضحت حقيقة طبيعة الدكتاتورية ثم بدأ هذا القلق يتطور إلى نفقة عارمة من جراء تمادي ألمانيا وإيطاليا واليابان في عدوانها . وفي سنة ١٩٣٨ ، وبعد أن ضم هتلر النمسا إلى الرايخ ، أخذ يطالب بإقليم السوديت في تشيكوسلوفاكيا فبدأ الأمريكيين أن الحرب وشيكة الوقوع في أوروبا في أية لحظة . فقام الأمريكيون الذين فجعوا بما مني به الجهاد من أجل الديمقراطية في الحرب العالمية الأولى من إخفاق - يعلنون أن أحداً من المتحاربين لا يمكن أن يظفر بأية مساعدة أمريكية مهما كانت الظروف . وقد أدت تشريعات الحياد التي سنت تدريجياً خلال السنوات من ١٩٣٥ إلى ١٩٣٧ ، إلى تحريم التجارة بين أمريكا وأية دولة من الدول المتحاربة أو منحها القروض المالية . وكان الهدف من ذلك هو الحيلولة بأي ثمن بين الولايات المتحدة وبين دخولها في أية حرب خارج القارة الأمريكية .

وعارض الرئيس روزفلت ووزير الخارجية مستر هل هذه التشريعات منذ البداية . فرض الرئيس ، الذي عمل كثيراً على تقوية البحرية الأمريكية ، الاعتراف بدولة منشوكو الصورية ، وتمكن مع هل ، من احراز تقدم ملحوظ في إيجاد تضامن وثيق بين أم نصف الكرة الغربي عن طريق سياسة حسن الجوار . ولما أعيد في سنة ١٩٣٥ إقرار معاهدات تبادل التجارة التي أبرمها هل قامت الولايات المتحدة بعقد معاهدات مع ست من دول أمريكا اللاتينية تتعهد فيها جميعاً بعدم الاعتراف بأية تغييرات إقليمية تغتصب بالقوة .

وقد ازدادت الروح الأمريكية صلابة وقوة بعدوان هتلر على بولندة ، والدانمارك والنرويج ، وهولندة ، وبلجيكا ، وفرنسا ، وبالرغم من ان شعور الأمريكيين كان في بادئ الأمر يمثل في بقاء أمريكا بعيدة عن الصراع الأوروبي فقد أصبحوا مقتنعين في النهاية بان وجود مجموعة من القوى تهدد امن اوروبا لا بد وان يشكل خطراً على امن الولايات المتحدة ايضاً . وعزز هذا الاقتناع سقوط فرنسا الذي كشف عن قوة المانيا النازية العسكرية . ولما بدأ الهجوم الجوي على بريطانيا في صيف عام ١٩٤٠ لم يبق بين الأمريكيين من يفكر بعقلية محايدة سوى أقلية ضئيلة . وانضمت الولايات المتحدة الى كندا في مجلس مشترك للدفاع واستجمعت حولها جمهوريات أمريكا اللاتينية للمحافظة الجماعية على ممتلكات الامم الديمقراطية في نصف الكرة الغربي . وامام هذه الأزمة الخطيرة وافق الكونجرس على فتح اعتمادات ضخمة للتسلح . وفي سبتمبر ١٩٤٠ أقر أول قانون للتجنيد الاكراهي في ايام السلم ، في تاريخ أمريكا .

وفي غمرة هذه الظروف حلت فترة الانتخابات للرئاسة في أمريكا لسنة ١٩٤٠ ، فأظهرت وحدة شاملة في الشعور الأمريكي . فقد كانت تنقص منافس روزفلت ، ويندل ويلكي ، عوامل جوهرية بمساندته لسياسة الرئيس الخارجية وموافقته على جزء كبير من برنامج روزفلت الخاص بالشؤون الداخلية . وهكذا اسفرت انتخابات نوفمبر عن فوز روزفلت مرة أخرى بأغلبية عظيمة . فكان بذلك اول رئيس ينتخب لفترة ثالثة في تاريخ أمريكا .

وبينا كان معظم الأمريكيين يرقبون سير الحرب في أوروبا بلغ التوتر أشده في الشرق الأقصى . ولما كانت اليابان متحمسة لانتهاز الفرصة لتحسن من مركزها الاستراتيجي فقد أعلنت في جرة إنشاء « نظام جديد » تمارس بمقتضاه السيادة على أرجاء الشرق الأقصى والمحيط الهادي بأجمعه . ولم تكن بريطانيا في وضع يمكنها من المقاومة فأخذت تتقهقر ساحبة قواتها من شانجهاي ومغلقة طريق بورما بصفة مؤقتة . وتمكنت اليابان في سنة ١٩٤٠ من أن تنتزع من حكومة فيشي الضعيفة تصريحاً بالسماح لها باستخدام المطارات في الهند الصينية الفرنسية . وفي شهر سبتمبر انضم اليابانيون الى محورووما - برلين فأسرعت الولايات المتحدة وفرضت الحظر على شحن الحديد الخردة إلى اليابان

الولايات المتحدة تدخل الحرب

بدا الأمر في عام ١٩٤٠ وكان اليابانيون قد يطلقون إلى الجيوب نحو الزيت ، والصفيح ، والمطاط المتوافر في الملايو البريطانية وجزر الهند الهولندية . وفي شهر يولييه سنة ١٩٤١ حينما سمحت حكومة فيشي للقوات اليابانية باحتلال الجزء المتبقى من الهند الصينية ، قامت الولايات المتحدة بتجميد أموال اليابانيين المودعة لديها . وفي ١٩ نوفمبر كانت حكومة الحنرال توجو قد تسلمت زمام الحكم في اليابان فأرسلت الى الولايات المتحدة سفيراً خاصاً وهو ساكوراوكو الذي أعلن أن الغرض من مهمته هو التفاوض للوصول إلى تفاهم سلمي . وفي ٦ ديسمبر وجه الرئيس روزفلت الى الإمبراطور الياباني نداءً شخصياً يناشده فيه تحقيق السلام . وفي صبيحة اليوم السابع من شهر ديسمبر جاء رد اليابان في شكل وابل من القنابل ألقتها طائراتها على الاسطول الأمريكي والمنشآت الدفاعية في بيرل هاربور .

وإذ أخذت الإذاعة تذيع على ملايين الأمريكيين تفاصيل الغارات اليابانية على هاواي ، وميدواي ، وويك ، وجوام ، تحول الشك عندهم الى غضب على ما أمماه الرئيس روزفلت « هجوماً خسيساً لا مبرر له » . وفي ٨ ديسمبر أعلن الكونجرس حالة الحرب مع اليابان ، وبعد ثلاثة أيام أعلنت ألمانيا وإيطاليا الحرب على الولايات المتحدة . وعندما وجه الرئيس روزفلت ، في ٩ ديسمبر ١٩٤١ ، رسالته إلى الشعب الأمريكي قال مذكراً : « إن الهدف الحقيقي الذي نسعى نحن الأمريكيين إلى تحقيقه هو أسمى وأبعد مرمى من ميدان القتال البغيض . ونحن عندما نلجأ إلى القوة ، كما يتحتم علينا أن نعمل الآن ، فإننا مصممون على أن هذه القوة يجب أن توجه الى تحقيق الخير العميم والقضاء على الشر المبائر . إننا نحن الأمريكيين لسنا بهدامين وإنما بناءون » .

وسرعان ما وطدت الأمة نفسها على الحرب التي تطلبت تعبئة قواتها البشرية ومقدرتها الصناعية بأكملها . وفي ٦ يناير سنة ١٩٤٢ أعلن الرئيس روزفلت أهداف الإنتاج مطالباً بإنتاج ٦٠ ألف طائرة في تلك السنة ، ٤٥ ألف دبابة ، و ٢٠ ألف مدفع مضاد للطائرات ، وسفن تجارية تعادل حمولتها ١٨ مليون طن . وهكذا خضع كل نشاط الأمة - من زراعة ، وصناعة ، وتعبدين ، وتجارة ، وأعمال ، واستثمار ، ومواصلات بل وتعليم وثقافة - لرقابة جديدة واسعة النطاق . وكانت الضرورة تقضي بتجهيز أموال طائلة وإنشاء صناعات جديدة عظيمة وأساليب فنية حديثة مذهشة كما كانت عليه الحال بالنسبة للإنتاج الجماعي في السفن والطائرات . وحدثت تنقلات عظيمة في السكان ، وبلغ مجموع القوات المسلحة في الولايات المتحدة بمقتضى عدد من القوانين التي صدرت بشأن التجنيد الإجباري ١٥,١٠٠,٠٠٠ رجل . وفي نهاية سنة ١٩٤٣ كان هناك ما يقرب من ٦٥ مليوناً من الرجال والنساء إما في القوات المسلحة وإما في أعمال حيوية أخرى . وكان قد تقرر بعد اضطراب الولايات المتحدة الدخول في الحرب أن يركز المجهود

الحربي الحيوي للحلفاء الغربيين في أوروبا حيث توجد القوة الرئيسية للعدو، وأن يكون الاهتمام بميدان القتال في المحيط الهادي في درجة ثانوية. ومع ذلك فقد شهد المحيط الهادي في سنة ١٩٤٢ أولى الانتصارات الأمريكية الهامة التي حققها الأسطول الأمريكي بمساعدة إحدى حاملات الطائرات التابعة له.

وفي شهر مايو سنة ١٩٤٢ تكبد الأسطول الياباني خسائر فادحة في معركة بحر المرجان مما اضطره إلى أن يعدل عن توجيه ضربته إلى أستراليا. وفي شهر يونيو ألحقت الطائرات الأمريكية ضرراً بالغا في أسطول ياباني صغير بالقرب من جزيرة ميداوي. وفي شهر أغسطس قام سلاح الجيش والبحرية الأمريكي بعمليات حربية موحدة نتج عنها نزول الجنود الأمريكيين في «جواد الكنال»، كما أحرز الأسطول الأمريكي نصراً آخر في معركة بحر بسمارك. وبعد ذلك ازداد الأمل في إحراز الأمريكيين لانتصارات أخرى حينما أصبح الأسطول الأمريكي أكثر عدداً وأعظم مقدرة نتيجة للزيادة الكبيرة في الإنتاج في أحواض بناء السفن الأمريكية.

الحلفاء يهزمون قوات المحور

كانت المهمات الحربية في هذا الوقت تتدفق إلى مسرح الحرب في أوروبا. وفي ربيع وصيف سنة ١٩٤٢، أجبحت القوات البريطانية الهجوم الذي كان هدفه الاستيلاء على مصر، ثم دحرت قوات رومل على أعقابها في طرابلس واضعة بذلك حداً لتهديد السويس.

وفي ٧ نوفمبر سنة ١٩٤٢، نزل جيش أمريكي على ساحل أفريقيا الشمالي الفرنسي وانزل بعد معارك مريرة هزائم نكراء بالجنود الايطاليين والألمان، وأسروا ٣٤٩,٠٠٠ جندي، وما إن جاء منتصف صيف سنة ١٩٤٣ حتى كان ساحل البحر الأبيض المتوسط الجنوبي قد تم تطهيره من القوات الفاشية. وفي شهر سبتمبر، وقعت الحكومة الإيطالية الجديدة التي يرأسها المارشال بادوليو هدنة مع الحلفاء، وفي شهر أكتوبر أعلنت إيطاليا الحرب على ألمانيا. وبينما كانت المعارك ما تزال دائرة في إيطاليا، قامت قوات الحلفاء بغارات جوية مدمرة على الطرق الحديدية والمصانع، وتجمعات الأسلحة الألمانية. كما تسفت مستودعات الزيت الألمانية بمدينة بلوستي، برومانيا، في قلب القارة الأوروبية.

وفي أواخر سنة ١٩٤٣ قرر الحلفاء، بعد جدال فيما بينهم على الخطط الحربية، فتح ميدان قتال في غرب أوروبا لأكره الألمان على تحويل عدد من قواتهم من جبهة القتال الروسية، أعظم بكثير مما يمكن لهم أن يستخدموه في إيطاليا. وعين الحلفاء الجنرال دوايت أيزنهاور قائداً عاماً للقوات الحليفة. وفي ٦ يونيو، وبينما كان السوفييت يقومون بهجوم سوفيتي مضاد، نزلت طلائع الجيش الأمريكي - البريطاني على شواطئ نورماندي تحت حماية قوة جوية متفوقة، واستطاعت أن تسيطر على منطقة الساحل،

الصراع في الخارج والتطور الاجتماعي في الداخل

ثم بدأت القوات الحليفة تندفق لتعزيزها وتمكنت من إبادة عدة فرق من المدافعين الألمان في تحركاتها على شكل كماشة . ثم أخذت الجيوش الحليفة تتحرك مخترقة فرنسا إلى ألمانيا عبر خطوط دفاعية هائلة .

وفي ٢٥ أغسطس استردت الجيوش الحليفة باريس ، وعندما وصلت إلى حدود ألمانيا لم تستطع التقدم في زحفها ، بسبب المقاومة العنيدة للقوات الألمانية ولكن في شهري فبراير ومارس سنة ١٩٤٥ كان جنود الحلفاء يتقدمون في زحفهم على ألمانيا من الغرب ، وكانت الجيوش الألمانية تتقهقر أمام الجيش الروسي إلى الشرق ، وما إن جاء اليوم الثامن من شهر مايو حتى قام ما تبقى من الرايخ الثالث بتسليم قواته البرية والبحرية والجوية للحلفاء .

في هذا الوقت كانت القوات الأمريكية تحرر تقدماً عظيماً في المحيط الهادي . فبينما كانت الجيوش الأمريكية والاسترالية تشق طريقها شمالاً مطهرة جزر السولومون ، وبريطانيا الجديدة ، وغينيا الجديدة ، وبوجينفيل من العدو أخذت القوات البحرية المتزايدة تعمل على القضاء على خطوط الإمدادات اليابانية

الحرب تضع أوزارها

وفي أكتوبر ١٩٤٤ حقق الأسطول الأمريكي نصراً كبيراً في بحر الفلبين ، ولكن العمليات الحربية التي اتحدت بعد ذلك للاستيلاء على أيوجيما وأوكيناوا أثبتت أن المقاومة اليابانية قد تطول بالرغم من الموقف اليائس الذي كان عليه اليابانيون . بيد أن الحرب مع اليابان توقفت فجأة في شهر أغسطس بإلقاء القنقلة الذرية على هيروشيما وناجازاكي ، وفي ٢ سبتمبر ١٩٤٥ استسلمت اليابان رسمياً .

وصاحب الأعمال الحربية للحلفاء عدد من الاجتماعات الدولية الهامة الخاصة ببحث النواحي السياسية للحرب . وكان أول هذه الاجتماعات قد عقد في شهر أغسطس ١٩٤١ بين الرئيس روزفلت وونستون تشرشل ، رئيس الوزارة البريطانية ، في وقت لم تكن الولايات المتحدة متورطة فيه عملياً في الحرب ، وكان الموقف العسكري بين بريطانيا وروسيا يبدو كئيماً . وفي هذا الاجتماع الذي تم على ظهر مدمرة في المحيط الأطلسي بالقرب من نيوفوندلاند ، أصدر روزفلت وتشرشل بياناً - ميثاق الأطلسي - يوضحان فيه الأغراض التي كانت الدول الحليفة تستهدفها من وراء دخولها الحرب وهي : تحريم التوسع الإقليمي ، أو إحداث أي تغييرات إقليمية بدون موافقة الشعوب التي يعينها الأمر ، وإقرار حق الناس كافة في اختيار نوع الحكم الذي يلائمهم ، وإعادة الحكم الذاتي للشعوب التي حرمت منه ، والتعاون الاقتصادي بين جميع الأمم ، وتحرر سائر الشعوب من الحرب ، والخوف ، والحاجة ، وحرية البحار ، ونبذ استعمال العنف كأداة للسياسة الدولية .

وفي يناير ١٩٤٣ عقد مؤتمر بريطاني - أمريكي في الدار البيضاء تقرر فيه ألا يعقد صلح مع دول المحور والدول البلقانية السائرة في فلكتها إلا على أساس « التسليم غير المشروط » . وكان الغرض من هذا النص الذي أصرَّ عليه الرئيس روزفلت ، هو التأكيد لجميع شعوب الدول المقاتلة أنه لن تجري مفاوضات صلح مع ممثلي النظامين الفاشي والنازي ، ولن تقبل أية مساومات مهما كان نوعها من جانب مثل هؤلاء الممثلين لإيقاد ما تبقى من نفوذهم ، ولن توضع أية شروط نهائية للصلح مع شعوب ألمانيا ، وإيطاليا ، واليابان قبل أن يعلن سادتها العسكريون المسيطرون عليها أمام العالم كله هزيمتهم التامة .

وفي أغسطس ١٩٤٣ عقد الانجليز والأمريكيون مؤتمراً في كيوبيك بحثوا فيه خطط العمل ضد اليابان وغيرها من نواحي الاستراتيجية الحربية والدبلوماسية . وبعد ذلك بشهرين عقد وزراء خارجية بريطانيا ، وأمريكا ، وروسيا اجتماعاً في موسكو ، اكثروا فيه مجدداً سياسة التسليم دون قيد أو شرط . ونادوا بوجوب وضع حد للفاشية الإيطالية واعادة استقلال النمسا ، كما اكثروا وجوب التعاون بين الدول الحليفة بعد الحرب ، لتحقيق السلام .

وفي القاهرة ، اجتمع يوم ٢٢ نوفمبر ١٩٤٣ روزفلت وتشرشل وشيان كاي شك للاتفاق على شروط الصلح مع اليابان تضمنت التخلي عن المكاسب التي حققتها اليابان في عدوان سابق .

وفي ٢٨ نوفمبر ، وفي اجتماع عقد في طهران ، اكثروا روزفلت وتشرشل وستالين الشروط التي وضعت في مؤتمر موسكو ونادوا من أجل العمل على تحقيق سلام دائم عن طريق الأمم المتحدة . وما كادت تمضي سنتان حتى عقدوا اجتماعاً في يالطا في شهر فبراير سنة ١٩٤٥ ، وكان النصر للحلفاء يبدو مؤكداً فتوصلوا الى اتفاقات أخرى تتمثل في موافقة روسيا سرّاً على الدخول في الحرب ضد اليابان بعد فترة وجيزة من تسليم ألمانيا ، وجعل الحدود الشرقية لبولندا عند خط كوزون لسنة ١٩١٩ تقريباً ، وتأجيل اتخاذ قرار بصدد دفع ألمانيا تعويضات عينية باهظة عن الحرب عقب مناقشات دارت بين ستالين الذي كان يطالب بها روزفلت وتشرشل اللذين كانا يعارضانها ، ووضع ترتيبات معينة بشأن احتلال الحلفاء لألمانيا ومحاكمة ومعاقبة مجرمي الحرب ، وتأكيده مبادئ ميثاق الأطلسي بالنسبة لشعوب المناطق المتحررة .

كذلك تم الاتفاق في يالطا على أن يكون للدول الأعضاء في مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة حق الفيتو فيما يتعلق بالمسائل المتصلة بأمنها ، وتم الاتفاق أيضاً بعد نقاش طويل وخلاف في الرأي بين روزفلت من جهة وستالين وتشرشل من جهة أخرى ، على أن جميع الدول تؤيد الاتحاد السوفيتي في مطالبته الحصول على صوتين إضافيين في الجمعية العامة للأمم المتحدة على أساس عدد السكان الصخيم لأوكرانيا وروسيا البيضاء . وبعد مضي شهرين على عودة الرئيس فرانكلين روزفلت من يالطة ، وافته المنية

بسبب زيف في المخ فيما كان يقضي اجازة قصيرة في جورجيا . ولعل شخصيات قليلة في التاريخ الأمريكي اثار موتها من الحزن العميق في النفوس ما اتاره موت روزفلت . ولفترة من الوقت عانى الشعب الأمريكي من شعور قوي انتابه بانها كانت حسارة لا تعوض . وفي هذه الاثناء تسلم نائب الرئيس هاري ترومان اعباء الرئاسة وبدأ فترة من الزعامة الفعالة اساسها مواصلة العمل لتحقيق الأهداف الحيوية لسياسة « العهد الجديد » في الميدانين الداخلي والخارجي .

وفي ٧ مايو سنة ١٩٤٥ استسلمت المانيا للحلفاء . وفي شهر يوليو اجتمعت بريطانيا والولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي في بوتسدام لوضع سياسة لاحتلال المانيا وبرنامج لمستقبلها . وقد تم الاتفاق في هذا الاجتماع على أن تترك لالمانيا طاقة صناعية كافية لتوفير اقتصاد وافر من السلم وألا يتوافر لديها فائض من المال الاحتياطي تستطيع به بناء جهاز حربي مرة اخرى ، وأن يقدم النازيون المعروفون من الألمان للمحاكمة ويعاقبوا بالإعدام إذا ما ثبت عليهم تهمة الاشتراك في المحازر الشعة التي حتمتها الخطة النازية .

ووافق المؤتمر على ضرورة المساعدة في إعادة تثقيف الجيل الألماني الذي ترعرع تحت نظام النازية ووضع الخطوط العريضة التي تتحكم في عودة الحياة الديمقراطية في المانيا . وبحث المجتمعون كذلك موضوع المطالبة بتعويضات حربية من المانيا ، ووضعوا الشروط لنقل الاتحاد السوفيتي للمصانع الصناعية وبعض الممتلكات من المنطقة التي تحتلها القوات الروسية وكذلك بعض الممتلكات الإضافية من القطاعات الغربية ، ولكن مطلب الروس الذي كانوا قد أثاروه في يالطا والخاص بدفع المانيا تعويضات للحلفاء يبلغ مجموعها ١٠,٠٠٠ مليون دولار ظل موضوع أخذ ورد .

وفي شهر نوفمبر سنة ١٩٤٥ جرت محاكمة مجرمي الحرب البازين في نورنبرج وفقاً لما جاء في شروط مؤتمر بوتسدام ، أمام هيئة من القضاة البارزين من بريطانيا ، وفرنسا ، والاتحاد السوفيتي ، والولايات المتحدة . وكانت التهمة التي وجهت الى الزعماء الألمان لا تتمثل في القيام بالمؤامرات وشن حرب عدوانية فحسب ، بل وفي خرق قوانين الحرب والإنسانية ، وقد دامت المحاكمة أكثر من عشرة شهور وأسفرت عن إدانة جميع المتهمين فيما عدا ثلاثة منهم .

أمريكا في العصر الحديث

« . . . علينا أن ندرك بأن لبس هناك مستودع أسلحه أو
أسلحه في مستودعات العالم هي في قوة ارادة الرجال والنساء
الاحرار وسجاعتهم الأدبيه » .

رونالد ريغان

في خطابه التصيبي في

٢٠ كانون الثاني/يناير ١٩٨١

في ٢٥ ابريل ، عندما كانت الحرب الدائرة في اوروبا يجتاز مراحلها الاخيره ، اجتمع
ممثلون عن خمسين دولة في سان فرانسيسكو لكي يضعوا اطار الامم المتحدة . وقد حدد
الدستور الذي وضعوه ، معالم منظمة عالمية يمكن فيها ان تبجح الخلافات الدولية سلميا
وتبني قضايا مشتركة ضد الجوع والمرض . وحلafa للموقف الذي اتخذه مجلس السيوخ بعد
الحرب العالمية الاولى عندما رفض انضمام الولايات المتحدة الى عصبة الامم . اقر على
الفورميباى الامم المتحدة بتسعة وثلاثين صوتا مقابل صوتين . وقد ائت هذا الاجرا- نهاية
روح العزلة كمعصر مسيطر في السياسة الخارجية الامريكية ، واسعر العالم ان الولايات
المتحدة عازمة على ان تلعب دورا رئيسيا في الشؤون الدولية .

وبعد استسلام اليابان في سهر اغسطس من عام ١٩٤٥ ، وجه الشعب الامريكي معظم
اهتمامه نحو المسائل الداخلية ، وكان في متدتها اعاده دمج ملايين الجنود العائدين ، في
الحياة المدنية . وفي غضون سنتين انخفض عدد الاسخاص الذين يرتدون بزاب عسكرية
من ١٢ مليونا الى مليون ونصف مليون . وسهل القانون الخاص باعادة تكيف الجنود
المسرحين الصادر عام ١٩٤٤ ، المعروف عموما بنانون جنوف المجندن ، عملية الانتقال
من الحياة العسكرية الى الحياة المدنية ، عن طريق توفير فروض حكومية لتمكين هدماء
المحاربين من شراء منازل وادارة اعمال تجارية او مزارع والحصول على تدريب اساء
العمل . كذلك فضى النانون بدفع نفقات التعليم الجامعي لاکثر من مليوني جندي

مشرح .

وفد انتقل الاقتصاد الأمريكي من الحرب الى السلم دون أن تكون هناك بطالة خطيرة . فالطلب المتزايد على السلع الاستهلاكية نتيجة ندرة تلك السلع أثناء الحرب ، وارتفاع الاجور والمذحرات المتراكمة . مضافا اليها زيادة في عدد السكان ، اجتمعت كلها لتنشط التوسع الصناعي . وحلال المدة بين ١٩٤٥ و ١٩٤٨ ارتفع عدد العمال الموظفين من ٥٤ مليوناً الى أكثر من ٦١ مليوناً . كما ان الاجور سجلت ارتفاعاً ملموساً رغم تضخم الاسعار في فترة ما بعد الحرب .

بيد أن الازدهار جلب معه مشاكل جديدة . فشركات الابنيه لم يتمكن من تنبيد مساكن كافيه لتلبية الطلب ، كما ان صناعه السيارات لم تستطع أن تلبي الطلبات الجديدة . وارتفعت الاسعار ارتفاعاً مفاجئاً مما أوجد مخاوف من حدوث تضخم سريع ، غير ان الاسعار استقرت بحلول عام ١٩٤٨ عندما أصبح توفر السلع موارداً تقريباً للطلب عليها .

وفد حمل ارتفاع الاسعار كبراً من نقابات العمال على المطالبة بأجور أعلى . وفي عام ١٩٤٦ عندما لم يلب طلبانها ، اضرب اكثر من ٤,٥٠٠,٠٠٠ عامل عن العمل . وهذا المظهر من مظاهر القوة العمالية أصاب قطاعاً كبيراً من افراد السعْب بالذعر . وهكذا في العام التالي أصدر الكونغرس ، الذي كان يسيطر عليه الجمهوريون ، قانون تافت - هارلي . وفد عارض رعياء العمال بسدة هذا الاحراء الذي يعضي بأن يكون هناك اسعار مدته ٦٠ يوما قبل ان سمح للنقابه العماليه أو صاحب العمل بانهاء العند ، مما يتيح في المجال لاداره العمل لأن تقاضي مسؤولي النقابه بسبب خرفهم للعند ، ويحد من بعض الاميازات النقابية التي تستمل عليها العقود الساربه المفعول . ورغم ان العمال ظلوا يحصلون على اجور أعلى وتأمينات متزادة عن طريق معاسات القاعد والتأمين الصحي التي عموها اصحاب العمل ، الا انهم نظروا الى تقصيدات قانون تافت - هارلي على انها محاولة معمدة للحد من قدرتهم على المساومة مع الصناعة . وخلال الحملة الانتخابية عام ١٩٤٨ ، تعهد الرئيس برومان والحزب الديمقراطي بالغاء القانون .

وفد عمد برومان ، نتيجته انتصاره غير المتوقع ولكن الحاسم على منافسه الجمهوري بوماس ديوي عام ١٩٤٨ ، الى الالحاح على الكونغرس لتبني اصلاحات « برنامج عادل » . ورغم ان الكونغرس رفض اجزاء من هذا البرنامج ، بما فيها محاولة الغاء قسم من قانون تافت - هارلي ، الا ان جراً كبيراً منه أصبح قانوناً . ووسع الكونغرس نظام التأمين الاجتماعي ليسمل عسره ملايين آخرين من الناس ورفع الحد الأدنى للاجور من ٤٠ سنتاً الى ٧٥ سنتاً في الساعة ، بالنسبة الى العمال الذين يعملون في صناعات نخباز

منتجاتها حدود الولايات . وفي عام ١٩٤٩ وافق الكونغرس على برنامج فدرالي لازالة الاحياء العذرة المزدحمة بالسكان وبناء مساكن ذات اجور منخفضة . وفي الوقت نفسه فاز المزارعون بمزيد من الحماية ضد أخطار ملل الفيضانات والجفاف وهبوط الاسعار .

العصر الذري

وكانت هناك مشكلة ذات اهمية فومية فائمه هي تطوير الطاقه الذريه والتحكم بها . وفي يوليو عام ١٩٤٦ عهد الكونغرس بهذه المسؤوليه الى لجنة الطاقه الذريه برئاسة خمسة مدنيين . وتحت انصراف تلك اللجنه طور العلماء الامريكيون ووضعوا في متناول دول اخرى كبيرا من تطبيقات المعرفة الذرية السلمية في مجالات الزراعة والصناعة والطب .

وفي أعقاب الحرب العالمية الثانيه تصور معظم الامريكيين أن التعاون الذي كان قائما زمن الحرب بين الاتحاد السوفياتي والديمقراطيات الغربية سيستمر في بناء عالم يسوده الأمن والسلام . وقد لعبت الولايات المتحدة دورا فعالا في انشاء وقبول عدد من وكالات الأمم المتحدة ، التي تركز جهودها لاعادة البناء الاقتصادي والتخفيف من معاناة السكان في المناطق التي دمرتها الحرب في اوروبا وآسيا وأفريقيا . ولعل ابرز وكالتين من هذه الوكالات هما ادارة الاغاثه والتعمر الدولية وصندوق التفد الدولي . وقد ارسلت كمبات كبيرة من المساعدات الأمريكية الى شعوب محتاجة في بلاد شيوعية وغير شيوعية على حد سواء . غير ان السيطرة الروسية في اوروبا النرفية وأعمال الابارة التي حركتها الاحزاب الشيوعية في أماكن أخرى ، مع تصميم الولايات المتحدة على أن تلعب دورا عالميا ، تسببت في حدوث توتر دولي متزايد .

وفي غضون ذلك ، وادراكا من الولايات المتحدة بأن انتشار الاسلحه الذرية يمكن ان يهدد البشرية بالفناء ، سعت الى وضع اتفاقية دولية تفرض رقابة على القنبلة الذرية . وكانت الولايات المتحدة قد انتجت هذا السلاح الرهيب اناء الحرب العالمية الثانية ، بعدما نبت للعلماء الامريكيين ان الالمان كانوا يحاولون صنع ملل هذه القنبلة . وقد استخدمت بتأثير مدمر للتعجيل في استسلام اليابان ، كبديل عن غزو واسع النطاق للجزر اليابانية يمكن ان يتسبب في وقوع اكبر من مليون اصابة في كلا الطرفين .

وفي شهر يونيو عام ١٩٤٦ قدم مندوب الولايات المتحدة الى الامم المتحدة ، برنارد باروخ ، اقتراحا الى لجنة الطاقه الذرية الدولية بدعوى تحريم استخدام الاسلحه الذرية وفرض رقابة دولية على جميع المواد الذرية . واذا كانت الولايات المتحدة الدولة الوحيدة المالكة للقنبلة الذرية في ذلك الوقت ، فقد ابدت استعدادها لتدمير كل ما لديها من فئابل

ذرية والكشف عن جميع الاسرار المعلقة بالطاقة النووية . ولقد تضمنت خطة باروخ ، كما أصبحت تدعى ، سرياً واحداً هو ان لا تكون الوكالة الدولية التي ستأسس سلطة التفتيش والتفويض ، خاضعة للفيثو من جانب اية دولة بمفردها .

وقد رفض الاتحاد السوفياتي الاقتراح الأمريكي ، الذي أيده من حيث المبدأ تسعة أعضاء من أصل أعضاء اللجنة العسرة الذس يتمتعون بحق التصويت . ومع أن الاقتراح المضاد الذي قدمه السوفييات كان أيضاً يدعو جميع الدول الى نبذ الأسلحة الذرية ، الا انه لم ينص على ايجاد نظام للتفتيش للكشف عن أية مخالفات أو جهاز لمعاقبة الدول المخالفة . وأدت خلافات ماثلة حول قضايا التفتيش والفيثو الى تعذر حدوث أي تقدم في مؤتمرات لاحقة حول نزع السلاح في صورة شاملة . وفي غضون ذلك طورت الدولتان اسلحة أسد تدميرا .

وفي الولايات المتحدة ازداد الملق عندما استخدم الاتحاد السوفياتي قواته الموجودة في اوروبا الشرقية لمساعدة الاحزاب السوعية ، التي تشكل أقلية عديدة ، على تدمير الجماعات غير الشيوعية أو التسلل الى صفوفها وإقامة حكومات موالية للسوفييات . ولم تقض ثلاث سنوات على انتهاء الحرب حتى كانت الحكومات التي سيطر عليها الشيوعيون قد سلمت زمام الحكم في بولنده وتسيكوسلوفاكيا والمجر ويوغوسلافيا وبلغاريا والبنانيا والقطاع الذي يحتله السوفييات في المانيا .

وفي ربيع عام ١٩٤٧ خشي كثير من الأمريكيين من حدوث مزيد من التوسع الشيوعي . وبلغت هذه الخشية أسيدها بعد التأييد السوفياتي للعصابات الشيوعية في اليونان والتهديدات السوفياتية التي وجهت الى تركيا بسبب سيطرتها على مضائق الدردنيل . وسرعان ما ظهر الرئيس ترومان أمام الكونغرس ليعلن « أنه يتحتم ان تكون سياسة الولايات المتحدة مساندة للشعوب الحرة التي تقاوم محاولات اخضاعها من جانب أقليات مسلحة أو ضغوط خارجية » . وقد أبد الكونغرس هذه السياسة التي أصبحت تعرف بـ « مبدأ ترومان » ، وخصص مبلغ مبدئي مصادره اربعمئة مليون دولار للمساعدة الاقتصادية والعسكرية لليونان وتركيا . وخلال سنتين استعادت اليونان النظام الداخلي واعادت تركيا تأكيد سلامة أراضيها .

التمير بعد الحرب

وفي مناطق متعددة من العالم عارضت الولايات المتحدة الاستعمار وابتدت تأييدها لحق تقرير المصير . فبعد سنة واحدة من انتهاء الحرب العالمية الثانية اعلن الرئيس ترومان

استقلال الفلبين التام . وفي السنة التالية منح الكونغرس سكان بورتوريكو سلطة انتخاب حاكمهم كخطوة أولى نحو أن يصبحوا دولة كومونولث متمتعه بحكم ذاتي عام ١٩٥٢ ومربطة بالولايات المتحدة على أساس مواطنة مشتركة .

وسمع الزعماء الامريكويون بريطانيا العظمى على اتخاذ قرارها ببح الاستقلال للهند وباكستان وبورما وفامو بدور وساطة للتعجيل في استقلال اندونيسيا عن الحكم الهولندي . وفي عام ١٩٤٩ قدم الرئيس ترومان برنامجا المعروف باسم « التنطة الرابعة » للتعجيل في المساعدة الامريكية الفنية والمالية المندمة الى مناطق العالم الآخذة في النمو . وبموجب هذا البرنامج قدم اخصائيون امريكويون في الزراعة والتربية والتعليم والصحة العامة والاسكان وغيرها ، المساعدة والمسورة لدول في جميع انحاء آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية .

واد اخذت دول جديدة عدده تخرج الى حيز الوجود في تلك النارات ، كانت دول اوروبا التي دمرتها الحرب تواجه صعوبات اقتصادية حادة . وفي خطاب الناء وزير الخارجية جورج مارشال في جامعة هارفرد في شهر يونيو عام ١٩٤٧ ، اقترح برنامجا شاملا يرمي الى انعاس اقتصاديات اوروبا . وهدم هذا البرنامج الذي اصبح يعرف باسم « مشروع مارشال » الاموال والمعدات والآلات الامريكية الى امة دولة اوروبية رغبت في الاشتراك فيه . ورغم ان الاتحاد السوفياني ودول اوروبا السرية الدائرة في فلكه كانت مسمولة في العرض ، الا انها رفضت الاشتراك .

وهذا ساعد هذا البرنامج الضخم من المساعدة الامريكية ، الذي بدى به في ابريل عام ١٩٤٨ وتضمن ١٢,٠٠٠ مليون دولار من السلع والخدمات ، على تحيى انتعاس اقتصادي سريع في ست عسرة دولة ممتدة من اسلندة الى تركيا . وفي اقل من ثلاث سنوات ارتفع الانتاج الصناعي في هذه البلاد بنسبة ٢٥ بالمئة ، وارتفع الانتاج الزراعي بنسبة ١٣ بالمئة فوق المستويات التي كانت قائمة قبل الحرب .

وفي الوقت الذي كان فيه مشروع مارشال قيد التنفيذ ، نسات أزمة خطيرة في برلين . ففي فبراير من عام ١٩٤٨ ، دمجت بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة مناطق احتلالها في المانيا وفي برلين (تمتد الى مسافة ١٧٥ كيلومترا داخل المطاع السوفياني من المانيا) . وعندما اعلن الحلفاء اصلاحا نعددا لدمج اقتصاديات مناطق احتلالهم الثلاث ، ويجاد صلة اوى بين الاقتصاد الموحد واوروبا الغربية ، انتم الاتحاد السوفياني بان عرفل اولاً ، سم اوقف كليا ، حركة المرور على طرق السيارات وخطوط السكك الحديدية بين برلين ومانيا الغربية .

وكان الرد البريطاني/الامريكى على هذا العمل السوفياني عملية النقل الجوي الى

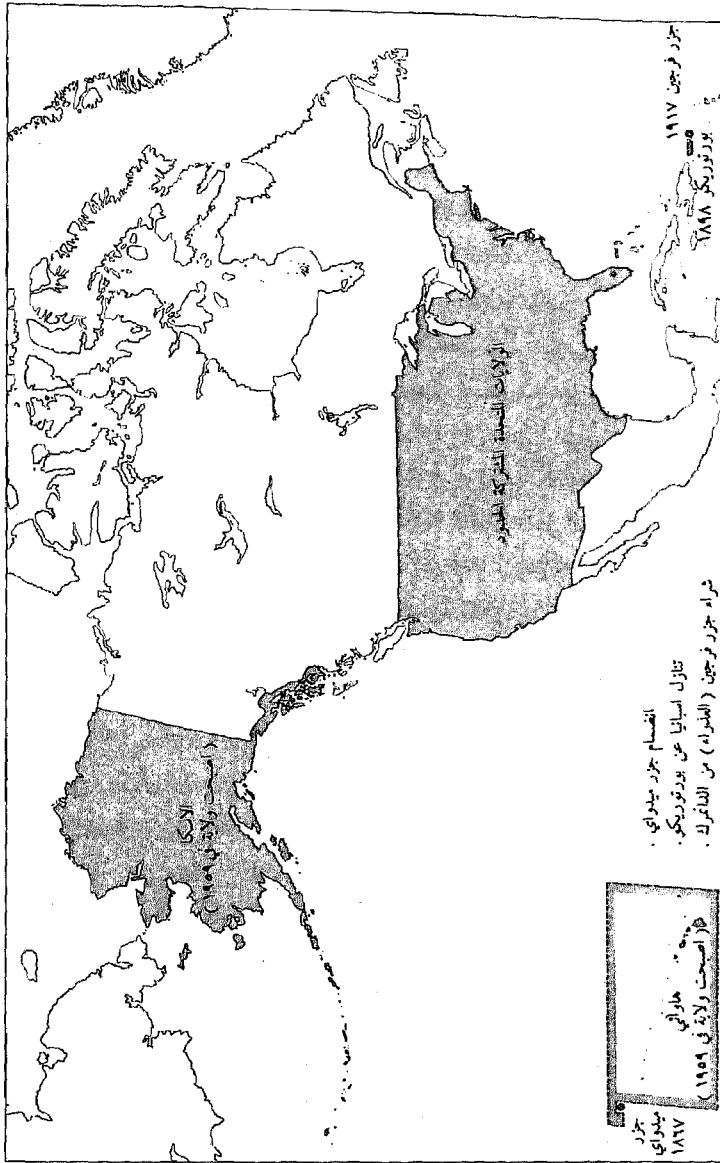
برلين . فاعتبارا من صيف عام ١٩٤٨ ولدة عام تجربا ، قامت الطائرات البريطانية والامريكية بنقل اكر من مليوني ط من الاغذية والوقود والادوية وغيرها من الضروريات ، الى سبع برلين الغربية . وفي مايو عام ١٩٤٩ فك السوفيات الحصار . وقد اثار ازمة برلين ، التي جاءت في اعتاب توسع النفوذ السوفياتي في اوروبا السرفية والتهديدات التي وجهت الى تركيا واليونان ، فزعا متناميا في جميع انحاء اوروبا الغربية . ونتيجة لذلك قامت انتا عسرة دولة في ابريل عام ١٩٤٩ بانشاء منظمة معاهدة شمال الأطلسي ، لنسيق وسائل الدفاع العسكري للدول الاعضاء ضد اعتداء سوفياتي محتمل . وقد وافق بلجيكا وكندا والدانمارك وفرنسا وبريطانيا العظمى واسلندة وإيطاليا ولوكسمبورغ وهولندا والنرويج والبرتغال والولايات المتحدة - ثم اليونان وتركيا وجمهورية المانيا الفدرالية في وقت لاحق - على اعتبار ان اي هجوم مسلح يقع على انه واحدة منها ، يعتبر هجوما مسلحا عليها جميعا . وفي ديسمبر عام ١٩٥٠ ، عين الجرال دوايت ايزنهاور قائدا اعلى لقوات حلف الأطلسي .

ولم يقتصر استراك الولايات المتحدة في عهد حكومة ترومان ، على اوروبا . ففي عام ١٩٤٨ انضمت الولايات المتحدة الى احدي وعشرين دولة من دول أمريكا اللاتينية ، مكونة منظمة الدول الامريكية التي تتوخى تأمين تسوية المنازعات بين الدول الأمريكية سلميا وتعزيز التنمية الاقتصادية والاجتماعية في أمريكا اللاتينية وتوفير الوسائل من أجل دفاع مشترك .

وفي السرف الاوسط عندما ادى خروج دولة اسرائيل المستقلة الى حيز الوجود في مايو عام ١٩٤٨ ، الى استباك تلك الدولة الجديدة في حرب مع جاراتها الدول العربية ، ادت الولايات المتحدة الجهود الناجحة التي بدنها فريق الهدنة التابع للأمم المتحدة لوقف القتال . وتندبرا للجهود التي بذها رئيس هذا الفريق ، الدكتور رالف باس ، وهو حفيد احد العبيد الامريكيين ، منح جائزة نوبل للسلام عام ١٩٥٠ .

الحرب الكورية

استحوذت الاحداث في آسيا على اهتمامات امريكا الدولية ، اثناء السنوات الاخيرة من وجود الرئيس ترومان في الحكم . فنتيجة لاتفاقية وقعت في الحرب العالمية الثانية ، تولت الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي امر الوصاية على كوريا . وكان خط العرض ٣٨ يفصل القطاع السوفياتي في الشمال عن القطاع الامريكي في الجنوب . وفي عام ١٩٤٨ سكلت حكومة على النمط السوفياتي في الشمال ، بينما اعترفت الولايات المتحدة بجمهورية



المصدر: الساحة الجيوسياسية الأمريكية .

كوريا ، التي تسكلت حكومتها نتيجة انتخابات اسرفت عليها الامم المتحدة . وبحلول منتصف عام ١٩٤٩ ، كانت الولايات المتحدة قد سحبت النسم الاكبر من قواتها . وفي ٢٥ يونيو من عام ١٩٥٠ ، اجتار جيش كوريا الشمالية خط العرض ٣٨ ، وهاجم كوريا الجنوبية .

وأعلن اجتماع طارئ لمجلس الأمن ، الهجوم حرقا للسلام وطالب بانسحاب فوري ووصف كوريا الشمالية بأنها « معتدته » وحب الدول الأعضاء في الأمم المتحدة على تقديم كل مساعدة ممكنة الى كوريا الجنوبية . وسرعان ما ارسلت الولايات المتحدة ، التي شعرت بمسؤولية خاصة تجاه كوريا المحاصرة ، قوات جوية وبرية . وقد انسنت قيادة تابعة للامم المتحدة . ولأول مرة في التاريخ قامت فوه دوليه منظمه بمحاربة العدوان ، رغم ان ٩٠ بالمئة من اولئك الجنود كانوا في الواقع اما أمريكيين أو كوريين جنوبيين . وقد أمكن القيام بهذه الاجراءات لأن ممل الاتحاد السوفياتي في مجلس الأمن كان قد قاطع الاجتماعات لمدة من الزمن ولم يكن حاضرا كي يمارس حق الفيتو .

وكان يجرى الحرب الكورية مررا دمويا ومخيبا للامال . فبعد نكسات منيت بها القوات الدولية بادى الأمر ، عادت تحت قيادة الجنرال ماك آربر الى القيام بالهجوم بصورة تدريجية ودرحت الغزاة . وبدت نهاية القتال وشيكة الى ان ارسلت جمهورية الصين الشعبية جنودا للقتال ضد القوات الدولية . وقد هدد هذا التدخل بامتداد الحرب الى ما وراء الحدود الكورية . غير ان قيادة الأمم المتحدة لم تسأ المجازفة بشعال نار حرب أوسع نطاقا وقررت الاكتفاء بما وصفت بأنها « حرب محدودة لأهداف محدودة » . وفي النهاية دفع بالكوريين الشماليين الى الوراء الى خط معادل تقريبا لخط العرض ٣٨ .

وبعد مفاوضات طويلة جرى ترتيب هدنه في صيف عام ١٩٥٣ تعترف بواقع ساحة القتال . وعند انتهاء الحرب كانت الولايات المتحدة قد ارسلت ربع مليون جندي الى منتصف الطريق حول العالم وركت أكثر من ٣٠,٠٠٠ جندي قتيلًا كدليل على تصميمها على مقاومة ما شعرت انه اعتداء بدون مسوغ .

المكارتية

هذا الخوف من الشيوعية في الخارج كانت له نتائجها الطبيعية في الداخل . فالرأي العام الأمريكي أصيب بالذعر في أواخر الأربعينات وأوائل الخمسينات عندما كشف النقاب عن أن عدة أشخاص يتعاطفون مع الشيوعية كانوا يشغلون مناصب حكومية . وقد أوجد هذا الأمر خوفا واسع الانتشار من أن تكون المؤسسات الأمريكية معرضة لخطر أعمال

هدامة في الداخل . وفاد عملية البحث عن السيوعيين داخل الحكومة (واستغلها) ، سناتور من ويسكونسن عديم الضمير كان مغمورا في ذلك الحين هو جون ماكارني ، وقد أفسدت اتهاماته الجائحة التي لم تكن عادة تستند الى دليل جوهري ، ان لم تهدم ، حياة كسر من الأمريكيين البارزين . وحاولت محقيقات مماثلة أن تنفذ الى قطاعات أخرى من المجتمع الأمريكي بما فيها صناعه السينا . وأحرا مجاوز ماكارني الحد في فرض سلطته وهوى من عليانه . غير ان الحفيضة المائلة انه استطاع أن يتصرف دون رادع لمدة ثلاث سنوات تقريبا . كانت مالا مفزعا على مدى ما يمكن أن تكون عليه الحركات الديمقراطية من وهى حتى في بلد مفتخر افتخارا عظيما بوجود مثل هذه الحريات .

سنوات أيزنهاور في الحكم

في تسرين الباني/نوفمبر ، عام ١٩٥٢ انتخب الشعب الأمريكي رئيسا جمهوريا ، بعد أن ظل هذا المنصب وفقا على رئيس ديمقراطي لمدة عشرين عاما . وقد هزم المرشح الراجح وهو الجنرال دوايت أيزنهاور ، المرشح الديمقراطي أدلاي ستيفنسن بأغلبية كبيرة من الأصوات . وانتصر مرة أخرى بعد ذلك بأربع سنوات . ولكن رغم وجود جمهوري في البيت الابيض بقي الحزب الديمقراطي مسيطرا على الكونغرس لمدة ست سنوات من مجموع السنوات الباني التي أمضاها أيزنهاور كرئيس .

وقد اتبعت حكومة أيزنهاور بشأن المسائل المحلية سياسة وصفت بـ « مبادئ الحكم الجمهوري الحديث » . وكان احد عناصر تلك السياسة محاولة الحد من تدخل الحكومة في شؤون الولايات وفي الأعمال الخاصة . الا أن الحكومة أبضت على جميع التشريعات الاجتماعية والاقتصادية التي جرى تطويرها في عصر « البرنامج الجديد » و « البرنامج العادل » . وفي الواقع وسعت البرامج الفدرالية في حفول مثل الصان الاجتماعي والمساعدات الفدرالية للتعليم والمساكن السعوية وإزالة الاحياء الفذرة المزدحمة بالسكان والصحة العامة .

وبعد وقت قصير من تولي الرئيس أيزنهاور مهام منصبه في يناير عام ١٩٥٣ وافق على تحويل وكالة الامن الفدرالي وعناصر حكومية أخرى الى وزارة الصحة والتعليم والشؤون الاجتماعية . واند ايضا اجراء اتخذه الكونغرس ينضي برفع الحد الأدنى للاجور من ٧٥ سنتا في الساعه الى دولار واحد .

وفي عام ١٩٥٥ وضعت أكبر نقابتين للعمال ، وهما الاتحاد العمال الأمريكيين ومؤتمر المنظمات الصناعية ، حدا لتنافسهما الطويل ، بأن اندجتا في هيئة واحدة بلغ عدد

أعضائها ١٥ مليوناً . وقد حملت الأدلة التي توفرت على وجود فساد في بعض النقابات ، المنظمة الجديدة على وضع سرعة صارمة خاصة بالتصرفات الخلقية . وفي الوقت نفسه أمر الكونغرس فانونا ستلزم إعطاء بيان علني كامل بأموال النقابات . خصوصاً بالنسبة الى أموال التماعد ورفاهية العمال وضمان حصول العمال على حقوقهم الديمقراطية .

غير أنه كانت هناك مسكلات محلية أخرى أثبتت التجارب أنها أقل قابلية للحل . فمد زاد التقدم الجدد الذي حصل في مجال التفنيه الزراعية من حده مشكلة الانتاج الزراعي الضخم بالنسبة الى الطلب القومي . وقد استبدلت حكومه أيزنهاور السياسة القائمة التي تضمن للمرارعين أسعاراً ثابتة ، بمقياس مرن يقصد به تسجيع المزارعين على زراعة المحاصيل التي لا تتوفر فائض منها . واضافه الى ذلك هام برنامج « بنك الأرض » بدفع الأموال للمزارعين لتسجيعهم على اراحه الأرض وعلى زراعه الاشجار وتنفيذ اجراءات أخرى لحفظ التربة .

وقد شهد الأعوام التي قضاها الرئيس أيزنهاور في الحكم تقدماً مستمراً ، ولو بطيئاً في مجال منح الأمريكيين السود قسطاً أوفر من الحقوق السياسية والفاانونية والاجتماعية . وكان خلال هذه الفترة أن جوبهت البلاد بحفيمة أن الالتزامات التي اعطيت في مرحلة ما بعد الحرب الأهلية بمنح السود حقوفاً متساوية مع البيض ، قد نسيت فعلاً ، وانه رغم الجهود المفرقة التي بذلت لتحسين حال اكبر مجموعة من الأقليات في الولايات المتحدة فان السود في الشمال نعرضوا الى تمييز في التعليم والسكن والوظائف ، وانهم في الجنوب حرموا من حرية التحرك الاقتصادي فوضع فساد على حريتهم في استئجار الأرض او امتلاكها ، وانهم عاشوا في مجتمعات معزول بصورة سملت السكك الحديدية والحافلات الكهربائية والمتنزهات والفنادق والمدارس والمستشفيات وحتى المقابر .

لم يكن قد بذل حتى أواخر الثلاثينات محاولة ملحوظة لتوفير شكل من المساواة . وكان عندئذ ان وجد بعض السود اماكن في الحكومة الفدرالية وحصصت أموال فدرالية من اجل مراكز اسنجام ومدارس ومسشفيات للسود . بهذا 'لائحة الجدد' كتبت هوة دفع جده خلال الحرب العالمية الثانية عندما 'صدر الرئيس رذفعلت ، بتسجيع من 'الزعيم' العاري 'الأسود' هيليب راندولف ، 'مرأ' بياها- 'لتمييز في الانتاج وفي ععود تتصل بالحرب . وبعد الحرب انشأ الرئيس ترمان لجنة خاصة بالجنود المدنية ، 'امر بازالة 'لتفرقة' العصرية من 'السلوة' 'سلحة' ، 'وعين عدد' متزاد' من السود في ماصب فدرالية . - في غضون ذلك أخذت 'هم' رباطين 'احتري في لعبة' 'البيسبول' بأهم ربطة 'احتري في لعبة كرة' 'السللة' تستخدم لاعبين من 'السود' .

وخلال الخمسينات انضم السود الى الجامعات وصوتوا في الانتخابات وامتلكوا منازل وسيارات وتولوا مناصب احترافية أو ادارية وسغلوا مناصب رفيعة في الدولة بأعداد لم يسبق لها مثيل ، رغم أن عددهم في كل واحدة من هذه الفئات بقي أقل بشكل ملحوظ من نسبة عددهم الى مجمل سكان البلاد . وكان التقدم الناهر الذي حصل في مجال الحقوق المدنية خلال هذه الفترة المرار الاجماعي الذي اتخذته المحكمة العليا عام ١٩٥٤ والذي يقول ان قوانين الولايات أو القوانين المحلية التي تفضي بايجاد مدارس منفصلة للطلاب السود والطلاب البيض هي قوانين غير دستورية . ولما كانت المدارس الرسمية في معظم الولايات لا تطبق الفصل العنصري رسميا ، فان المرار كان منطبقا في صورة رئيسيه على الولايات الجنوبية حيث يوجد تقليد قديم من الفصل العنصري . وبالنسبة لمل هذه المناطق أصدرت المحكمة العليا تعليماتها الى المحاكم المركزية الفدرالية لأن تطلب من السلطات المهيمنة على المدارس المحلية بأن « تقوم ببدانة سريعه ومنطقيه في اتجاه الامتثال الكامل وان تتحرك بأقصى سرعة » .

ازالة التمييز العنصري من المدارس

وسار امتزاج الطلبة البيض والسود بسرعة في مقاطعة كولومبيا (حيث العاصمة واشنطن) وفي بعض ولايات الحدود ، غير انه لمي مقاومة سديده في أقصى الجنوب . وقد عكس ارسال جنود فدراليين الى مدرسة ليتل روك في ولاية أركنساو عام ١٩٥٧ ، اثر نشوب أعمال عنف هناك بسبب هذه القضية ، جهود الحكومة لططبيق أوامر المحكمة بالنسبة الى ازالة التمييز العنصري من المدارس . وبرى البعض أن منح صفة الولاية الكامله لآلاسكا وهاواي عام ١٩٥٩ ، وخصوصا هاواي بما فيها من فوارى عنصرية في السكان ، كان دليلا آخر على التمدد في اتجاه الديمقراطية الاجماعية فضلا عن السياسية .

وفي الفترة بين عامي ١٩٥٠ و ١٩٦٠ نعم الأمريكيون عموما بمسنوى معبشة متصاعد . على أن نسبة النمو الاقتصادي كانت أبطأ مما أمل به البعض . واضافه الى ذلك واجهت البلاد عجزا متزايدا في ميزان مدفوعاتا وبطالة مستمره وان كانت بدرجة معتدلة . ولكن رغم الزيادة التي حصلت في نسبه البطالة بعد الركود الاقتصادي الذي ساد البلاد عامي ١٩٥٧ و ١٩٥٨ ، استمرت الأجور في الارتفاع واكنسبت الأعمال التجاربه تنشطا متناميا وسادت البلاد روح تفاؤل . وقد ارتفع مجمل الانتاج القومي - اي فمة جميع السلع والخدمات التي جرى توفيرها في البلاد - من ٢٨٥.٠٠٠ مليون دولار عام ١٩٥٠ الى حوالى ٥٠٤.٠٠٠ مليون عام ١٩٦٠ .

التطورات في آسيا

بدأت حكومه الرئيس الزنهاور الاولى عهدها بجو ينطوي على امل . ففي يوليو عام ١٩٥٣ وقعت كوريا الشمالية ، بعد ان جابهت وضعا عسكريا حرجا ، اتفاقية هدنة مع قياده الامم المتحدة ، اعترفت رسميا بتقسيم كوريا ، ونصت على تبادل الأسرى . وقد احتار حوالي عشرين الفا من اسرى الحرب الكوريين الشماليين والصينيين في حضور مرابين هنود ، عدم العودة الى بلادهم .

لكن الهدنه الكوريه لم تنه الاضطرابات فيآسيا . فيحلول ربيع عام ١٩٥٤ اخذ ائتلاف من السيوعيين والوطنيين الفيتناميين يحرز انتصارات حاسمة في حربهم التي مضى عليها ثمانية اعوام ضد فرنسا ، التي حاولت الاحتفاظ بسيطرتها على الهند الصينية . وقد اجتمع ممثلون عن فرنسا ، والاتحاد السوفياتي وبريطانيا العظمى والولايات المتحدة وعدة دول اسبويه ، في جنيف خلال الفترة بين مايو ونوليو للبحث في انهاء القتال . وحسم المؤتمر ما كان يدعى الهدد الصينية الفرنسية الى ثلاث دول هي كامبوديا ولاوس وفيتنام . وقسمت فيتنام بصورة مؤقتة عند خط العرض ١٧ الى مناطق اداريه شمالية وجنوبية ريسا تجري انتخابات توحيد اجزائها في يوليو عام ١٩٥٦ . وفي بيانه الختامي ، اعترف المؤتمر بسيادة واستقلال وسلامة اراضي كامبوديا ولاوس وفيتنام . ولكن الانتخابات التي قرر مؤتمر جنيف اجراءها لم تجز قط ، وذلك جزئيا لانه خشي ان ياتي الى الحكم الزعيم الوطني الشيوعي هوشي منه نتيجة تخرب عملية انتخابيه لم يؤدها .

ونجاء هذه التحالفية من النزاع ، انشركت الولايات المتحدة ، في سبتمبر من عام ١٩٥٤ ، مع تايلاند ، والفلبين ، وباكستان ، وبريطانيا العظمى ، وفرنسا ، واستراليا ، ونيوزيلندة في انشاء منظمة معاهدة جنوب شرق آسيا ، او «سياتو» . وقد نصت معاهدة المساعدة المتبادلة هذه على توفر تعاون اقتصادي ومساعدة فنية وعمل جماعي ضد العدوان او النساط الهدام . ونص بند في الملحق الخاص بالمعاهدة ، على توسيع شروط المعاهدة الاساسية ، لتشمل الدفاع عن لاوس وكامبوديا وفيتنام الجنوبية ، وتوفير المساعدة الاقتصادية لها .

واضافة الى ذلك ، وسعت الولايات المتحدة برنامج مساعداتها الفنية لآسيا والشرق الاوسط وافريقيا وامريكا اللاتينية . وقد انفقت ١٠٠٠ مليون دولار على اعمال الاغاثة والبناء والتعمير في كوريا الجنوبية . وما ان جاء عام ١٩٥٨ حتى كانت تلك البلاد قد تجاوزت مستويات الانتاج والاستهلاك التي كانت سائدة فيها قبل الحرب . ومثل ذلك فعالية كانت المعونة التي قدمت الى جمهورية الفلبين لمساعدتها في اعادة البناء بعد الدمار

الذي حل بها بسبب الحرب ومساندتها في قتالها ضد رجال العصابات . وبالأحمال زبدت الولايات المتحدة خلال المدة بين عام ١٩٥٠ وعام ١٩٦٠ أكثر من ٦٠ دولة بالآلات والادوية والترويض والفنيين .

بذل الجهود من أجل التعاون السلمي

في عام ١٩٥٥ دجحت حكومة الولايات المتحدة برامجها المختلفة الخاصة بالمساعدات الخارجية . بما فيها ما تبقى من برنامج مسروع مارسال لأوروبا ، في ادارة تعاون دولي دائمة . وبعد ذلك بسنتين أنشأت صندوق قروض التنمية للمساعدة في تزويد المناطق النامية بالرأسمال اللازم لتمويل المواصلات والقوة الكهربائية والصناعة وتنمية منخفضات الانهار والري ، وغيرها من المرافق التي تشكل الأساس للنمو الاقتصادي . وبحلول نهاية عام ١٩٦٠ كان الصندوق قد قدم حوالي ١٨٣ مليار دولار وبلغ مجموع تلك القروض ٢٠٠٠ مليون دولار . وازدادت الى ذلك وزعت الولايات المتحدة بين عامي ١٩٥٤ و ١٩٦٠ أغذية تجاوزت قيمتها ١٠,٠٠٠ مليون دولار على دول معوزة . وكان نصف هذه الأغذية تقريباً عبارة عن هبات كليه قدمت لتفادي وقوع مجاعة في تلك البلاد أمثال باكستان ونيبال والاردن وهابتي وغانا . أما النصف الثاني فقد بيع بعملاء أجنبية يمكن اقراضها مجدداً الى الدول التي تلقت المساعدة بفائدة زهيدة أو بدون فائدة لكي تنفقها على مشاريعها الخاصة بالتنمية الاقتصادية .

وقد تعززت الآمال بحدوث تعاون سلمي بين الدول السوفيتية والدول غير الشيوعية بانعقاد « مؤتمر القمة » في جنيف عام ١٩٥٥ ، غير أن رؤساء دول أمريكا والاتحاد السوفياتي وبريطانيا وفرنسا فشلوا في الوصول الى اتفاق على وسائل تحقيق نزع السلاح أو إعادة توحيد ألمانيا . وقد اقترح الرئيس أبرنهور ، رغبة منه في التقليل من خطر وقوع هجوم مباغت وإيقاف سباق التسلح ، أن تتبادل الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي تصاميم منسآتها الحربية وتسمحاً بإجراء مرافبه جوية متبادل عليها . ورفض الزعماء السوفيات هذه الخطة باعتبارها غزوا للسيادة القومية . ومع ذلك أنتج مؤتمر جنيف فعلاً اتفاقات تقضي بأن يقوم الفنيون والمفكرون والفنانون السوفيات بجولات في الولايات المتحدة بينما يقوم نظراؤهم الأمريكيون بجولات في الاتحاد السوفياتي .

أزمتان ... المجر وحرب السويس

في عام ١٩٥٦ حصلت سلسلة تطورات دولية فابلة للانفجار . ففي أوائل ذلك العام ندد زعيم الحزب الشيوعي السوفياتي نيكيتا خروتشوف فجأة بالذكاتور المتوفي جوزيف

سألت بوصفه طاغية لا رحمة وهو تنديد حمل الشعوب في دول أوروبا الشرقية التي يسيطر عليها السوفيات على المطالبة بمزيد من الحرية في إدارة شؤونها الداخلية .

في بولنده أصبح فلاديسلاف غومولكا وهو رعيم سيوعي وطني كان قد سجن في عهد ستالين ، رئيسا للحزب الشيوعي البولندي . وبعد الشعب بئدر أوبر من حرية الكلام والصحافة والدين . في أكتوبر عام ١٩٥٦ بار الشعب المجري ، نصب حكومه ليبراليه ، وتطالب باسحاب القوات السوفياتيه . ولكن الجيش السوفياتي بدلا من ان يسحب سرحجوما على المحررين سحق الثورة . وقد انضم الشعب الامريكي الى الشعب الأخرى في جميع انحاء العالم ، في الاحتجاج على بصرف الاتحاد السوفياتي ، ستقبل آلاف اللاجئين في الولايات المتحدة .

وفي نفس الوقت الذي كانت فيه الثورة المجريه فائمه ، نضأت أزمة عالميه خطيرة حول السيطرة على قناة السويس . وقد كانت قناة السويس تدارمدا انتها- حفرتها في أرض مصر سنة عام ١٨٦٩ ، من قبل شركه دولية تتكون بصورة رئيسيه من برطانيين وفرنسيين . وفي يوليو من عام ١٩٥٦ ، عندما أعلن الرئيس المصري الراحل جمال عبد الناصر تأميم القناة ، حاولت الدول الغربية عبثا الوصول الى اتفاق مع مصر على شكل جديد من الاسراف الدولي من جانب الدول الهائي عسره التي تستخدم القناة بشكل منتظم . وبعد ذلك ، في أكتوبر ، نجاه خلفية من الاشتباكات المتزايدة على الحدود ، اتهمت اسرائيل مصر بتدبير هجوم عليها وارسلت الجيش الاسرائيلي عبر سه جزره سيناء في اتجاه السويس .

وقام البريطانيون والفرنسيون الذين اعتبروا هذا التطور تهديدا للملاحه في القناة . بانزال قوات في منطقة القناة . وقد عارضت الولايات المتحدة هذا الاجراء من جانب حليفها في منظمة معاهدة شمال الاطلسي ، باعتباره انتهاكا لمبدأ تفرس المصير . وصوت المندوب الامريكي لدى الامم المتحدة الى جانب فرار اتخذته الجمعية العامة بدعو الى وقف اطلاق النار في الحال وانسحاب القوات الغازية . وقبلت برطانيا العظمى وفرنسا واسرائيل هذين السرطين . وفي مارس عام ١٩٨٧ ، تم تطهير قناة السويس من حطام السفن نحو اسراف قوة بوليس دولية ، وفتحت للملاحه .

وكشفت أزمة السويس ، التي جعلت الاتحاد السوفياتي يهدد باستعمال النية في مصر ، عن جهود سوفياتية متماثلة للحصول على موطن- قدم في الشرق الاوسط ، ولناومه هذا التهديد ونسجيعا على الاستمرار والاستئلال في المنطقه ، تبنت الولايات المتحدة ما أصبح يعرف بمبدأ انزهاور . ففي يناير عام ١٩٥٧ ، طلب الرئيس انزهاور من الكونغرس أولا ،

ان تخوله صلاحية استخدام قوة عسكرية اذا ما طلبت هذه القوة انه دولة من دول السرق الاوسط لرد عدوان . وبانيا ، تخصيص مبلغ ٢٠٠ مليون دولار لمساعدته تلك الدول السرق اوسطية التي ترغب في الحصول على مساعدة من الولايات المتحدة . ووافق الكونغرس على الطلبين .

وبعد ذلك بعام ونصف ، أرسل الرئيس أيزنهاور قوة من مساة البحرية « المارينز » الى لبنان بناء على طلب من حكومته . وقد جاء هذا الاجراء بعد أن اتهم لبنان الجمهورية العربية المتحدة (الاتحاد مكون من سوريا ومصر) بانارة وتسليح بوره في لبنان . وبعد عدة أسابيع تحسن الوضع في لبنان وسحبت الولايات المتحدة جنودها . ونسأت أزمة ممانلة بن الأردن والعراق الا أنها هدأت بسرعة بعد وصول قوات بريطانية الى الأردن بطلب منه .

أزمتان جديدتان في فورموزا وبرلين

في صيف عام ١٩٥٨ ، بينا السرق الأوسط لا يزال في حاله خلق ، نسأت أزمة جديدة في السرق الأقصى . ففد سرعت جمهوريه الصين السعبية في قصف جزيرتي كيموي وماتسوا لتابعين للصين الوطني ، بالفنابل استعدادا كما يبدو لغزو تنك الجزيرتين كخطوة أولى نحو سنن هجوم على تايوان . فأعلن وزير الخارجية الأمريكية جون فوستر دالس بأن الولايات المتحدة ستتخذ « اجراء فعالا في الوقت المناسب » للدفاع عن تايوان . ورغم تأييد الاتحاد السوفياتي لمطالبه جمهوريه الصين السعبية بالجزيرتين ففد خفت حدة القصف المدفعي ، ثم توقف القصف كليا بعد أن حذر الرئيس أيزنهاور بأن الولايات المتحدة لن تنراجع « في وجه عدوان مسلح » . على أن الصينيين استمروا في الاعلان عن 'مهم في النهاية على بسط سيادتهم على تايوان والجزر الغربية من الساطي' .

ولم تكدم أزمة السرق الأقصى حتى اصدر رئيس وزراء الاتحاد السوفياتي نيكيتا خروتشوف في نوفمبر عام ١٩٥٨ ، انذارا نهائيا ممهلا الدول الغربية ستة اسهر كي توافق على الانسحاب من برلين وجعلها مدينة حرة منزوعة السلاح . وعند اننها ، تلك المهلة ، اعلن خروتشوف ان الاتحاد السوفياتي سيحول الى المانيا السرفية السيطرة الكاملة على جميع خطوط المواصلات مع برلين الغربية ، وان الدول الغربية لن تتمكن بعد ذلك من الوصول الى برلين الغربية الا باذن من حكومة المانيا الشرفية . وردت الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى وفرنسا على هذا الانذار النهائي بتاكيد تصميمها الباب على الباء في برلين الغربية والتمسك بحتها الشرعي في الوصول الى الدبة بصورة حرة .

وفي عام ١٩٥٩ ، سحب الاتحاد السوفياتي المهلة المحددة في انداره ، واجتمع مع الدول

الغربية في مؤتمر لوزراء خارجية الدول الأربع العظمى . ومع ان الجلسات التي دام انعقادها ثلاثة اسهر لم تؤد الى اية اتفاقات مهمة ، الا انها فتحت الباب امام مزيد من المفاوضات ، وادت الى زيارة رئيس الوراة السوفياتية خروتسوف الى الولايات المتحدة في سبتمبر من عام ١٩٥٩ . وفي نهاية تلك الزيارة ، اعلن خروتسوف والرئيس انزهاور في بيان مشترك ، ان القضية الاله في العالم هي نزع السلاح السامل ، وان مسكلة برلين « جميع المسائل الدولية المعلنه يجب حلها ، ليس باستخدام القوة ، بل بالوسائل السلمية عن طرق المفاوضات » .

كاسترو يتسلم الحكم في كوبا

وفي غضون ذلك كانت معه دراما سياسية تتكشف في جزيرة كوبا الواقعة على بعد ١٥٠ كيلومترا من الساحل الجنوبي السرفي للولايات المتحدة . ففي أوائل عام ١٩٥٩ ، بعد فتال دام عدة سنوات ، أطاح فيدل كاسترو بحكومة فوجنسيو باتيستا ، دكتاتور كوبا . واذ كان سجل باتيستا من الفمع والكبت مانلا في ذهن حكومة الولايات المتحدة والسعب الامريكي بوجه عام فقد رحبا بتسلم كاسترو مماليد الحكم رغم أن الولايات المتحدة كانت قد فلبت لحكومة باتيستا مساعدة عسكرية .

ولكن سرعان ما تبدد العطف الامريكي عندما امتنع كاسترو عن اجراء انتخابات حرة وفرض رقابة صارمه على الصحافة وأصدر أحكاما بالاعدام على عدد من أعدائه السياسيين . ومرة أخرى امتلأت سجون كوبا بالنقاد السياسيين بمن فيهم كثير من رفاق كاسترو السامبين وزعاء العمال المناهضين للسيوعية وغيرهم من فدماء معارضي نظام باتيستا . وجرت مصادرة ممتلكات الأجانب ، وفي حالات كبيرة لم تدفع أية تعويضات .

وأخذ كاسترو يندد بالولايات المتحدة بصورة متزايدة وينسد المساعده من دول الكتلة السيوعية . وانتهج حكومة أنزهاور بادىء الأمر سياسة مجمل وصبر ، ولكن في صيف عام ١٩٦٠ اتسمت السياسة الامريكية بالصلابة . فقد فرضت الولايات المتحدة حظرا مؤقتا على شراء السكر الكوبي وحت منظمة الدول الامريكية المؤلفة من احدى وعشرين دولة على ادانة تصرفات كوبا . وفي حين لم توجه المنظمة اتهاما مباشرا الى نظام كاسترو في هذه المناسبة الا انها ادانت التدخل السوفياتي في نصف الكرة الغربي بسبب دعمه لكاسترو .

وأجمل اجتماع دولي اخر عقد في مرحلة لاحقه من عام ١٩٦٠ ، التواحي المقلعة والباعثة على الأمل ، من المسرح العالمي . فقد فبلت الجمعية العامة للامم المتحدة في اجتماع عقدته

في نيويورك . ١٧ دولة جديدة في عضويتها جميعها من الغارة الافريسة باستثناء دولة واحدة ، وقد عكس ذلك الاجراء ، التحرك السريع بعد الحرب ، لسعوب كانت مستعمرة في السابق ، نحو الاستقلال والتمويه الكاملين . وفي خطاب الفاه الرئيس أبنهاور أمام مندوبي الأمم المتحدة ، طلب من الدول الأخرى أن تنضم الى الولايات المتحدة في توفير المزيد من المساعدة في المناطق الآخذة في النمو بوجه عام وإلى الدول الأفريسة الحديثة بوجه خاص . وتعهد أيضا بأن تستمر الولايات المتحدة في السعي من أجل تحقيق نزع السلاح في العالم على أساس تفتيس ومراقبة فعالين .

وقبل انعقاد دورة الجمعية العامة كان قلق العالم من جراء سباق التسلح المراد قد استند بسبب ارتياد الانسان للفضاء . وهو تطور لو تحدى في زمن اكسر هديما لكان مصدرا للاعجاب والفخار . وقد اظهر اطلاق اول قمر اصطناعي سوفياتي في اكتوبر عام ١٩٥٧ واول قمر اصطناعي امريكي في سار عام ١٩٥٨ ، ان الدولتين تملكان صواريخ هي من القوة بحيث تستطيع ان تنذف فنايل ذره وهيدروجينية الى قلب اية دولة معادته تمنع على بعد آلاف الكيلومترات .

وبحلول أواخر الخمسينات كانت التفننة قد جعلت بالامكان نسوب حرب نتيجة الضغط على زر ، وهي حرب تستطيع أن تفني عسراب الملايين من الأرواح خلال دقائق . وبدأت الحاجة الى نظام محكم من التفتيس على الأسلحة لمنع نسوب مثل تلك الحرب ، نتيجة خطأ عرضي أو غيره ، واضحة لمعظم العالم . غير أن رئيس الوزراء خروتشوف أبلغ الجمعية العامة أن الاتحاد السوفياتي لا يستطيع قبول تفتيس ومراقبة في المراحل الأولى فاق على نزع السلاح . وقد رأت الدول الديمقراطية أن نزع السلاح بدون تفتيس هو أمر غير مقبول على أساس أن مجمعا « مغلفا » كالاتحاد السوفياتي بسنطع مخالفة تعهده بنزع السلاح دون أن يكون هناك سوى القليل من المجال لاكتشاف ذلك في حين أن مخالفات تحدث في مجتمعات أكثر « انفتاحا » سيكون هناك مجال كبير لاكتشافها والاعلان عنها .

كنيدي والحد الجديد

وفي غمره هذا الجو من التوتر العالمي انتخب السعب الامريكي في نوفمبر عام ١٩٦٠ ، السناتور جون ف . كنيدي رئيسا للولايات المتحدة . وقد هزم كنيدي منافسه الجمهوري نائب الرئيس ريتسارد نيكسون بأغلبية ضئيلة من الاصوات . وكان المسرحان السابان قد

أمريكا في العصر الحديث

بعث الحساس في حملتهما الانتخابيتين بظهورهما معا على التلفزيون في سلسلة من المظاهرات . وقد أكد نيكسون الخبرة التي اكتسبها أثناء السنوات البانتي من الخدمة التي امضاها في حكومة ارنهاور ، وذكر الناخبين : « السلام والازدهار » للذين يحسا في ظل الزعامة الجمهورية . بدعا كنيدي الى تواهر زعامة جديدة تنظر الى المستقبل الى استخدام موارد البلاد البسرة والاقتصاد استخداما اكر فعالية .

وقد سطر الرئيس كنيدي ، وهو أصغر رئيس انتخب في الولايات المتحدة اطلاقا ، في خطابه التنصيصي نطا من طاعة السباب وتكريسهم بمبي الطابع المميز لحكومته حين قال : « ان السعلة قد انتقلت الى جيل جديد من الأمريكيين » . وبالفعل كان أعضاء وزارته ومستشاروه العاملون في البيت الابيض سنكلون أصغر مجموعة من كبار الموظفين في تاريخ البلاد ، مجموعة استهزت بانفتاحها على الأفكار الجديدة واستعدادها لاتخاذ اجراءات فعالة .

وعندما تسلم الرئيس كنيدي مفايد الحكم كانت البلاد مزدهرة بصفه عامة وبلغ معدل أجر العامل الصناعي رفها قياسا هو ٩٥ دولارا في الاسبوع . ولكن البطالة كانت أيضا مرتفعة لا سيما في مناطق التعدين في ولاتي بنسلفانيا ووست فيرجينيا ، اللتين تأثرتا تأثرا شديدا بمنافسة المنتجات الجديدة والتغيرات الحاصلة في أساليب المعيشة الأمريكية .

وسعت الحكومة الجديدة لاستصدار تسريعات لمعالجة هذه الاوضاع . فمنح قانون لتنمية المناطق ، الحكومة الفدرالية سلطه لمساعدة المجتمعات المتأثرة بالكساد الاقتصادي على بدء صاعات جديدة وباء مرافق عامه ضروريه . ونص قانون آخر على توفير تدريب بأجر للعمال العاطلين عن العمل أو الذين سغلون وظائف بأجور منخفضة بسبب افتقارهم الى المهارات اللازمة . واطافة الى ذلك منح الولايات سلطه عاجلة لتوسيع نطاق التأمين ضد البطالة لمدة ١٣ أسبوعا علاوة على فترة الستة والعشرين أسبوعا العادية .

وعملا بالنهج الذي سار عليه انان من اسلافه الرؤساء ، طلب الرئيس كنيدي من الكونغرس جعل بعض التشرعات الاجتماعية المطبقة أكر نحررا . ونتيجة لذلك أعطى قانون الضمان الاجتماعي العمال الخيار بأن تنمعدوا في سن البانبة والستين بدلا من الانتظار حتى الخامسة والستين . ورفع الحد الأدنى للاجور الى دولار و ٢٥ سنتا في الساعة وجرى التعجيل في تطبيق برنامج الاسكان الفدرالي لمساعدة المسنين والاسر ذات الدخل المنخفض أو المعتدل على ايجاد مساكن بأسعار معقولة .

تقدم قضية الامريكيين السود

خلال الستينات حننت البلاد تدمدا في اتجاه ازاله التمييز العنصري . فخلال المدة بين عام ١٩٥٤ وعام ١٩٦٠ حصل دمج بين الطلبة البيض والطلبة السود في ٧٦٥ من اصل ٦.٦٧٦ منطقة تعليمية في الجنوب . وبين عام ١٩٦١ وعام ١٩٦٤ قبلت حوالي ٣٦٥ منطقة تعليمية اضافية طلبة من السود في مدارس كانت في السابق وفقا على طلبة من البيض ، مما رفع بنسبة ٥٠ بالمئة تريبا عدد المناطق التعليمية التي قبلت طلبة من البيض والسود خلال السنوات السبع السابغة . وعجلت الاحتجاجات المتمثلة في « الجلوس السلمي » التي قام بها الطلبة البيض والسود في شهر فبراير عام ١٩٦٠ ، في وضع حد للترفرة العنصرية في المطاعم في اكر من خمساته مجتمع في الجنوب .

وفي عام ١٩٦١ جاء « تظاهرات الحرية » وهي احتجاجات سلمية منظمة على الترفرة العنصرية في استخدام سيارات المواصلات وتسهيلات المحطات . وفي تشرين الثاني/نوفمبر عام ١٩٦١ أصدرت لجنة التجارة بين الولايات قرارا حظرت فيه التمييز العنصري في جميع وسائل السفر بين الولايات . وفي العام التالي أيدت المحكمة العليا بالاجماع هذا الحظر معلنة : « لقد قررنا بما لا يدع مجالا للشك الا نمارس في المستقبل أية ولاية التمييز العنصري في وسائل النقل والمواصلات داخل الولايات وفي ما بينها » .

وبلغت البورة التي اصيحت تعرف في ما بعد بـ « نورة الحقوق المدنية » ذروة مبيرة عام ١٩٦٣ . فبعد تظاهرات ضخمة قام بها السود في مدينة بيرمنغهام بولاية الباما في افصى الجنوب حيث كان التمييز العنصري لا يزال مطبنا ، فال الرئيس كنيدي في خطاب وجهه الى الامة من التلفزيون ، ان عليها التزاما ادبيا ببيان تحقق المساواه الكاملة للامريكيين السود ، ثم تقدم الى الكونغرس بتسريع من اكر التسريعات سمولا في هذا العصر يهدف الى القضاء على التمييز في التصويت والتعليم والتوظيف واستخدام المرافق العامة . وفي ٢٨ اغسطس ، قام اكر من ٢٠٠.٠٠٠ من البيض والسود بتزعمهم النس الجنوبي الاسود مارتى لور كينغ الابن بمسيرة الى نصب لنكولن التذكاري في العاصمة واشنطن . في تظاهرة اخاذة اتارت اهتماما قوميا سديدا بطلب الحصول على حقوق متساوية . وفي عام ١٩٦٤ منح الدكتور كينغ جائزة نوبل اعترافا بزعامته في مجال الاحتجاج المسيحي السلمي ضد التمييز العنصري على مدى عند من الزمن .

ودفعت حكومه كنيدي بقضية المساواه العنصرية مسافة أخرى الى الأمام بأن عينت كبيرا من السود البارزين في مناصب حكومية عالية . وكان من ابرز هذه التعيينات تعيين

روبرت وبفر رئيسا لوكالة الاسكان والتمويل المحلي الفدرالية ونورغود مارشال كبير المستشارين سابقا للرابطة القومية لتقدم الملونين ، قاضيا في المحكمة الفدرالية . وعين عنبراب آخرون من الامريكيين السود في مناصب تفاوتت بين منصب مساعد رئيس الولايات المتحدة ومنصب سفير . ووجود أكثر من ٢٤٠,٠٠٠ طالب من السود يدرسون في معاهد التعليم العالي عام ١٩٦٤ ، كان هناك سبب للاعتقاد بأن الاتجاه نحو وظائف أفضل والقيام بدور أكثر فعالية في الحكومة بالنسبة الى السود سيتحقق بخطوات سريعة .

أمريكا تراقب ما يجري وراء حدودها الجنوبية

قبل أن تسلم الرئيس كينيدي زمام الحكم بأقل من ثلاثة أسابيع ، قطعت الولايات المتحدة علاقاتها الدبلوماسية مع كوبا . وقد اتخذ هذا الاجراء ردا على استمرار حكومة كوبا في التشهير بالولايات المتحدة ومضايقة موظفي السفارة الأمريكية واستخدامها لكوبا كماعدة للتشجيع على نشاطات رجال العصابات في أمريكا اللاتينية .

وفي ابريل عام ١٩٦١ ، قام فريق من اللاجئين الكوبيين بغزو بلادهم في محاولة مخففة للاطاحة بكاسترو . ومع انه لم ينسرك اي جندي امريكي في الغزو ، الا ان الحكومة الامريكية وفرت للاجئين التدريب والمساعدة . ورغم الحنينة ان الغزو جرى التخطيط له في المراحل الاخيرة من رئاسة ازنهور الا ان الرئيس كينيدي تحمل كامل المسؤولية عن الحادث لانه سمح لل عملية بان تنفذ .

وفي اكتوبر عام ١٩٦٢ ، صقع العالم لدى معرفته بان حكومة كاسترو سمحت للاتحاد السوفياتي بان ينيم سرا قواعد للصواريخ الهجومية في الاراضي الكوبية . وهذه الدواعد التي يعمل فيها فنيون سوفيات تستطيع ان تطلق فذاائف نووية على معظم المدن الرئيسية في امريكا الشمالية وامريكا الجنوبية . وقد طلبت الولايات المتحدة ازالة قواعد الصواريخ في الحال واعلنت حظرا شديدا على جميع المعدات العسكرية الهجومية المسحونة الى كوبا . وباغلبية عشرين صوتا مقابل لا شيء ، اوصت منظمة الدول الامريكية بان تتخذ الدول الاعضاء جميع الاجراءات اللازمة لمنع وصول الاسلحة الهجومية الى كوبا . وبعد اسبوعين من النازم التسديد وافقت الحكومة السوفياتية على تفكيك قواعدھا وسحبھا الى الاتحاد السوفياتي .

وفي مارس عام ١٩٦١ ، افترح الرئيس كينيدي رسميا قيام « حلف من جل التقدم » توفر بموجبه الولايات المتحدة مع دول اخرى ووكالات دولية ومصادر خاصة مختلفه مبلغ ٢٠,٠٠٠ مليون دولار في شكل هبات وفروض على مدى عسر سنوات لتعزيز المو

الاقتصادي ورفع مستويات المعيشة في جمهوريات أمريكا اللاتينية .
وفي شهر أغسطس ، وافقت تسع عشرة دولة من دول أمريكا اللاتينية على ميثاق الحلف
وتعهدت بالنظام باصلاحات في الاراضي والضرائب لفائدته سعيها . وقد انفتحت اموال
الحلف على انشاء الطرق وبناء المنازل والمدارس وتحسين وسائل الصحة بسبكات المياه
وتمنح النروض لصغار المزارعين وتدريب المدرسين . وفي نهاية عام ١٩٦١ ساعد الرئيس
كنيدي البرنامج وهو ينفذ عندما زار هزوبلا وكولومبيا اللتين كانتا قد بدأنا في اعادة توزيع
الاراضي على صغار المزارعين .

دول جديدة تبرز في افريقيا

وعبر المحيط الاطلسي تجاه أمريكا الجنوبية كانت الشعوب الافريقية تنضم الى اسرة
دول العالم . فابتداء من السودان والمغرب وتونس في عام ١٩٥٦ ، وغانا في عام ١٩٥٧ ،
كانت ملايون دوله أفريقية قد نالت استقلالها بحلول نهاية ١٩٦٣ .

ورحب قادة الولايات المتحدة بهذه الدول الجديدة التي أعاد خروجها من الوضع
الاستعماري ، الى الازدهان ماضي أمريكا ذاتها . وتكهن ادلاي ستيفنسون ، سفير
الولايات المتحدة لدى الأمم المتحدة في عهد الرئيس جون كنيدي ، بأن الدول الأفريقية
الجديدة ستلعب دورا متزايدا الأهمية من على ذلك المنبر العالمي .

أحد الأعمال الأولى التي قام بها ستيفنسون كان الادلاء بقبول الولايات المتحدة
مؤيدا به افتراحا تنته الدول الافريقية بدعو الأمم المتحدة لاجراء تحقيق في الاضطرابات
العنصرية التي حدثت في مستعمرة أنغولا البرتغالية الواقعة في أفريقيا . وحنت الولايات
لتحدة البرتغال علانية وسرا ، بأن تقبل منح حق تقرير المصير لمستعمراتها الافريقية .
ما دعا السفير ستيفنسون الى وضع حد لسياسة التمييز العنصري التي تمارسها جمهورية
جنوب أفريقيا . وأيد قرارا للأمم المتحدة يطلب من الدول الأعضاء أن لا يبيع أو تشحن
أسلحة لتلك الدولة .

وزج الصراع الاهلي الذي اندلع في جمهورية الكونغو ، بعد أن نال استقلالها عن
بلجيكا عام ١٩٦٠ ، الأمم المتحدة في قضايا أفريقيا الجديدة المعقدة والمبيرة للتحدي .
فتوجهت قوة تابعة للأمم المتحدة ، الى الكونغو بطلب من رئيس الجمهورية كازافوبو ،
وذلك أولا لاستعادة النظام وحماية الأرواح ومن ثم لتساعد في اعادة توحيد اقليم كانتغا
الغني بالمعادن مع سائر بلاد الكونغو خلال عام ١٩٦١ .

وبالرغم من أن بعض الأمريكيين اتعدوا العمل العسكري الذي قامت به الأمم

المتحدة في كاتنتا على أنه تدخل لا مبرر له في الشؤون الداخلية للكونغو ، فان الحكومة الأمريكية أيدت هدف الأمم المتحدة لتحفيز كونغو موحدة باعتباره الحل العملي الوحيد لمساكن البلاد الاقتصادي والسياسية . ومن أجل تحقيق هذه الغاية ، تبرعت الولايات المتحدة بمبلغ مئة وسبعين مليون دولار على شكل مبالغ نقدية وأغذية وخدمات ، لجهد الأمم المتحدة ذاك . وبحلول عام ١٩٦٣ كانت جمهورية الكونغو الموحدة قد ظهرت الى الوجود .

وقدمت مساعدات من الحكومة الأمريكية بلغ مجموعها في عام ١٩٦٤ ، ١.٥٠٠ مليون دولار ، الى معظم الدول الأفريقية الجديدة على شكل قروض وهبات وكسحنات كبيرة من الأغذية . وكان القصد الرئيسي من تلك القروض تطوير القوة الكهربائية والوسائل الصحية ووسائل الاتصالات والعناية بالصحة بينما استخدمت الهبات المباشرة بصورة رئيسية في شؤون التعليم والزراعة . كذلك استخدمت المواد الغذائية الأمريكية التي قدمت الى كل من الجزائر ، وداهومي ، وأنغوييا ، والمغرب ، والصومال ، والسودان ، وتانزانيا ، وتونس لدفع جزء من أجور العاملين في برنامج « الطعام من أجل العمل » الذي استهدف مكافحة البطالة عن طريق توفير الاسغال العامة التي كانت هناك حاجة لها . وقد توجه مئات الأطباء والمرضات والمعلمين والفنيين الى أفريقيا لتقديم خدماتهم .

استمرار التوتر الدولي

وفي جنوب شرق آسيا اخذت الهجمات الداخلية العنيفة التي سننها رجال العصابات تهدد الحكومات القائمة في لاوس وفيتنام الجنوبية . فاجتمعت اربع عسرة دوله ، من ضمنها الولايات المتحدة ، في جنيف في شهر مايو عام ١٩٦١ لايجاد حل للنزاع في لاوس . وبعد ثلاثة عسرها من المفاوضات ، تم خلالها وضع حد لاطلاق النار ، اتفقت تلك الدول على حب الامراء اللاوسيين المتزعمين للفتنات المنازعة على الاستراك معا في انشاء دولة محايدة موحدة ومستقلة .

أما في فيتنام الجنوبية فقد استمر القتال ، اذ ان جنوبيين من أبناء البلاد انضموا الى متسللين ساليين في حمله من الخطف والاغتيالات وغيرها من أعمال الارهاب ضد المواطنين المخلصين لحكومة فيتنام الجنوبية المدعومة من الامريكيين . وبطلب من حكومة سايجون ، أرسل الرئيس جون كينيدي عناصر من العسكريين للمساعدة في تدريب جنود فيتنام الجنوبية . كما سبغت الولايات المتحدة زعما فيتنام على السروع في اصلاحات اجتماعية وتربوية من أجل كسب دعم شعبي أوسع نطاقا لمقاومة الفيتناميين الذين كانوا يؤيدون الزعيم الشيوعي - الوطني ، هوشي منه .

وخلال ذلك الوقت ، في شهر يونيو عام ١٩٦١ ، خلق رئيس الوزراء خروتشوف أزمة جديدة حول وضع برلين الغربية حينها هدد مرة أخرى بأنه سيوقع معاهدة سلام منفصلة مع ألمانيا الشرقية ، قال عنها ، أنها ستنتهي الاتفاقيات القائمة في ما بين الدول الأربع التي تضمن حقوق الأمريكيين والبريطانيين والفرنسيين في الوصول إلى برلين الغربية . وقد ردت الدول الثلاث بأنه لن تستطيع معاهدة موقعة من جانب واحد إلغاء حقوقها ومسؤولياتها في برلين الغربية بما في ذلك حق الوصول الحر إلى المدينة .

وهرب الألمان الشرقيون الذين اقلنتهم الأزمه ، إلى برلين الغربية بأعداد متزايدة . ففي شهر يوليو وحده هرب حوالي ٣٠,٠٠٠ منهم . وفجأة في الثالث عشر من شهر أغسطس قام الشيوعيون ببناء جدار فاصل بين القطاعين الشرقي والغربي من برلين ، عازلين بذلك عنوة سكان ألمانيا الشرقية . وإزاء تصميم الحلفاء على الاحتفاظ بحقوقهم في الوصول إلى برلين الغربية ، سمحت الحكومة السوفياتية للموعد النهائي المحدد بنهاية العام أن يردون أن تحاول توقيع معاهدة سلام مع ألمانيا الشرقية .

جهود باتجاه سلام عالمي

وفي شهر مارس عام ١٩٦١ ، انتسب الرئيس كينيدي المشروع المعروف بكتائب السلام - وهو فكرة بورية في مجال المساعدة الخارجية ، واجتذبت البرنامج متطوعين للخدمة في الدول النامية عبر العالم بأسره .

ووجد التسبان الأمريكيون بصورة خاصة البرنامج جذابا ، فسخروا مواهبهم للعمل فيه مرضين ومساحين للأراضي ومدرسين وميكانيكيين وخبراء في الصحة ووسائل المحافظة لها ومساعدين زراعيين . وإلى جانب تعزيز التنمية الأساسية في الخارج عملت كتائب السلام على تعزيز التفاهم وحسن النية والسلام الدولي .

وسهدت الأعوام التي امضاها الرئيس كينيدي في الحكم توقيع معاهدة حظر جزئي على التجارب النووية . وفي شهر أغسطس عام ١٩٦١ ، وهو الشهر نفسه الذي اقيم فيه جدار برلين ، أعلن الاتحاد السوفياتي أنه سيستأنف التجارب على الأسلحة النووية في الجو . منهيًا بذلك الحظر الطوعي على التجارب النووية في الجو الذي كان بدأ تنفيذه الاتحاد السوفياتي وبريطانيا والولايات المتحدة قبل ثلاث سنوات . وهكذا بدأ الاتحاد السوفياتي في الأول من سبتمبر ، سلسلة من التفجيرات النووية في الجو نتجت عنها كميات كبيرة من الغبار المشع وانارت مخاوف عبر العالم من امكانه ان تلحق تلك التفجيرات اضرارا تناسلية بالأجيال المقبلة . وعلى الرغم من نفض السوفيات للحظر ،

استمر الرئيس كينيدي في حث الاتحاد السوفياتي على التوقيع على اتفاقية تمنع على إجراء تفقيس دولي بضمن حظرا على جميع التجارب في المستقبل . وحينما رفض هذا العرض اعلمت الولايات المتحدة كارثة ، ان ليس لديها من بديل سوى ان تستأنف تجاربها النووية في الجو كي تحافظ على قدرتها على الردع بشكل فعال . وفي الوقت نفسه واصلت الحكومة الامريكية العمل من اجل وضع حد للسباق على التسليح بانسانتها وكالة للرقابة على الاسلحة ونزع السلاح ، واستمرارها في مساعيها الرامية للتوصل الى معاهدة تكفل حظر التجارب النووية .

واسمرت تلك الجهود في النهاية ، في يوليو عام ١٩٦٣ ، حينما وقع الاتحاد السوفياتي وبريطانيا والولايات المتحدة ، بالحروف الاولى ، على معاهدة تحظر التفجيرات النووية في الفضاء الخارجي . وبحلول نهاية ذلك العام كانت مئة وسبع دول قد وقعت تلك المعاهدة . اما قضية التجارب النووية تحت سطح الارض فمستتبلة ، لان الاتحاد السوفياتي ظل يرفض ذلك النوع من التفقيس في الموقع ، الذي يمكن بواسطته الكشف بدقة عن مل هذه التجارب .

واعتمد بعض المراقبين أن استعداد الحكومة السوفياتية لقبول حتى حظر جزئي على التجارب النووية كان مرده أزمة الصواريخ في كوبا ، التي دفعت بالعالم الى حافة حرب نووية . وكأجراء وفائي آخر ضد احتمال نسوب حرب نووية عرضا أو بسبب سوء تفاهم ، تم انشاء خط اتصال مباشر - يعرف بصورة سائعة بـ « الخط الساخن » - بين البيت الابيض في واشنطن والكرملين في موسكو .

وعكست هذه الاجراءات الوفاية ، ضد نسوب حرب عرضية ، وتلويث الجو ، طريقة معالجة جديدة للعلاقات الامريكية السوفياتية . وفي خطاب بارز ، الناه الرئيس كينيدي في الجامعة الامريكية في واشنطن ، في شهر يونيو من عام ١٩٦٣ ، اقترح انقراجا في الحرب الباردة .

فقد قال : « يتوجب علينا ان نصرف شؤوننا على نحو يصبح معه من مصلحة الشيوعين الموافقة على سلام حقيقي . وقبل كل شيء وفي حين نقوم نحن بالدفاع عن مصالحنا الحيوية ، يتوجب على الدول النووية ان تتلافى تلك المواجهات التي تجعل خصما ما أمام خيارين ، تقهقر مذل أو حرب نووية ... وكبي يمكن تحقيق هذه الأهداف فان أسلحة أمريكا ليست استفزازية وهي تحت سيطرة دقيقة ومصممة لأن تردع ويمكن استخدامها على نحو انتقائي . ان قواتنا العسكرية ملتزمة بالسلام ومدرية على ضبط النفس . وان الولايات المتحدة ، كما يعلم العالم لن تبدأ حربا نووية اطلاقا » . واختتم

الرئيس خطابه قائلا : « إن أمريكا توجه طافاتها ليس نحو اسراتيجية افناء بل نحو استراتيجية سلام » .

اعوام جونسون في الرئاسة

نتهى دور لرئيس كينيدي الشخصي والسياسي في السعي وراء السلام في الخارج ، ولتدمر لاجتماعي في الداخل ، نهاية مفاجئة وعلى نحو مفاجئ ، في الثاني والعشرين من نوفمبر ١٩٦٣ . حينما صرعه رصاصات اطلقها عليه مقتل في مدينة دالاس ، بولاية تكساس . وفي حين كان العالم على الحداد لوفاته ، انتقلت مقاليد الرئاسة الى ليدون جونسون ، الذي كان الرئيس الراحل كينيدي قد اختاره لمنصب نائب الرئيس .

وفي اول خطاب له أمام الكونغرس ، حث الرئيس الجديد الأعضاء على أن يوافقوا سريعا على برنامجين محليين رئيسيين كان الرئيس كينيدي قد ساعد في وضعهما ، وهما مشروع قانون للحقوق المدنية ينص ، كما وافق عليه مبدئيا مجلس النواب ، على توفير أقوى الضمانات الفدرالية حتى ذلك التاريخ ، ضد التمييز العنصري ، ومشروع قانون خاص بتخفيض الضريبة اصبح قانونا في أوائل عام ١٩٦٤ ، وقد نص على اجراء تخفيضات كبيرة في معدلات ضريبة الدخل المستحقة على الاشخاص والشركات . وكان الفصل منه تشييط الاقتصاد وتخفيض البطالة عن طريق اعطاء المستهلكين المزيد من البقد للانفاق واعطاء المؤسسات التجارية المزيد من المال للاستثمار ونوسيع أعمالها .

ونال الرئيس جونسون مزيدا من التأيد للاجراء الضريبي بسبب اعلانه عن اجراء تخفيضات كبيرة في الانفاق العسكري وتوفرات مسددة في الانفاق على ادارة الحكومة . وكان قد خصص جزء كبير من المبالغ المتوفرة للاستخدام في برنامج ضخم هو « محاربة الفقر » . فقد قال الرئيس جونسون ان حوالي عشرين بالمئة من الأسر الأمريكية لديها دخول تقل عن ٣,٠٠٠ دولار سنويا ، وهي أدنى بكثير من مستوى الرفاهية الذي يتمتع به معظم الأمريكيين . واقترح الرئيس جونسون ان تنسق جهود الوكالات الحكومية المعنية بالمسكلة عن طريق تكيف التعليم والتدريب المهني ، والصناعات الجديدة والاجراءات "ترفيهية الحسنة لمجمل مستويات المعيشة للمحرومين في مستوى مقبول .

أما بالنسبة للسؤن الخارجية فقد قال الرئيس جونسون مخاطبا الكونغرس في مستهل رئاسته : « ان هذه الأمة ستفي بالتزاماتها ، من فيتنام الجنوبية الى برلين الغربية ، ولن تنوف عن السعي نحو تحقيق السلام ، مستخدمين ما لدينا من سعة حيلة في ملاحقتنا لمجالات الاتفاق حتى مع أولئك الذين نختلف معهم ، وكرماء ومخلصين لأولئك الذين

ستركون معا في قضية مشتركة » .

وفي انتخابات نوفمبر عام ١٩٦٤ . منح الشعب الرئيس جونسون أعلى نسبة من الأصوات ادلى بها لصالح مرشح للرئاسة ، ففاز فوزا كاسحا بفارق بلغ ١٥ مليون صوت .
وفي شهر مارس اوضح اهدافه بقوله :

« لا أريد أن أكون الرئيس الذي سيد أمبراطوريات أو سعى وراء العظمة أو وسع نطاق السيطرة . أريد أن أكون الرئيس الذي علم الأحداث عجائب العالم . أريد أن أكون الرئيس الذي ساعد على اطعام الجوع واعدادهم ليكونوا دافعي ضرائب بدلا من أكله ضرائب . أريد أن أكون الرئيس الذي ساعد الفقراء على سق طرهمهم والذي صان حق كل مواطن في الاقتراع في كل انتخاب . أريد أن أكون الرئيس الذي ساعد على انهاء الكراهية بين مواطنيه والذي أذكى المحبة بين الناس من جميع الأجناس وجميع الديانات وجميع الاحزاب . أريد أن أكون الرئيس الذي ساعد على انهاء الحرب بين الأخوة على هذه الأرض » .

ولكن حكومه الرئيس جونسون اصبح مهتمة بالاعمال العسكريه بصدره مترامده . فرفع عدد القوات الامريكه في فيتنام الجنوبيه باضطراد . وبعد ذلك ، في ابريل عام ١٩٦٥ ، ارسل ما يزيد على ٢٠,٠٠٠ جندي الى جمهوره الديمينيكان لاستعادة النظام بين الفئات المتنازعة من الديميينيكانيين بذلك في المراحل المبكره من الحرب الاهليه .
« يطلب من الولايات المتحده سكلب منظمه الدول الامريكه فيه من الدول الامريكه للحفاظ على السلام انضمت الى القوات الامريكه هناك ، وحولت التدخل الذي كان من جانب واحد الى عمليه متعددة الاطراف . وبعد ان حفت حدة لتدبر تحركات انتخابات عامه في حذيو ١٩٦٦ جرى سحب القوات .

« ما فيتنام قد كانت قضية مختلفه . قبل ان تنتهي مدة رئاسة جونسون ان قد رسل اكثر من نصف مليون جندي لمواجهة لزاع في جديب سرق لاسيا . لم يتوصل لبلات المتحده وبيتنام الشمالي الى اتفاق لاجراء محادثات اوليه للسلام في باريس لا بعد حلل ما - من عام ١٩٦٨ . بعد ان قرر الرئيس جونسون عدم ترشيح نفسه مرة اخرى للرئاسة نتجه من جهه محدا من د حل حربه بصدد قضية الحرب .

وفد تسببت تكاليف الحرب والاتفاق العياسي على البرامج الداخليه والارتفاع الكبير في معدل دخل الاسرة ، في احداث ضغوط تضخميه سديده على اقتصاد البلاد كانت من اعنف ما عرف منذ السنوات التي تلب الحرب العالميه الثانيه مباشرة . وفي عام ١٩٧٨ انخفضت القوة الشرائية للدولار في مجال السلع بنسبة ١٠ سترات مما كانت عليه عام

١٩٦٤ . وبلغ معدل التضخم السنوي ٢.٥ بالمئة . واستمرت أرقام البطالة في الانخفاض . الا أن عدد الذين كانوا يتلقون مساعدات مالية للرفاه الاجتماعي ، وخاصة في المدن الكبيرة ، استمر في التصاعد بصورة مابته . وبالنسبة لمعظم الأمة كانت أعوام الرئيس جونسون في الحكم فترة ازدهار رغم أنه كان هناك قلق جدي من جراء العجز المتزايد في ميزان المدفوعات ، وتدني احتياطي الولايات المتحدة من الذهب الناجم عن ذلك . على أن هذا العجز كان ناجما في جزء منه عن الاستثمارات الأمريكية المتنامية في الخارج وانفاقات الأمريكيين فما وراء البحار وشراء المزيد من السلع الأجنبية ، وارتفاع الدخول في ارض الوطن . وكان يوازن مسكلات البلاد الاقتصادية النمو الاقتصادي الكبير الذي تحف من عام ١٩٦١ حتى عام ١٩٦٩ - وهو في الواقع اعظم نمو عرفه التاريخ الأمريكي .

شهدت تلك الأعوام أيضا فيضا من التشريعات الاجتماعية . فقد أقر الكونغرس خلالها قوانين خاصة بالحقوق المدنية تفوق ما اقتره خلال فترة مماثلة من التاريخ الأمريكي . كما أن الكونغرس زاد مرة أخرى فوائد الضمان الاجتماعي . وفي عام ١٩٦٥ أنشأت البلاد معلما بارزا في التسريع الاجتماعي عندما وقع الرئيس جونسون على قانون برنامج الرعاية الطبية ، وهو نظام تأمين صحي خاص بالمسنين ، لا يستهدف الربح المادي . ولعالمية الفوارق المدنية وافق الكونغرس على تسريع بضمن حق الاقتراع للأمريكيين السود الذين كان يتوجب عليهم في بعض الولايات الجنوبية التقدم لاختبارات تمييزية لاثبات معرفتهم للقراء والكتابة . وخلال ذلك الوقت صادق الكونغرس وكذلك الولايات على التعديل الرابع والعشرين للدستور الذي حظر على الولايات الابقاء على ضريبة انتخابية كسوط للاقتراع في انتخابات عامة .

وفي عام ١٩٦٥ ، بعد مضي عام واحد على اقرار هذه الاجراءات المخافصة بحق الاقتراع ، ومع اول حادث في سلسلة من الاضطرابات التي احتاحت مدنا امريكية كبيرة خلال السنوات القليلة التالية ، وذلك في واتس . وهي حي من احياء مدينة لوس انجليس في ولاية كاليفورنيا غالبية سكانه الساحنة من السود . ففي مدى ستة ايام قتل ٣٥ شخصا ودمرت مئات الابنية . وبدافع السخط نتيجة ما اعتبروه تنديما بطيشا وغير متوازن مع عسود من الاهال الاجتماعي والتمييز ، وفي بعض الاحيان بتحريض من بعض المتسددن ، لجأ السود الى اعمال العنف في سيباغو وكليفلاند وديترويت ونيوارك وعشرات المجتمعات الاخرى . وفي ابريل عام ١٩٦٨ ، تعرض وسط العاصمة واشتنطن لاعمال حرق وسغب بسبب موجة انفعالية اثارها اغتيال مارتن لوبر كنغ ، الزعيم الطليعي للسود

الأمريكيين ، الذي قتل برصاص فئاص فيما كان واقفا على شرفة احد الفنادق الريفية في ممفيس ، بولاية تينيسي .

وبعد شهرين من اغتيال كنغ ، قتل أيضا الساتور روبرت كينيدي ، سقيق الرئيس الراحل ، برصاصه أطلقت عليه في أحد فنادق لوس انجليس بينما كان يقوم بحملته الانتخابية للفوز بترشيح الحزب له للرئاسة . وفي وقت لاحق من فصل الصيف ذاك كان المؤثر الوطني للحزب الديمقراطي الذي عفى في شيكاغو مسرح مواجهة بين دعاة الاجراءات الفعالة المعادين للحرب وشرطة شيكاغو .

وكانت الاضطرابات وأعمال العنف من أعراض تغييرات عميقة تحدث في الولايات المتحدة . فقد أصبح عدد متزايد من الأمريكيين مستاءا من انعدام الاهتمام الشخصي في المجتمع الضخم والحكومة الكبيرة ، ومن الحرب في فيتنام وكذلك استمرار مظاهر التمييز ضد الأشخاص بسبب الجنس أو الخلفيه الأثنية أو العنصر أو أنماط الحياة . ولذا شهدت الستينات تغييرات كسيرة في المواقف والعلاقات الشخصية والقيم وحتى اللباس والأخلاق .

وكذلك كانت هناك تغييرات تكنولوجية دراماتيكية بادية بوضوح . فرحلة المركبة الفضائية « أبولو ٨ » في عام ١٩٦٨ حملت رواد الفضاء فرانك بورمان وجيمس لوفيل ووليم اندرز إلى مدار قمري . وقد ابتعد هؤلاء ، وكانوا اول من يغامر بالانطلاق الى ما وراء مجال جاذبيه الارض ، اطول مسافة عن الارض (ما يزيد عن ٣٦٨,٠٠٠ كيلومتر) وسجلوا اعظم سرعة (فارت ٤٠,٠٠٠ كيلومتر في الساعة) في التاريخ . وبعد ان امضي ملاحو ابولو عيد الميلاد في مدار حول القمر ، عادوا الى الارض في ٢٧ ديسمبر ، وبحثوا هبوطا دفينا محكما في منطقة الانتشال في المحيط الهادي . وهذا الحد ، بالاضافة الى افراج كوربا السالية عن ملاحي السفينة الامريكيه « بويلو » التي كانت قد احتجرتها نجاة ساحلها في شهر نار من عام ١٩٦٨ - اساعا الاسراق في الاسابيع الاحيرة من رئاسة جونسون .

رئاستا نيكسون وفورد

في ٢٠ يناير ١٩٦٩ ، اقسم ريتسارد نيكسون اليمين الدستورية بصفته الرئيس السابع والثلاثين للولايات المتحدة . ففي معركة خاضها ثلاثة متنافسين من بينهم حاكم ولاية الاباما السابق جورج والاس ، هزم المرشح الجمهوري نيكسون بفارق بسيط في الاصوات منافسه الديمقراطي هوبرت همفري ، الذي كان نائبا للرئيس في عهد جونسون . ولم يكن

نيكسون غريبا عن البيت الابيض اذ سبق ان تولى منصب نائب الرئيس لدورتين متتاليتين في عهد الرئيس ايزنهاور. وفي عام ١٩٦٠ خاض معركة الرئاسة ضد جون كينيدي فهزم بأكثرية ١١٨,٠٠٠ صوت فقط من اصل ٦٩ مليون صوت. وبعد عامين وحين خسر حملته الانتخابية لمنصب حاكم لولاية كاليفورنيا. استخلص معظم المرشحين السياسيين ان حياته السياسية قد انتهت. وقد انتقل الى مدته نيويورك لكي يمارس المحاماة. وهناك حيث كان يفتقر الى قاعدة سياسية، حشد فواه لتحنيق اعظم عودة لميدان السياسة خلال الثرن. واعطى نيكسون بصفته رئيسا للبلاد اولوه للسؤون الخارجية واعاد الى حد كبير توجيه سياسة الولايات المتحدة. وفي يوليو عام ١٩٦٩ اوجز المبادئ العريضة التي ستوجه حكومته، وحدد «مبدأ نيكسون» بهذه الكلمات:

«ان قوامه المحوري هو أن الولايات المتحدة ستستترك في الدفاع عن حلفائها واصدقائها وفي تطوير بلدانهم. ولكنها لا تستطيع ولن ترسم جميع الخطط وتصمم جميع البرامج وتنفذ جميع القرارات وتضطلع بكامل الدفاع عن دول العالم الحرة. ونحن سنساعد حيث تكون المساعدة موفرة ونجعل الأمور تختلف حفيفه وتكون في مصلحتنا».

وكان نيكسون قد وعد انهاء حملته الانتخابية بان يضع حدا للحرب في فيتنام. وهكذا بدأ بصورة بطيئة ولكنها نابتة في سحب القوات الامريكية، بينما واصل حملات عسكرية قوية. وتابع قضية التوصل الى تسوية سلمية بالتفاوض. ورغم انه بدا ان معظم الامريكيين يؤيد سياسة الرئيس الدائمة على الانسحاب التدريجي، الا ان اعدادا متزايدة من الامريكيين جذبت وضع حد فوري للحرب. وقد عبر هؤلاء المعارضون عن موافقهم بتظاهرات «سلام» غالبا ما كانت كبيرة جدا. واخيرا تخففت التسوية في نار، عام ١٩٧٣. وبعد ذلك بسهر من غادر آخر جندي امريكي مقاتل فيتنام. ولكن النزال استمر بين الفيتناميين انفسهم. وقد كلف استراك الولايات المتحدة في الحرب، البلاد مثل اكسر من ٥٧,٠٠٠ من افراد القوات المسلحة، واصابة ما يزيد عن ٣٠٠,٠٠٠ بجروح، وانفاق اكسر من ١٣٥,٠٠٠ مليون دولار.

وبذل نيكسون خلال مدة رئاسته الأولى جهدا كبيرا لتحسين العلاقات مع جمهورية الصين الشعبية والاتحاد السوفياتي. فبعد أن عكس اتجاه السياسة الأمريكية الذي استمر ربع قرن، وافق على اهمه تبادل اقتصادي وبما في واتصالات سياسية مع الصين. وتوج تلك السياسة عام ١٩٧٢ بزياره شخصية قام بها لأكثر دول العالم عددا في السكان. وقام نيكسون على النحو ذاته بتوطيد تجارة أوسع مع الاتحاد السوفياتي وتخفيف حدة التوتر السياسي في العلاقات الأمريكية السوفياتية وهي علاقات بلغت ذروتها الدراماتيكية عندما

قام بزيارة شخصيه لموسكو . وفي عام ١٩٧٢ ساعدت هذه السياسة على تخفيف اتفاق بين الدولتين للحد من عدد مراكز الصواريخ المضادة للصواريخ والصواريخ الهجومية الاستراتيجية .

وكان سجل الرئيس نيكسون في حمل السياسة الداخليه متسا بالتناقض . فقد زاد من الفوائد المحصلة بموجب قانون الضمان الاجتماعي ، وواصل تقديم المساعدات الماليه الفدراليه لبرامج اسكان الأسر ذات الدخل المتوسط والمتدني ، كما زاد من الدعم الفدرالي للتعليم . وقام في صورة مبتكره يعكس انجاه الميل نحو المركزيه بتوزيع جزء من الأموال الفدراليه على حكومات الولايات والحكومات المحليه عبر برنامج اقتسام الفوائد . ومن الناحيه الأخرى استخدم الفيتو ضد مشاريع قوانين خاصه بتنظيف الممرات المائيه الملونه وتنفيذ أنشغال عامه وأنشاء مراكز لرعايه الأطفال خاصه بالأطفال الذين هم دون السن المدرسيه والذين محتاج أمهاتهم للعمل . كذلك قلل من التشديد على النساط الذي تبذله الحكومة الفدراليه لمصلحه الأمريكيين السود .

وسبب العجز المتواصل في الميزانيه نتيجته تمويل الحرب في فيتنام وبرامج فدراليه أخرى في زعزعه استقرار الدولار عبر العالم . وقد تسبب هذا ، مع أحداث عالميه أخرى ، في انهيار النظام الدولي لتغيير العملات الذي أنشئ بعد عام ١٩٤٤ والمركز على القيادة الماليه الأمريكية . وحاول الرئيس نيكسون ، قصد مكافحه التضخم في الولايات المتحده ، تطبيق الميود على الأسعار والاحور ، غير أن الاقتصاد بقي يعاني من معدل تضخم عال . ولعل اكبر الاحداث اثاره التي تمت خلال السنه الاولى من رئاسة نيكسون هو هبوط الرائدن الفضائيين نيل ارمسترونغ وادوين الدرس على سطح القمر في ٢١ يوليو عام ١٩٦٩ ، فيما ظل الرائد الفضائي مابكل كولنز في مدار حول القمر في المركبه الفضائية الام ابولو ١١ . وبعد الهبوط بعربتهما على سطح القمر ، امضى الرائدان ارمسترونغ والدرس عدة ساعات يجتمعان عيبات من الصخور والمواد النمره الاخرى ليعودوا بها الى الارض من اجل دراستها . وقد هاما ايضا بنصب علم امريكي على سطح القمر ولوحه محفورة كتب عليها « جئنا بروح السلام للبشره جمعاء » .

ودخل نيكسون ، الذي حقق انجازات واضحه في مجال السياسه الخارجيه تظنى على ادائه المضطرب في الداخل ، انتخابات عام ١٩٧٢ وفوزه مرجح جدا على المرشح الديمراطي جورج ماكغوفرن وهو سناتور من ولايه ساوث داكوتا . وفي يوم الانتخابات ، وحين أصبح للشبان البالغين ١٨ عاما الحق بالتصويت لأول مره ، فاز نيكسون بأصوات ٤٩ ولايه وبنسبة ٦٠,٦ بالمئه من مجموع الأصوات ، وهما من أعلى النسب المثوبه التي

سجلت عبر تاريخ الولايات المتحدة . ومن المفارقة ان البلاد انتخبت مرة اخرى كونغرس يسيطر عليه الديمقراطيون مثلما فعلت عامي ١٩٦٨ و ١٩٧٠ .

وبعد اطلاق حاد عامض وفع خلال الحمله الانتخابية عام ١٩٧٢ - وهو محاولة السطو على مفر الرئاسة القومية للحزب الديمقراطي الكائن في بناياب ووترغيت في وسط العاصمة واسنطن ، باسراف أعضاء في اللجنة الانتخابية للرئيس نيكسون - شراره ما أصبح فيما بعد أزمة داخلية سديده . فخلال عامي ١٩٧٣ و ١٩٧٤ تصاعدت اتهامات من الصحافة والسياسيين والمساعدين السابقين لنيكسون تقول ان حكومة نيكسون فامت بنشاطات غير قانونية . وكشفت تحقيقات تالية فام بها الكونغرس وهيئة محلفين فدرالية ومدع فدرالي خاص مستمل وكذلك المحاكمات التي نجمت عن ذلك ، كسفت النشاب عن أن نشخاصيات كبريه في حكومه الرئيس نيكسون قد خرفت سير القانون بمحاولتها تخريب الحملة الانتخابية للحزب الديمقراطي عام ١٩٧٢ . وسملت الاتهامات اللباس مساهمات مالية غير قانونية والتستر على أدلة جرمية وانتهاك الحرية المدنية للأفراد واستخدام الوكالات الحكومية بصورة غير قانونية والادلاء بشهادات زور أمام المحلفين ومكتب التحميس الفدرالي ولجان تابعة للكونغرس .

وفي بداية الأمر تناول الرئيس نيكسون دليل فرني فقط . ولكن حينما اصدرت اليه المحكمة العليا امرا بان يجعل في المتناول اسرطة تسجيل المحادثات التي سجلت في مكتب الرئاسة ، اصبح واضحا ان الرئيس كان على معرفه سابتة ، نفاها من قبل ، بمحاولة لحجب معلومات متعلته بالسطو على ووترغيت عن السلطات القضائية . وفي التاسع من اغسطس ١٩٧٤ بعد ان واجه اتهاما أكيدا واحتال عزله من قبل الكونغرس ، استقال واصبح اول رئيس في التاريخ الأمريكي سستيل من منصبه .

وجاءت استقاله نيكسون بعد ١٠ أشهر فقط من استقالة نائب الرئيس سبيرو أغنيو . ففي تحقيق لم يكن متعلقا بالاتهامات الموجهة الى نيكسون ومساعديه ، اكتشف محقق فدرالي دليلا على أن أغنيو أخذ رشاوى بينما كان يشغل منصبا رسميا . ولذا قرر أغنيو أن يستقيل وأن لا يجادل في تهمة أخف هي اعداد بيانات مزورة بدخله بدلا من تحدي قضية الرسوى الحكومية أمام المحكمة .

وكي يلا منصب نائب الرئيس الساغر ، حسبها نص على ذلك التعديل الخامس والعشرون للدستور ، رشح الرئيس نيكسون جيرالد فورد ، وهو من مدنة غراند رابيدز في ولاية متيغان . وكان فورد ، وهو زعيم اقلية الحزب الجمهوري في مجلس النواب ، عضوا قديما في المجلس ، خدم فيه لمدة خمسة وعشرين عاما ، ويحظى بمكانة بارزة لدى

زملائه من الجمهوريين والديمقراطيين على حد سواء . وبعد جلسات مرهنة جرى خلالها الاستماع الى شهادات ، وافق الكونغرس بأغلبية ساحقة على ان يصبح فورد النائب الجديد للرئيس .

جيرالد فورد كرئيس

وحينما أصبح فورد رئيسا للبلاد بعد استقالة نيكسون تعهد بأن يكون « الرئيس للشعب جميعه » . ورسح فورد لمنصب نائب الرئيس نيلسون روكفلر الذي كان هو نفسه قد حاول مرتين الفور بترشيح الحزب له لمنصب الرئاسة كما كان حاكما سابقا بارزا لولاية نيويورك . وأعطى الكونغرس موافقته على الترشيح بأغلبية ظاهرة من قبل المجلسين كليهما . وفي مجال الشؤون العالمية تعهد الرئيس الجديد بالاستمرار في سياسة سلفه التي كانت تحظى بتأييد واسع النطاق . واعاد فورد تأكيد التزام الولايات المتحدة التقليدي بنجاء حلفائها وعلن عن خطط لزيارة جمهورية الصين الشعبية والاتحاد السوفياتي كذلك . وفي نوفمبر ١٩٧٤ توجه بطريق الجواي فلاديفستوك لاجراء محادثات مع الزعيم السوفياتي ليوند بريجنيف . وقد توصل الزعيان الى اتفاق مؤقت على الحد من عدد الاجهزة الاستراتيجية لئذف الاسلحة النووة التي تملكها كل واحدة من الدولتين . واستمرت المفاوضات الخاصة بمعاهدة الحد من الاسلحة الاستراتيجية (المعروفة ب : سالت/٢) التي بدأت بين الدولتين عام ١٩٧٢ حتى فترة متقدمة من عام ١٩٧٩ . وفي الاول من اغسطس عام ١٩٧٥ فام الرئيس فورد وبريجنيف وفادة ٣٣ دولة اخرى سرفية وغربية بالتوقيع على النرار الهائي الخاص بمؤتمر الامن والتعاون في اوروبا . وتعهدت الدول المستركة في المؤتمر بأن تحترم الواحدة منها سيادة الأخرى بصورة منسوبة . وبالتعاون في ميدان حقوق الانسان بالنسبة لمواطنيها ولواطني الدول الأخرى .

وفي حين قام الرئيس فورد بتنفيذ مسؤوليات البلاد في المجتمع العالمي وعمل على استعادة ثقة الشعب بحكومته ، فقد أعطى أولوية الاهتمام للمشاكل الاقتصادية الخطيرة التي تواجه البلاد .

وفي ١٥ ناير عام ١٩٧٥ ، في خطابه الاول عن حالة الاتحاد قال مخاطبا الشعب الامريكي في صورة صريحة : « ان حالة الاتحاد ليست جيدة » . ورسم مسارا جديدا للولانات المتحدة . وقد طلب فورد من الكونغرس ان يشترك معه في وضع برنامج اقتصادي بعيد الاثر من شأنه ان يخلق المزيد من النشاط الاقتصادي ويخفف البطالة ويعمل على

استمرار جهود الحكومة لمكافحة التضخم ويساعد في تخفيض اعماد الأمريكيين على المصادر الاجنبية للطاقة .

ونظرا الى أن الرئيس تسلم مهام منصبه وسط ركود اقتصادي نديد ، تصاحبه مستويات عالية غير مقبولة من البطالة والتضخم ، فقد ركز بصفوره مفهومه على الشؤون الاقتصادية . وخاض معركة مستمره مع ما أسار اليه على أنه « الكونغرس الديمقراطي المسرف » . وجادل بقوة لصالح تخفيض الانفاق الحكومي .

ويوم حلت الانتخابات الرئاسية التالية خلال نوفمبر عام ١٩٧٦ ، كان بإمكان الرئيس ان يجادل بان الاقتصاد كان في وضع افضل مما كان عليه حين تسلم مهام الرئاسة . ولكن ذلك الانجاز لم يكن كافيا لارضاء اغلبية المقترعين الذس ، ربما بسبب سخطهم على قرار فورد بالعفو عن الرئيس السابق نيكسون ، صوتوا لصالح المرشح الديمقراطي للرئاسة جيمي كارتر الحاكم السابق لولاية جورجيا .

وبدا من الواضح أن حبرالد فورد بالرغم من خسارته للانتخابات بفارق بسيط في الاصواب هو ٢ بالمئة فانه سيذكر على أنه الرئيس الذي استعاد ثقته واحترام كثير من الأمريكيين بمؤسساتهم وحكومتهم في وقت أحدثت فيه فضائح مثل ووترغيت . عدم مبالاة وتبلدا لدى الرأي العام .

رئاسة جيمي كارتر

كان جيمي كارتر وجها جديدا في أفق السياسة الأمريكية ، وخلال حملة انتخابية امتدت عامين اتسمت بعمله الجاد واهتمامه بالتفاصيل أثار جيمي كارتر الذي ارتفع من عدم شهرة سببية الى سدة الرئاسة ، مناصر قسم كبير من المقترعين . وبدا أنه كان يلقي تأييدا ممن هم خارج التيار الرئيسي للسياسة الأمريكية ، والذين طلب منهم في خطابات واجتماعات لا تخصي بأن يرسلوا الى واشنطن واحدا من « خارجها » .

ولامست معتقدات كارتر الدينية أيضا وترا من مناصر سريعه الاستجابة لدى أعداد كبيرة من الأمريكيين . فقد كانت لدى زعماء أمريكيين كثيرين مساعدين عميقة ولكن لم يسبق ان حقق أي واحد منهم نجاحا معادلا لنجاح كارتر في دمج تلك المعتقدات في برنامج سياسي . وكانت طرفة المعالجة الأخلاقية هذه منعشة للكثيرين رغم أن آخرين كانوا ميالين الى عدم البقة سياسي ادعى أنه سوف « لا ينطق بكذبة اطلاقا » .

وقد وجد الرئيس كارتر نفسه خلال السنة الاولى من توليه الرئاسة وجها لوجه أمام الحقائق اليومية للسياسة الأمريكية فمن ناحية الايجابيات صادى الكونغرس مع بعض

التعديلات على تعديل قدمته الحكومة لنظام الضمان الاجتماعي رفع الحد الأدنى للاجور ومعدلات الضريبة وذلك في جهد لايجاد الدخل المطلوب لمواصلة البرنامج . ومن الناحية الأخرى ارسل الى الكونغرس برنامجا ساملا للطاقة آملا بأن ينال موافقة فورية . الا أنه أصبح موضع مناسفات متواصله من قبل الكونغرس . ولكن قبل انقضاء العام الثاني من رئاسته كان بإمكان الرئيس كارتر أن يعدد ضمن نجاحاته المهمة مسرّوع فرار لغاء القيود المفروضة على الغاز الطبيعي التي كانت تشكل جزءا من برنامجه الاصلي الشامل للطاقة وكذلك سرّعا من شأنه ان يساعد في إعادة تنظيم السلك المدني الفدرالي .

ورغم ان الانقضاء واصل بحسه فند بدا أن معدل النمو بني متوقفا عند نسبة هي حوالي خمسة بالمائة من مجمل الانتاج القومي ، كما ان البطالة ظلت مستعصية . كذلك التضخم الذي كان متسكلا عنيدة خلال العشره اعوام السابئة ازداد سوءا ولذا بدأ الرئيس كارتر في برنامج لمكافحة التضخم واضعا تسديدا حادا على التعاون الطوعي بين الحكومة وارباب الاعمال والعمال من اجل الحد من ارتفاع الاسعار والاجور . وفي اجراء آخر قصد منه تعزيز الدولار الأمريكي ، انسأت حكومة الرئيس كارتر بالتعاون مع بلاب دول أخرى هيئة متناسدة للتدخل في السوق خصص لها مبلغ ٣٠،٠٠٠ مليون دولار . وحت الرئيس على توسيع نطاق الصادرات الأمريكية وعلى موافقة مجلس النواب على اجراء المفاوضات التجارية المتعددة الاطراف .

وفي سياسته الخارجية صدم الرئيس كارتر دبلوماسيين كثيرين باعلانه عن أن علاقات الولايات المتحدة مع الدول الأخرى ستكون مبنية على مدى اهتمامها بحقوق الانسان - مبدأ كارتر الخاص بـ « حقوق الانسان » . وتسببت تلك السياسة في اطلاق بعض الحكومات لاتهامات فائلة أن ذلك هو تدخل في الشؤون الداخلية لدول أخرى ، ولكن الاعلان لاقى استحسانا لدى غالبية زعماء العالم .

ومن بين الانتصارات التي يستطيع أن يعددها الرئيس كارتر كان التصديق على معاهدة فناة بناما التي تضمن حياد القناة حتى العام ألفين . وكان ذلك السريط المار عبر البرزخ وطوله عشرة أميال وبضم الفناة خاضعا لادارة الولايات المتحدة ، مما جعل بعض الأمريكيين تتهم الحكومة بمحاولة « التخلي بمجانا » عن مورد مبن . غير أن موقف الحكومة كان أن القناة هي مورد ملك بناما التي ستضمن في ادارتها لها مصالح الولايات المتحدة . وبعد بذل واحد من اعظم جهود اللوبي المكيفة التي أدم عليها البيت الأبيض ، فاز الرئيس بالمصادقة اللازمة من مجلس الشيوخ وتم بعد ذلك التوقيع على وثائق المعاهدة التاريخية .

وسجل الاول من يناير من عام ١٩٧٩ بدء عهد جديد في العلاقات الامريكية الصينية . فالخطوات الاولى الرامية الى تطبيع العلاقات والتي بدأت عام ١٩٧٢ بزيارة ريتشارد نيكسون لـ بيجينغ (بكين) ، اتت بارها بعد حوالي سبعة اعوام ، وذلك بانشاء علاقات دبلوماسية كاملة بين الولايات المتحدة وجمهورية الصين الشعبية . وفي الوقت نفسه قطع الولايات المتحدة علاقاتها الرسمية مع نظام الحكم الصيني في تايوان .

وانتج الجهد الذي لا بكل والذي بذله الرئيس كارتر من اجل المساعدة في توطيد سلام دائم في الشرق الاوسط ، التوقيع على معاهدة بين مصر واسرائيل في ٢٦ مارس عام ١٩٧٩ . وحملت المعاهدة تبايسر انهاء دورة حروب الشرق الاوسط والزمت الدولتين بان تتفاوضا حول المسئلة الصعبة ، انشاء وطن للفلسطينيين ، وكان الفتح الذي حصل بالنسبة للشرق الاوسط انجاز كارتر الاسد طموحا في مجال السياسة الخارجية . ففي جهد فريد من الدبلوماسية السخية ارسى بذاته المفاوضات في ما بين الرئيس المصري انور السادات ورئيس الوزراء الاسرائيلي مناحيم بيغن ، أولا في المنتجع الرئاسي كامب ديفيد وبعد ذلك انذ محادثات السلام المتدهورة بضيامة بزيارة شخصية لكل واحد من الدوليين .

وعانى الرئيس كارتر سنة ١٩٨٠ ، وهو آخر عام من أعوام رئاسته ، من نكسات شديدة في مجال السياسة الخارجية . ففي عام ١٩٧٩ توجت مفاوضات الحد من الأسلحة الاستراتيجية ، التي دارت بين الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة واستمرت سبعة اعوام ، بقيام الرئيس كارتر والرئيس السوفياتي بتوقيع معاهدة سالت الثانية . وحسب الدستور الأمريكي يتطلب ابرام المعاهدة مصادقة ثلثي أعضاء مجلس الشيوخ عليها ، الا أن الكثيرين من أعضاء المجلس أعربوا عن تحفظات بشأنها وعن شكوكهم في ما اذا كانت المعاهدة تصون فعلا المصالح الأمنية للولايات المتحدة . ويوم قام الاتحاد السوفياتي بغزو أفغانستان في أوائل عام ١٩٨٠ ، طلب الرئيس كارتر من مجلس الشيوخ عدم النظر في المعاهدة .

واستولى المتشددون الايرانيون على السفارة الامريكية في نوفمبر عام ١٩٧٩ ، واحتجزوا حوالي ستين من الامريكيين كرهائن . وحين لم يستطع الرئيس كارتر افضاع الابريانيين بالافراج عن الرهائن ، امر بقيام مجموعة عسكرية بمحاولة انقاذهم . الا ان المحاولة فسلت وقتل خلالها ثمانية جنود امريكيين عندما اصطدمت طائرتا هليكوبتر كانوا على متنها الواحدة منهما بالاحرى في الصحراء باران . قد اعتبر علماء السياسة فشل الرئيس كاتر في تأمين الافراج عن الرهائن بعد مضي عام على اسرهم ، عاملا في خسارته للانتخابات الرئاسية لعام ١٩٨٠ .

وجابه الرئيس كارتر أيضا مشاكل داخلية خطيرة وبصوره رئيسية في مجالي الاقتصاد والطاقة : ارتفاع أسعار الوقود والمواد الغذائية وتضخم مالي قاربت نسبته ١٤ بالمئة عام ١٩٧٩ ارتفع عام ١٩٨٠ الى نسبة ٢٠ بالمئة . وكان ذلك التضخم أسوأ تضخم عانت منه البلاد خلال العقود الاخيرة . وما جعل الصعوبات الداخلية التي واجهها الرئيس تتراكم هو معدل البطالة المرتفع . فخلال عام ١٩٧٩ تراوح معدلها ما بين ٥.٦ بالمئة وستة بالمئة من الفوه العاملة المدنية . ولكن النسبة كانت اعلى بكثير في بعض المدن . ففي ديترويت مثلا أصدرت صناعه السيارات بسبب المبيعات المتدنية للسيارات ، أوامرها بالاستغناء مؤقتا عن خدمات الكيرين من عمالها مما جعل نسبة البطالة في المدينة ترتفع الى ١٨ بالمئة . وفي الانتخابات الرئاسية لعام ١٩٨٠ رفض المترعون الامريكيون مجيد ولاية الرئيس كارتر لدورة ثانية ، واعرب كثيرون منهم عن استيائهم من معالجته للمشاكل الخارجية والداخلية على حد سواء . ولذا قاموا يوم الانتخاب ، في الرابع من نوفمبر ١٩٨٠ ، بانتخاب رونالد ريغان وهو جمهوري محافظ كان قد تولى منصب حاكم ولاية كاليفورنيا لدورتين . وقد فاز ريغان بأصوات ٦٦ ولاية ونال ٥١ بالمئة من مجموعة اصوات المترعين وجاء فوزه بأغلبية ٤٨٩ صوتا مقابل ٤٩ صوتا لمنافسه كارتر . ونتيجة للانتخابات فاز الحزب الجمهوري باكر من ٣٠ منعدا جديدا في مجلس النواب ، كما فاز بالأغلبية في مجلس الشيوخ وذلك لأول مره خلال ٢٦ عاما . وكان رونالد ريغان قد دخل المعركة الانتخابية على أساس وعده بتحقيق « بداية جديدة » للولايات المتحدة . وسدد خلال حملته على الحاجة لاستعادة القيم الأساسية المسلمة بالعمل والاسره والمجتمع والسلام والحرية .

رئاسة رونالد ريغان

شدد رونالد ريغان خلال حملته الانتخابية على أهمية القيم التقليدية الأمريكية كالفرديانية والديمقراطية والاقتصاد الحر . وبعالانه عن هذه الافكار سعى الى نفخ روح جديدة من التفاؤل في جسد الامة ، معلنا في كلمته التي القاها في حفل تنصيبه رئيسا للبلاد : « اننا أمة اعظم من أن تنقيد باحلام صغيرة . »

وخلال الاشهر القليلة الاولى من رئاسة ريغان ، أضفت بضعة احداث درامية مصداقية هذه الروح الجديدة ، ففي غضون دقائق من أدائه القسم الدستوري في ٢١ كانون الثاني - يناير ١٩٨١ ، وبعد مفاوضات شاقة اجرتها حكومة سلفه جيمي

كارتر ، تم الافراج عن الرهائن الامريكيين الاثنيين والخمسين الباقين في ايران ، وعادوا ليستقبلوا بترحيب حار . وفي آذار/مارس نجا ريغان من محاولة اغتياله ، وفي الشهر التالي ، اطلقت الولايات المتحدة بنجاح مكوك الفضاء « كولومبيا » في أول رحلة مدارية بادئة بذلك حقبة جديدة من العمليات الفضائية . و « كولومبيا » هي اول عربة فضاء تستخدم في اكثر من رحلة واحدة .

وبقي تفأؤل الرئيس ريغان غير الواهن وقدرته على التنويه بطموحات ومنجزات الشعب الامريكى ، عنصرا ثابتا طيلة فترتي رئاسته . لكن الرئيس ريغان الذي يتحلى بمعتقدات محافظة راسخة واخلاص عميق لحزبه الجمهوري ، لم يسلم باي شكل من الانتقاد والتهجم أو حتى التقلبات الطبيعية في شعبيته . ومع ذلك كان ريغان بالنسبة للعديد من الامريكيين عنصرا طمأنينة واستقرار . ورغم أن ريغان بلغ أوج الشهرة السياسية في عقد الستينات المضطرب ، الا أنه كان شخصية محبوبة كممثل في هوليوود ظهر في عشرات الافلام السينمائية ، وبعد ذلك في التلفزيون . وبالنسبة للعديد من الامريكيين جسد ريغان الازدهار المائل للادهان والهدوء الاجتماعي النسبي اللذين سادا عقد الخمسينات ، وهي حقبة طغت عليها شخصية سياسية أخرى هو دوايت ايزنهاور الذي اكسبته شخصيته الدمشة شعبية واسعة .

وكانت المشكلة المباشرة للحكومة الجديدة في عام ١٩٨١ اقتصادية : الجمود والتضخم المرتفع ومعدلات الفائدة العالية . وعاجلت حكومة ريغان هذه المشكلة بتبني برنامج طموح تضمن تخفيضات كبيرة في معدلات الضريبة ، وقيودا على الانفاق الحكومي وتقليلا من الضوابط الحكومية على القطاع الخاص . وفي نفس الوقت ، سعت الحكومة للحصول على زيادات ملحوظة في الانفاق على الدفاع وذلك لتحديث مؤسسة البلاد العسكرية . ورغم الاغلبية الضئيلة التي كان يتمتع بها الحزب الجمهوري في مجلس الشيوخ وسيطرة الديمقراطيين على مجلس النواب ، نجح الرئيس ريغان في اصدار قوانين خاصة بالعناصر الرئيسية من برنامجه الاقتصادي والمالي .

وكانت عوامل اقتصادية أخرى تعمل عملها . فقد مرت البلاد بركود اقتصادي خلال عام ١٩٨٢ أدى مع هبوط متزامن في أسعار النفط خلال النصف الاول من العقد الحالي الى خفض معدل التضخم بصورة حاسمة . وبحلول عام ١٩٨٦ ، كان المعدل السنوي للتضخم اكثر بقليل من ١ بالمائة ، وهو ادنى معدل يتم بلوغه .

منذ عقود - لكنه ارتفع بعض الشيء خلال عام ١٩٨٧ وذلك جزئيا نتيجة ارتفاع أسعار الطاقة .

وبحلول عام ١٩٨٣ ، كان الاقتصاد قد نهض من كبوته ودخلت الولايات المتحدة عندئذ واحدة من أطول فترات النمو الاقتصادي المتواصل منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية . فقد ارتفع الناتج القومي الاجمالي وهو مقياس انتاج اجمالي للسلع والخدمات من ٢,٧٣٢ ألف مليون دولار في عام ١٩٨٠ الى ٣,٩٩٨ ألف مليون دولار في عام ١٩٨٥ . ومن ١٩٨٢ الى ١٩٨٧ ، اوجد الاقتصاد الأمريكي اكثر من ١٣ مليون وظيفة جديدة . وفي الوقت نفسه انضم آلاف العمال الجدد الى القوة العاملة . وهكذا بقي معدل البطالة ، الذي بلغ ذروته في عام ١٩٨٢ المتسم بالركود وسجل ٩,٧ بالمائة ، في حدود ٧ بالمائة في الاعوام التالية ، وانخفض الى حوالي ٦,٥ بالمائة بحلول منتصف عام ١٩٨٧ .

وقد تميزت نهاية الدورة الاولى من ولاية الرئيس ريغان كذلك التي تميزت بها نهاية دورة الرئيس ايزنهاور الرئاسية ، بسلام وازدهار نسبيين فأعيد انتخابه هو ونائب الرئيس جورج بوش باغلبية ساحقة عام ١٩٨٤ ، اذ كسبا اغلبية الاصوات في ٤٩ ولاية من ولايات امريكا الخمسين وهزما مرشحي الحزب الديمقراطي والتر مونديل وجيرالدين فيرارو .

الا أن الاتجاهات الاقتصادية لم تكن مؤاتية على نحو ثابت خلال الثمانيات . ففي منتصف العقد ، ورغم نمو اقتصادي نشيط كانت الولايات المتحدة دولة غارقة في الديون . وتلقى المزارعون بشكل خاص ضربة قاسية نتيجة لهبوط اسعار السلع وخسارة اسواق الصادرات الامريكية مما جعلهم غير قادرين على تسديد القروض ذات معدلات الفائدة المرتفعة ورهونات العقارات التي حصلوا عليها في السبعينات عندما كانت اسعار المحاصيل والاراضي مرتفعة . وكان من نتائج هذه النكسة ظهور اقتصاديات تتسم بالكساد في ريف العديد من ولايات الغرب الاوسط الامريكي .

وقد أظهرت ازمة الزراعة حقيقة أخرى حول الاقتصاد الأمريكي المتغير ، وهي أن الولايات المتحدة كمعظم دول العالم الاخرى ، أخذت ترتبط بشكل متزايد بالاقتصاد العالمي . وتجلبت هذه الحقيقة في التجارة الدولية حيث سجلت الولايات المتحدة عجزا كبيرا متناميا بشكل منذر بالسوء . ومن ناحية سجل عدم التوازن بين الواردات والصادرات نجاح النظام التجاري المنفتح المعمول به منذ انتهاء الحرب

العالمية الثانية ، والذي ايدته الولايات المتحدة بقوة وقد عمل على تخفيض التعريفات والحواجز التجارية بصورة تدريجية . أما الصناعة الامريكية التي طغت لمدة من الزمن على الاقتصاد العالمي ، فوجدت نفسها في وضع غير مألوف أذ بدأت تنافس مثيلاتها في الاسواق المحلية والخارجية ، في منتجات أساسية كالخشب والصلب الى جانب التكنولوجيا المتطورة مثل الالكترونيات وأجهزة الكمبيوتر . وساهم الدولار القوي الذي بدأت قيمته بالانخفاض في منتصف الثمانينات فقط ، في رفع ثمن الصادرات الامريكية في الخارج وخفض ثمن الواردات نسبيا في لايات المتحدة .

وكان رد البلاد في معالجة قضية التجارة يتسم بعدم اعتماد حل واحد لها . فمن ب ، دعا العديد من الديمقراطيين ، متسلحين بدعم النقابات العمالية قوي ، الى اصدار تشريعات لاقرار نظام الحصص (الكوتا) وتعريفات أعلى لحماية وظائف عمال الصناعة المحلية التي كانت تتقلص نتيجة للمنافسة الاجنبية . وقد قاومت ادارة ريغن هذه الحلول الحمائية الواسعة النطاق ، وبدلا من ذلك لجأت الى نظام الحصص والقيود غير الرسمية لمساعدة الصناعات الفردية التي تضررت بسبب تدفق الواردات . وفي الوقت نفسه ، دعا زعماء من الحكومة ومن حقل الاعمال الى بذل جهود جديدة لجعل الصناعة الامريكية اكثر كفاءة وتنافسا .

ومن الامور التي سببت قلقا مماثلا العجز الذي سجل في ميزانية الحكومة الفدرالية لذي تجاوز في عام ١٩٨٦ ٢٢٠ الف مليون دولار . وقد أدى عجز بتلك ضخامة الى ازدياد الجدل السياسي المحلي خلال فترة رئاسة ريغان الثانية . فقد حذب بعض الزعماء السياسيين بمن فيهم حتى الليبراليين ، استحداث برامج رئيسية للاتفاق المحلي . وعوضا عن ذلك ، أصدر الكونغرس تشريعا (عرف بقانون غرام - رودمان - هولينغز) في عام ١٩٨٥ يفرض تخفيضات تدريجية في العجز الفدرالي . وبعد عام ، أقر الكونغرس برنامج اصلاح ضريبي ذا تأثير واسع استهدف جعل النظام اكثر انصافا وأقل تعقيدا .

وفي مجال السياسة الخارجية سعى الرئيس ريغان الى جعل الولايات المتحدة تلعب دورا اكثر فعالية ، وقد وفرت امريكا الوسطى الامتحان لذلك في وقت مبكر . فقد واجهت الحكومة الامريكية قيام ثورة في السلفادور هددت باسقاط الحكومة ، وظهور نظام حكم الساندينستا في نيكاراغوا الذي كانت واشنطن تعتقد بانه يعمل على تأسيس نظام ديكتاتوري ماركسي اليسار مكان ديكتاتورية سوموزا اليمينية التي

قلبها ثوار الساندينيسستا عام ١٩٧٩ . وفي السلفادور ردت الحكومة بإنشاء برنامج معونة اقتصادية وتدريب عسكري لمساعدة حكومتها على ردع هجمات رجال العصابات . وآزرت الولايات المتحدة أيضا القوى الديمقراطية في السلفادور التي كانت مصممة على تقليص حوادث القتل وانتهاكات حقوق الانسان الاخرى من جانب فرق الاعداء اليمينية . وشجعت بنشاط انتقال السلطة الى حكومة منتخبة ديمقراطيا بزعامة نابليون دوارتي .

وكانت سياسة الولايات المتحدة تجاه نيكاراغوا أقل نجاحا وأكثر إثارة للجدل . فقد رفضت نيكاراغوا مطالب الولايات المتحدة بقطع علاقاتها العسكرية مع كوبا والاتحاد السوفياتي وبإدخال إصلاحات ديمقراطية على نظام حكمها السياسي وانتهت جهود السلام الاقليمية برعاية دول امريكية لاتينية أخرى « عملية كونتادورا » الى طريق مسدود وتحول اهتمام الحكومة الامريكية الى دعم قوى المقاومة والمعارضة لحكم الساندينيسستا المعروفة بـ « الكونترا » . وبعد نقاش سياسي حاد حول تلك السياسة ، أنهى الكونغرس جميع اشكال المعونة العسكرية لـ « الكونترا » في تشرين الأول/ اكتوبر ١٩٨٤ . لكنه اجاز تقديم المعونة الانسانية . ونتيجة لضغط شديد من قبل الحكومة ، عاد الكونغرس عن قراره هذا في خريف عام ١٩٨٦ ، ووافق على تقديم معونة عسكرية مقدارها ١٠٠ مليون دولار لـ « الكونترا » . لكن الافتقار النسبي الى النجاح في ساحة المعركة ، والتهامات القائلة بانتهاك حقوق الانسان والكشف عن تحويل اموال لها من مبيعات الاسلحة السرية لايران جعلت مستقبل المساعدة العسكرية للثوار المعادين للساندينيسستا موضع شك .

وفي أماكن أخرى من العالم شهدت الولايات المتحدة وشجعت على تحول الى الديمقراطية ، وقد حصل ذلك بصورة درامية بنوع خاص في الفيليبين حيث تمكنت حملة كورازون اكينو المعروفة بـ « سلطة الشعب » من قلب نظام ماركوس الديكتاتوري في شهر شباط/ فبراير ١٩٨٦ ، وكذلك في هايتي حيث قضى عصيان في الشهر نفسه على نظام حكم دوفالبيه . وخلال عهد ريغان مرت امريكا اللاتينية في تجربة ثورة ديمقراطية حقيقية عندما تسلمت زمام الامور في عدد من البلدان ، من غواتيمالا شمالا الى الأرجنتين جنوبا ، حكومات منتخبة ديمقراطيا . وعلى نقيض ذلك بقيت جنوب افريقيا متعنتة في وجه جهود الحكومة الامريكية الرامية لتشجيع وانهاء التفرقة العنصرية عن طريق سياسة « المشاركة البناءة » المثيرة للجدل . وفي عام ١٩٨٦ ، فرض الكونغرس بعد أن خاب أمله بتحقيق تقدم في هذا المجال ،

سلسلة من العقوبات الاقتصادية على جنوب افريقيا متجاوزا الفيتو الذي كان ريغان قد أصدره معترضا على العقوبات .
وأعلنت شركات امريكية أنها ستقوم بتجريد نفسها من اسهمها وممتلكاتها في جنوب افريقيا .

ورغم الكلام الدعائي المعادي للشيوعية كان استخدام حكومة الرئيس ريغان للقوة العسكرية الأمريكية بصورة مباشرة محددا ومقيدا . وفي ٢٥ تشرين الاول/أكتوبر ١٩٨٣ ، نزلت قوات امريكية في جزيرة غرانادا في البحر الكاريبي بطلب عاجل من الدول المجاورة . وقد جاء ذلك الاجراء في أعقاب اغتيال رئيس وزراء غرانادا اليساري ، موريس بيشوب ، من قبل اعضاء حزبه الماركسيين . وبعد فترة وجيزة من القتال لقت القوات الأمريكية القبض على مئات العسكريين وعمال الانشاءات الكوبيين واستولت على مخبأ امدادات الاسلحة السوفياتية . وفي كانون الاول/ديسمبر ١٩٨٣ ، غادر آخر عسكري امريكي الجزيرة التي أجرت انتخابات ديمقراطية في العام التالي . وعلى نقيض ذلك ، انتهت جهود الولايات المتحدة العسكرية في لبنان حيث حاولت الحكومة الأمريكية دعم حكومة معتدلة ومتحالفة مع الغرب ، الى كارثة عندما قتل ٢٤١ من أفراد المارينز من جراء حادث تفجير ارهابي . وفي شهر نيسان - ابريل ١٩٨٦ ، قصفت طائرات تابعة للسلاح الجوي والبحرية الأمريكية اهدافا في طرابلس وبنغازي في ليبيا ، ردا على هجمات ارهابية على عسكريين امريكيين في أوروبا كانت ليبيا قد اوجت بها .

وتذبذبت العلاقات بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي خلال عهد ريغان ما بين المواجهة السياسية وبذل جهود للتوصل لاتفاقيات شاملة للحد من التسلح . لكن حادثين زادا من التوتر بين البلدين هما قمع حركة « التضامن » العمالية في بولندا في كانون الاول/ديسمبر ١٩٨١ ، وتدمير مقاتلة نفائة سوفياتية لطائرة ركاب مدنية تابعة للخطوط الجوية الكورية عندما انحرفت عن خط سيرها في الاول من ايلول/سبتمبر ١٩٨٣ . كما أدانت الولايات المتحدة استمرار الاحتلال السوفياتي لافغانستان وقدمت معونات لافراد المقاومة المعروفين بـ « المجاهدين » .

ومع ذلك فان قضايا الاسلحة النووية بقيت في صميم العلاقات الأمريكية - السوفياتية . ورغم الاحتجاجات التي أطلقتها حركة نشطة مناوئة للتسلح النووي على جانبي المحيط الاطلسي ، فان الولايات المتحدة ، مستندة الى قرار حلف شمال الاطلسي في عام ١٩٧٩ ، بدأت بنشر صواريخ « بيرشينغ - ٢ » ذات الرؤوس

النووية الواحدة ، وصواريخ « كروز » التي تطلق من الأرض ، في أوروبا الغربية في اواخر عام ١٩٨٣ لمواجهة الصواريخ السوفياتية ذات الرؤوس النووية الثلاثة والمعروفة بـ « س . س . ٢٠ » والقادرة على ضرب أوروبا الغربية من قواعد لها داخل الاتحاد السوفياتي . وفي ٢٣ آذار/مارس ١٩٨٣ ، أعلن ريغان في أحد قراراته الأكثر إثارة للجدل خلال رئاسته ، برنامج الابحاث الفضائية المسمى « مبادرة الدفاع الاستراتيجي » وذلك لاستقصاء تقنيات متعددة مثل الليزر والقذائف ذات الطاقة القصوى التي تستطيع الدفاع ضد الصواريخ ذات القذائف النووية .

وفي شهر تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٨٥ عقد ريغان اجتماع قمة مع الزعيم السوفياتي الجديد ، ميخائيل غورباتشوف ، ووافق الزعيمان مبدئيا على السعي الى تخفيض نسبته ٥٠ بالمائة في الاسلحة النووية الاستراتيجية الهجومية والتوصل الى اتفاق مؤقت حول القوى النووية ذات المدى المتوسط ، لكنها لم يتوصلا الى أرضية مشتركة حول برنامج مبادرة الدفاع الاستراتيجي . وفي العام التالي ، التقى الزعيمان مرة أخرى في قمة أعدت بصورة عاجلة في ريكيافيك ، آيسلندا ، لكن لم تعقد اتفاقيات مؤقتة كاسحة حول الاسلحة النووية بسبب الخلاف حول قضية مبادرة الدفاع الاستراتيجي . كما نشب خلاف ذو علاقة بهذه القضية حول ما اذا كانت اتفاقية سولت - ١ الخاصة بالحد من الصواريخ المضادة للقذائف والموقعة في عام ١٩٧٢ تجيز اجراء اختبارات وتطوير انظمة الصواريخ المتقدمة المضادة للقذائف الباليستكية . ورغم الطريق المسدود حول مبادرة الدفاع الاستراتيجي ، أجرى البلدان في عام ١٩٨٧ المزيد من المفاوضات المكثفة حول الاسلحة ، وحققا نجاحا ملموسا باتجاه اتفاقية تزيل الصواريخ ذات المدين القصير (٥٠٠ - ٩٠٠ كلم) والطويل (١٨٠٠ - ٥٥٠٠ كلم) من أوروبا .

وبعد ٢٤ رحلة طيران ناجحة للمكوك الفضائي ، تلقى برنامج الفضاء الامريكي أسوأ ضربة له في ٢٨ كانون الثاني/يناير ١٩٨٦ عندما انفجر مكوك الفضاء « تشالينجر » بعد ٧٣ ثانية من اطلاقه من كاب كانافيرال في ولاية فلوريدا وأدى ذلك الى مصرع ملاحى الفضاء السبعة على متنه ، بمن فيهم مدرسة كانت أول مواطنة عادية تطير في الفضاء . ووقف برنامج رحلات الفضاء المأهولة ، بينما أعلنت لجنة تحقيق خاصة سبب الحادث وهو وجود عيوب في السدادات الصلبة للصاروخ الرافع للمكوك ، وبدأت مراجعة شاملة وكذلك اعتمد برنامج إعادة

تصميم المكوك قبل الاستئناف المقرر للرحلات الفضائية في عام ١٩٨٨ . وكانت كارثة تشالنجر بمثابة تذكير بحدود التكنولوجيا في الوقت الذي كانت ثورة تكنولوجيا أخرى في الكمبيوتر تغير بسرعة من الطريقة التي يعمل ويعيش بها ملايين الامريكيين وقد أفادت التقديرات بأنه في منتصف عقد الثمانينات كان الامريكيون يملكون اكثر من ٣٠ مليون جهاز كمبيوتر . أما الاكتشاف العلمي الاخر الذي بنظر العديد من الباحثين قد يؤثر في طريقة معيشة الامريكيين فهو في مجال التوصيل الفائت الفعالية ، أي تطوير مركبات جديدة تعد بتطوير ارسال الكهرباء واستخداماتها بصورة ثورية .

وقد تلقت حكومة الرئيس ريغان هزيمة سياسية في انتخابات الكونغرس في شهر تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٨٦ عندما استعاد الديمقراطيون الاغلبية وسيطروا على مجلس الشيوخ . ورغم ذلك فان اخطر قضية واجهت الحكومة هي الكشف عن أن الولايات المتحدة باعت ايران اسلحة بصورة سرية في محاولة منها لتحرير الرهائن الامريكيين في لبنان الذين تحتجزهم منظمات راديكالية تسيطر عليها حكومة الخميني . وكشف التحقيق عن أن اموالا استلمت من مبيعات الاسلحة لايران حولت لشوار « الكونترا » في نيكاراغوا خلال فترة كان الكونغرس قد منع فيها الحكومة من تقديم معونة عسكرية لتلك .

وقد عاجلت جلسات الاستماع حول الاموال المقدمة للكونترا من الاسلحة لايران والتي عقدتها لجنة مشتركة تابعة لمجلس النواب والشيوخ مسائل تتعلق باحتمال وجود تصرفات غير شرعية فضلا عن القضية الاشمل وهي تحديد مصالح السياسة الامريكية في الشرق الاوسط وأمريكا الوسطى . وقد برزت الطبيعة الهامة للجدل حول هذه السياسة بشكل قائم في أيار/مايو ١٩٨٧ عندما اطلقت طائرة نفثة عراقية ، بصورة خاطئة كما يبدو ، صاروخا مضادا للسفن على الفرقاطة ستارك التابعة للبحرية الامريكية أثناء قيامها بالدورية بالخليج وقد قتل سبعة وثلاثون بحارا .

وعاجلت جلسات الاستماع هذه بمفهومها الاشمل شأن جلسات الاستماع الشهيرة حول « ووترغيت » قبل ١٤ عاما ، مسائل اساسية تتعلق بحق الشعب في معرفة الحقائق والتوازن المناسب بين السلطتين التنفيذية والتشريعية في الحكم . ويرجع تاريخ ذلك النقاش الى ولادة الدولة الامريكية التي احتفلت في عام ١٩٨٧ بالذكرى المئوية الثانية للتوقيع على دستورها .

BRIEF READING LIST IN AMERICAN HISTORY

Allen, Frederick Lewis

The Big Change, 1900-1950, America Transforms Itself,
Harper & Row, 1969

Boorstin, Daniel Joseph

The Americans: The Colonial Experience, Random House,
1958

The Americans: The National Experience, Random House,
1965

Bradley, Edward Sculley, comp.

The American Tradition in Literature, 3rd ed., Norton, 1967

Burns, James MacGregor

Roosevelt: The Lion and the Fox, and *Roosevelt: The Soldier
of Freedom*, Harcourt-Brace, 1956-70

Chase, Gilbert

America's Music, From the Pilgrims to the Present, 2nd ed.,
McGraw-Hill Book Company 1966

Degler, Carl Neumann

Out of Our Past; the Forces That Shaped Modern America,
revised ed., Harper, 1970

Franklin, John Hope

From Slavery to Freedom: A History of Negro Americans, 3rd
ed., Norton, 1967

Handlin, Oscar

America; a History, Henry Holt and Company 1968

Larkin, Oliver Waterman

Art and Life in America, 2nd ed., Henry Holt and Company,
1960

Link, Arthur Stanley

American Epoch; a History of the United States Since the 1890's, 3rd ed., Alfred A. Knopf, 1967

**Morison, Samuel Eliot;
Commager, Henry Steele, and
Leuchtenburg, William E.**

The Growth of the American Republic, 6th ed., Oxford University Press, 1969

Morris, Richard Brandon, ed.

Encyclopedia of American History, revised ed., Harper & Row, 1965

**Nevins, Allan and Commager,
Henry Steele**

The Pocket History of the United States, Washington Square Press, 1960

Parkes, Henry Bamford

The United States of America, Alfred A. Knopf, 1968

Parrington, Vernon L.

Main Currents in American Thought, Harcourt, Brace, and World, 1927

Rossiter, Clinton Lawrence

Seedtime of the Republic: The Origin of the American Tradition of Political Liberty, Harcourt, Brace, 1953

Smith, Guy E.

American Literature; a Complete Survey, Littlefield, Adams, and Company, 1957

Sorenson, Theodore C.

Kennedy, Harper, 1965

Thomas, Benjamin Platt

Abraham Lincoln: A Biography, Alfred A. Knopf, 1952

White, Theodore H.

The Making of the President—1960, Atheneum Publishers,
1961

The Making of the President—1964, Atheneum Publishers,
1965

The Making of the President—1968, Atheneum Publishers,
1969

أصحاب صور الكتاب : مجموعة الصور الملونة الأولى بعد صفحة ٤٦ : اللوحة ١ . جزء من لوحة « عيسد الشكر الأول » للفنان ج. فيريس باذن من صاحبها ومؤسسة سميثسونيان . ٢ : جزء من لوحة « شلالات بلاكتون » ، بوتاكيت ، رود آيلاند « باذن من سميثسونيان . ٣ : « الشارع الجنوبي من مادن لين » - وليام بنيت ، متحف نيويورك ، مجموعة ادوارد آرنولد . ٤ : « الشارع الثاني الى الشمال من السوق - فلادلفيا » - وليام بيرش ، قسم المطبوعات بمكتبة نيويورك - آستور ، ليونكس ، وتيلدين . ٥ : « مذبحه شارع كينج - بوسطن ، ١٧٧٠ » - ل. بول ريفير ، متحف متروبوليتان . ٦ : « استسلام كورتواليس » - ل. ترمبول ، مكتبة جامعة ييل . ٧ : « توقيع اعلان الاستقلال » - ل. ترمبول ، متحف ييل . ٨ : « الوطنيون يجذبون ثمال جورج الثالث » - يوليه ١٧٧٦ » - ل. وليام والكوت ، مجموعة دار لنجتون باذن من شركة نشر التراث الأمريكي . ٩ : « بنجامين فرانكلين يستمد الكهرباء » - ل. ويست ، متحف فلادلفيا ، مجموعة المسر والمسر هارتون سينكلر . ١٠ : « معاهدة بن مع الهنود » - ل. ويست ، أكاديمية بنسلفانيا للفنون . ١١ : منظر لهارفارد - ١٧٢٦ » - ل. وليام بيرجس ، متحف فوج بجامعة هارفارد . ١٢ : « مزرعة ألف هويلوك » - ل. فرانسيس الكسندر ، المتحف القومي للفنون ، هدية من ادجار وليام وبرنيس كيريزلر جاريتش . ١٣ : جزء من لوحة « رقص فوق أرضية الخطيرة » - ل. وليام مونت باذن من متحف سفولك وكاريج هاوس ، ستوني بروك ، نيويورك . مجموعة الصور الملونة الثانية بعد صفحة ٧٨ : اللوحة ١ : « موكب ٤ يوليه » - ل. توماس هاو لاند ، باذن من روسك ، وايلنشتاين وشركاه . ٢ : « فرع في وول ستريت سنة ١٨٥٧ » - ل. جيمس كافرني ونشارلز روزنبرج ، متحف نيويورك . ٣ : « استيطان المهاجرين » - ل. صمويل ووه ، متحف نيويورك . ٤ : قناة ايريه عند شلالات ليتل ، نيويورك ، ل. وليام ميللر ، جمعية نيويورك التاريخية . ٥ : « صناعة عمود ادارة » - ل. جون وير ، متحف متروبوليتان ، هدية من لايمان بلومنجديل ، ١٩٠١ . ٦ : « صانع العجلة » مجموعة ا. ف. فيشر ، براتون ، ميشجان . تصوير جوكلارك ، باذن من سكوت فورسمان وشركاه . ٧ : « صيد الحيتان » شركة متحف شليرون ، شليرون ، فرمونت . ٨ : « منظر مزرعة » كوردي وآيفز ، باذن من شركة ترافلز للتأمين . ٩ : « دانيال بون يصطحب المستوطنين عبر ممر كامبر لاند الجلي » - ل. جورج كاليب بنجهام ، متحف جامعة واشنطن ، قاعة شاتنبرج ، سانت لويس ميزوري . ١٠ : « فندق المنظر الجميل » من مجموعة جمعية مارييلاند التاريخية . ١١ : جزء من لوحة « لويس وكلاكرك في مقابلة للهنود عند روص هول » - ل. شارلز راسل ، جمعية مونتانا التاريخية . ١٢ : جزء من لوحة « مناقشة لنكولن ودوجلاس » تصوير كين رايلي . صفحة ٩١ : مكتبة الكونجرس . ٩٢ : ارشيف بيتان . ٩٣ (فوق) : وزارة الزراعة . تحت : سكة حديد يونيون باسيفيك . ٩٤ : مكتبة الكونجرس . ٩٥ (الصورتان) : شركة فورد موتور . ٩٦ : شركة التلفون والتلغراف الأمريكية . ٩٧ (فوق) : بيتان . تحت : مكتبة الكونجرس . ٩٨ (فوق) : بيتان . تحت : كالفار . ١٢٥ : نيويورك تايمز . ١٢٦ (فوق) : وكالة الاعلام . تحت : وايد ورلد . ١٢٧ : وكالة الاعلام . ١٢٨ (لليمين) : كارل هارفارد ، شركة بيكس ؛ بيتان ؛ الفريد ايزنستاد ، لايف . ١٢٨ : ليسار : نيكولاس موراي ، رالف طومسون ، جامعة فرجينيا . ١٢٩ : لليمين : الاعلام . كارل فان فيشتن ، نيويورك . ١٢٩ : اليسار : الاعلام ؛ بيني وينشر . ١٣٠ (فوق) : كما فوتوز ؛ نسخة من مكتبة فرانكلين د. روزفلت ، هايد بارك ، نيويورك . تحت : هيئة وادي نيسي . ١٣١ : مكتبة الكونجرس . ١٣٢ : الجيش الأمريكي . مجموعة الصور الملونة الثالثة بعد صفحة ١٤٢ : ١ : الأمم المتحدة تصوير دين كوكجر ، حقوق الطبع ١٩٦٤ للجمعية الجغرافية القومية ٢ : تنظيف هارلم ، تصوير وتينبرج . ٣ : كتيبة السلام تصوير كونكلين . ٤ : اجتماع الشباب تصوير وتينبرج . ٥ : عامل من فيستا تصوير سوليفان . ٦ : أطفال يلعبون تصوير بانجاليا . ٧ : كولمبيا ، مارييلاند ، تصوير مورتون تادر . ٨ : سفينة تمر تحت جسر فيرازانو ، باذن من « هيئة تريبور وريدج آند تانل » . ٩ : خطوط اتصال ، شركة ستاندارد أويل كاليفورنيا . ١٠ : قطار توربيني ، جوردن جاهان ، الجمعية الجغرافية القومية . ١١ : طائرة ٧٤٧ - باذن من شركة بوينج . ١٢ : المشي على القمر ، ناسا . ١٣ : « المحيطات » تصوير ستان وايمان ، لايف . ١٤ : جراحة بالحقول الالكترونية ، تصوير لونوا ، بلاك ستار ، فورتشن . ١٥ : مركز المتابعة الفضائي ، ناسا . ١٦ : « ليزر » باذن من وستنهانوس . ١٧ : الطاقة النووية ، باذن من نورث أمريكان أويل . ١٨ : فرقة الوين نيكولاس تصوير هربرت ميچدول . ١٩ : ١٧٧٦ » تصوير نالتشيان . ٢٠ : الكسندر كالدل تصوير نلسون موريس . ٢١ : « مصنع صلب » ، شركة الصلب القومية . ٢٢ : حقل قمح تصوير راي آ توكسون . ٢٣ : سوبر ماركت تصوير لي بانجاليا .